الجمـــــــهوريـــــة الجزائريـــــــة الـــــــديمقراطيـــة الشـــعبيـــة

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران- السانيا

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

و الموسومة بـ:

العلوم الإنسانية بين الفهم و التفسير

إعداد الطالبة:

اليزيد جميلة

تحت إشراف:

أ.د مولفي محمد

أعضاء اللجنة:

د.بوزيد بومدين	رئيسا
أ.د مولفي محمد	مقررا
د.عبد اللاوي عبد الله	مناقشا
د.دراس شهرزاد	مناقشا
د.سواريت بن عمر	مناقشا

السنة الجامعية : 2007 – 2008

الفهرس: المحتويات

الموضوع: **الصفحة**

الإهداء

كلمة شكر

المقدمة

1-**الفصل الأول**:العلوم الإنسانية و الفهم

1-1المبحث الأول:مفهوم العلوم الإنسانية و خصوصيات موضوعها

ماهية العلوم الإنسانية.....02

طبيعة الظاهرة الإنسانية.....09

2-1المبحث الثاني:إشكالية الفهم في العلوم الإنسانية.....16

2-الفصل الثاني:العلوم الإنسانية والتفسير

2-1المبحث الأول:علمية الظاهرة الإنسانية

الطرح الوضعي: التفسير.....43

تكميم السلوكات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية.....56

الموضوعية.....58

2-2المبحث الثاني: العلوم الإنسانية و إشكالية التفسير (التاريخ-علم الاجتماع-

علم النفس).....59

التصور الخلدوني للعلوم الإنسانية.....60

المذهب الوضعي: كونت.....64

دوركايم.....70

البنيوية.....73

علم النفس التجريبي.....77

نقد الاستقراء.....85

3-<u>الفصل الثالث</u>:العلوم الإنسانية كنظام تكاملي

3-1<u>المبحث الأول</u>:في ثنائية الفهم و التفسير.....91

في جدل الفهم و التفسير.....91

غادامير (التأويل).....93

ريكور 100

3-2<u>المبحث الثاني</u>:العلوم الإنسانية والفلسفة

الفلسفة كفحص نقدي للعلوم الإنسانية.....104

نقد الوضعية –هابرماس.....105

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

قائمة المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

الموسوعات و المعاجم و المجلات

الفهرس

الإهـــــداء

إلى والدي ووالدتي وأخي وأخواتي و إلى كل الأساتذة

و كل عمال الإدارة بمعهد الفلسفـة وكل الأصـدقاء

وزملاء الدراسة وكل من ساعدنا من قريب أو من

بعيد، نـهـدي لـهم هذا العمل المتواضع.

الإهـــــداء

إلى والدي ووالدتي وأخي وأخواتي و إلى كل الأساتذة

و كل عمال الإدارة بمعهد الفلسفـة وكل الأصـدقاء

وزملاء الدراسة وكل من ساعدنا من قريب أو من

بعيد، نـهـدي لـهم هذا العمل المتواضع.

مقدمة: تتميز العلوم الإنسانية عن العلوم المادية بكونها تبحث في ظواهر وسلوكات الإنسان، من خلال ما يحيط به من شروط ثقافية وحضارية واجتماعية أو تهتم بحياة الإنسان من يحث كونه كائنا ناطقا متواصلا دالا على نفسه وعلى معنى وجوده، كائنا يشعر ويريد. تتناول هذه العلوم القيم وستظل علوما ومعارف ملازمة للإنسان ولتطوره المادي، وتحقيق توازنه، مطلب الحضارة الإنسانية اليوم، تجد نفسها ودورها الطبيعي المشروع إلى جانب سائر العلوم الأخرى. لكن هل استطاعت تقديم في مجموع بحوثها المظاهر المتكاملة للهوية الإنسانية؟ فطبيعة مادتها لا تسمح بالحصول على قوانين حتمية صارمة إلا بصورة نسبية. يمكن القول نشأة العلوم الإنسانية بمثابة ثورة معرفية في تاريخ الفكر الإنساني. هناك منهجان أساسيان يتجاذبان البحث التاريخي والدراسات الاجتماعية وغيرها، يقول الأول بالفهم و هو موقف مثالي ونزعة حدسية والثاني بإمكانية تقليد البحث في الإنسان للبحث في الطبيعة، وجود بدون شك وراء هذا الاختلاف المنهجي اختلاف فلسفي هو بمثابة الخلفية الابستمولوجية التي تسمح بتفسير هذه الثنائية المنهجية.

ففي حين يعود البعض إلى الفهم و الفلسفة ، يحاول البعض الآخر طرح على النقاش النموذج الفيزيائي-الرياضي.يمكن القول الجدال ليس قائما داخل علوم الإنسان ، بل هو دائر حيث للفلسفة بالضرورة علاقة لا مناص منها .أصحاب الموقف الأول يؤكدون على الحاجة العريضة للفهم في الدراسات الإنسانية، وأن نظرية الفهم يمكنها توضيح طريقة الاهتمام بالمشاكل الإنسانية وبيان كيفية حلها وأننا إذا أهملنا الفهم نصل إلى نتائج مضلله لا إلى تعميمات صادقة.وبالمقابل العديد من المفكرين يؤكدون أن العلوم الإنسانية و الطبيعية يشتركان في خاصيتين أساسيتين للمشروع العلمي هما الحاجة إلى السيطرة على الطبيعة داخل الإنسان وافتراض خضوعها لمسار يمكن كشفه ومعرفته. نتصور العلاقة التي تربط بين العلوم الإنسانية المختلفة والابستومولوجيا من حيث هي العلاقة التي تفتح أمام الابستمولوجيا الطريق لتحليل أكثر موضوعية لواقع المعرفة العلمية.مثل هذا التكامل بين الابستمولوجيا والعلوم

الإنسانية يقيها من هيمنة الأنساق الفلسفية والاقتراب أكثر من أن تكون من العلوم الإنسانية.

يتميز العلم بالموضوع والمنهج، بالنسبة للعلوم الإنسانية أمكن تحديد الموضوع وهو الإنسان من كافة جوانبه الداخلية والخارجية أما من حيث المنهج فليس لها منهجا واحدا بعنيه، بل عدة طرق وأساليب.بينما يرتبط تقدم البحث العلمي بضرورة وجود منهج، فإن غاب خضع البحث للعشوائية، فالتقدم رهن بالمنهج والطريقة وله أكثر من تعريف بصفة عامة "وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة".إن المعرفة الواعية بالمناهج تمكن العلماء الباحثين من إتقان البحث وتلاقي الكثير من الخطوات المتعثرة أو التي لا تفيد شيئا. فرغم *اشتراك* العلوم الطبيعية والدراسات الإنسانية في المنهج إلا أن هذا المنهج يواجه في الدراسات الإنسانية صعوبات عدة خصوصا حينما تكون هناك استحالة في إجراء التجارب، أو يعترض على إجرائها لأسباب أخلاقية أو عندما يتعذر التوصل إلى الموضوعية أو تستعصي المشاكل على التحليل بسبب تعقدها وأحيانا لتعذر إحالة الكيفيات إلى كميات خاضعة لمعالجة رياضية.

<u>الإشـــكالية</u>: الإشكالية الأساسية التي نسعى إلى مناقشتها، إشكالية المنهج والمبادئ،طبيعة العلوم الإنسانية ، سنتناولها بالدراسة ونرى كيف يحاول الباحثون تحقيق المشروع العلمي في دراسة الإنسان، فالبحث في هذه العلوم لا يتخذ مسلكا واحدا ومنحى بعينه، فثمة طرق ومسارات بديلة. و هي مسألة جوهرية في ابستومولوجية العلوم الإنسانية، تخص أساسا مدى علمية الأبحاث الإنسانية مثل الأبحاث التاريخية والاجتماعية وغيرها.فهل هي علوم فهم أم تفسير و تعميم؟ هل يمكن أن يتوصل علما إنسانيا إلى قوانين وهل يستطيع الخضوع إلى سببية وهل تنطبق الحتمية على الإنسان وفي حالة إمكان تطبيق الحتمية فما مدى حرية الإنسان وهل الاعتراف بالحرية وبإرادتنا ومسؤوليتنا نفي للحتمية وتساؤلات كثيرة يضعها فيلسوف العلم تدعم جوهر الإشكالية .

سنحاول الكشف في هذا النطاق عن مواقف رئيسية.نعلم أن التفكير في الإنسان من مشاغل المفكرين منذ أن أطلق سقراط عبارته المشهورة : "أعرف نفسك بنفسك" ومع عناية الفلاسفة بالإنسان وازدياد تطور العلم، برزت فكرة وضع علوم إنسانية موازية لعلوم الطبيعة تشترك معها في المنهج، فهل ترقى الدراسات التي موضوعها "الإنسان" بوصفه كائنا عاقلا يعيش في جماعة ويمارس نشاطا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وغيره إلى مرتبة العلم؟ فهل إخضاع العلوم الإنسانية لمنهج علمي واحد تشترك فيه مع العلوم الطبيعية هو تجاهل لطابعها المميز لها؟ هل نظرة الإنسان نحو الإنسان يمكن أن تكون علمية؟فهل الإنسان واقع أم فكرة؟ وهل يضعنا التأويل خارج دائرة العلم؟ فهل تستخدم العلوم جميعا منهجا واحدا أم أن هناك مناهج تتعدد بتعدد العلوم؟

هناك ميزة تنفرد بها العلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية، ففي الدراسات الإنسانية يكون فهمنا متميزا عن فهمنا للظواهر الطبيعية من ناحية قيام هذا الفهم على أساس أن البشر يتمكنون من التعرف مباشرة على طبيعة وبناء الأفعال الإنسانية. في دراسة الجماعات مثلا، يمكن أن نذهب إلى أبعد من إيجاد أوجه الشبه فيما بينها وإيضاح الارتباطات الوظيفية التي تربط بينها، حيث نتمكن من تفهم الأفعال والتصرفات والمقاصد والدوافع والأغراض،لكن فكرة الحتمية من الأفكار التي لا يزال يتمسك بها كثير من الباحثين في العلوم الإنسانية. صار الحياد والموضوعية هما المعيارين للخاصية العلمية لما ندعوه اليوم العلوم الإنسانية،فالهدف المطلوب هو التصور الرياضي،في حين العلوم الفيزيائية، أصبحت أكثر تطورا وأكثر ميلا إلى الاحتمال واللاحتمية. العلوم الإنسانية لم تحقق بعد نفس الدرجة.فمن المتفق عليه بين فلاسفة العلم وعلماء المناهج أنه لا يستحق علما من العلوم أن يوصف بالعلم إلا إذا استوفى شروطا أهمها:أن يقوم على أساس مادي،أن يستخدم المنهج العلمي بخطواته المتبعة في العلوم الطبيعية،وأن يتحقق من صحة المكتشفات التي توصل إليها بالتنبؤ والاستخدام العلمي لمنجزاته. فالإطار العام للمنهج العلمي ينطوي على

ثلاثة مراحل:ملاحظة الوقائع ذات الدلالة،التوصل إلى فرضية تفسر علاقة الوقائع،استنباط نتائج من الفرضية يمكن التحقق منها (اختبارها) بالملاحظة. يشير استخدام المنهج العلمي–بصفة عامة- إلى عملتين رئيستين هما: الاستقراء والاستنباط أو التحليل والتركيب.فالاستقراء تحليلا ينتقل من المشخص إلى المجرد أو من الظواهر إلى القانون، من الحالات التطبيقية لمبدأ إلى المبدأ ذاته والاستنباط هو انتقال من القانون العام إلى الحالات الفردية أي انتقال من المبدأ إلى تطبيقات المبدأ.يذهب الوضعيون إلى أن القوة التفسيرية هي محك ومعيار علمية النظرية والعلم. عموما أن منهج الاستقراء هو معيار التمييز بين ما هو علمي وما هو غير علمي عند الاستقرائيين بالإضافة إلى ما يرتبط بهذا المنهج من مفاهيم خاصة بدور الملاحظة والتجربة وحساب الاحتمال ودور التحقق التجريبي. إن تعددت المناهج فهل هناك ثمة انفصال بينها أم أنه يمكن حدوث تداخل وتعاون بين أكثر من منهج؟

فإذا خضعت مظاهر السلوك الخارجي و طبيعة الإنسان لمنهج مشترك مع العلوم الطبيعية فثمة ما يند عن هذا الخضوع للمنهج الطبيعي وهو الذاتية. فهل يكفي اقتباس، أو توهم اقتباس ، طرق العلوم القائمة سابقا و نماذجها لتحديد علم أصيل؟ فمعرفة الإنسان تقتضي وسائل ليست كلها مماثلة للوسائل المستخدمة في العلوم الطبيعية ،كونها لا تتعامل مع الإنسان كما تتعامل معه العلوم الطبيعية، أي ليس كشيء مادي أو كائن فيزيقي بل ككائن عاقل متعدد النشاط أو له فعاليات، تصدر عنه سلوكيات وتعبيرات ووقائع متشابكة ذات معان ودلالات يجب تفهمها حق الفهم. لا يمكن التجريب في ميدان العلوم الإنسانية بمعنى التجريب المتعارف عليه في العلوم الطبيعية. أي نمط من الأنماط العلمية يمكن أن يكون نموذجا للعلوم الإنسانية؟

فلو حللنا كثيرا من الآراء أو النتائج التي ينتهي إليها العلماء بوجه عام، وفي العلوم الإنسانية على وجه الخصوص، لتبين لنا أنها تعتمد أساسا على بعض الخلفيات الفلسفية سواء كانت على شكل مبادئ أو مفاهيم معينة، وعلى رأسها مفهوم الإنسان،

الـوعي، ويتعلـق بمفهـوم الإنسـان، والسـببية والحتميـة ومعنـى الزمـان والجـدل والاحتمـال...الخ. حسـبنا فـي هـذا البحـث أن نلـم بـأهم المحـاولات التـي سـعى بهـا أصـحابها إلـى تحديـد مهمـة العلـوم الإنسـانية وصـوغ مشـكلاتها الرئيسـية وإرسـاء مناهجهـا الخاصـة ومحـاولات قدمت مـن الفلسـفة أو انبثقت عـن البحـث نفسـه.هناك مواقف محددة من مشاكل العلوم الإنسانية من شأنها أن تحملنا على ذكرها، منها ما يعلن تحقق المشروع العلمي للعلوم الإنسانية، صرحوا بآرائهم في الإنسان والمجتمع الذي يضمه، ومن منطلق أن المعرفة الإنسانية تتقدم في أن تكون معرفة علمية كلما تجاوزت الاعتبارات التي تجعل من الموضوع موضوعا أنطولوجيا مطلقا ويسمو عن كل معرفة علمية. وهناك خطوات قام بها علماء مختلفون حتى وإن لم تكن متعلقة مباشرة بالعلوم الإنسانية قد ساهمت بصفة غير مباشرة في التمهيد لنشأتها. فانطلاقا من عصر النهضة، بدأت نشأة العلوم الفلكية والفيزيائية وصاحبتها ثورة منهجية على الطرق التي كانت سائدة في كل ميادين المعرفة، وأصبح المنهج العلمي نموذجا للتفكير حتى عندما يتجاوز الفيزياء إلى دراسة الإنسان.فنشأة المنهج العلمي يمكن القول مهدت الفكر الإنساني إلى تجاوز العوائق الإبستمولوجية في كل الموضوعات.البحث في أي مجال من مجالات العلوم الإنسانية لا يكون بحثا علميا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة إلا إذا أخذ بمناهج العلوم الطبيعية وحدها وهي المناهج التي تعتمد على المشاهدة وإجراء التجارب بقصد الوصول إلى قوانين عامة نستطيع بواسطتها أن نتحكم في الظواهر وأن نتنبأ بوقوعها.العلوم الإنسانية ظلت راكدة متخلفة عن الطبيعة لعدم تطبيقها لهذا المنهج، ففي الاجتماع نجد مدرسة أوغست كونت ومدرسة دوركايم وليفي بريل كما نجد مدرسة السلوكيين ومدرسة التحليل النفسي ومدرسة الجشطلت ...الخ وكل مدرسة لها رأي يخالف رأي المدرسة الأخرى والسبب أنها لم تطبق كلها منهجا واحدا هو المنهج التجريبي الذي يؤدي استخدامه إلى إلغاء كل هذه المدارس وقيام علم واحد هو مثلا علم النفس على غرار علم الطبيعة الذي لا تجد فيه مدارس يعارض بعضها بعضا.وتلك هي الحال في علم

الاقتصاد إذ تجد فيه مدارس :آدم سميث وريكاردو وماركس...الخ.إن موضوع العلاقة بين الفلسفة و العلوم الإنسانية هو بداية موضوع التنافس بينهما. أليست الروح العلمية المولعة بالموضوعية هي التي أبعدت الفلسفة على التوالي عن مجال دراسة المادة و عن دراسة الحياة؟فهل ستطردها من نظرية الإنسان؟بهذا المعنى العلوم الإنسانية تبدو كأنها آخر فتوحات الروح العلمية.ومن أجل معالجة هذه الإشكالية سنعتمد المنهج التاريخي التحليلي.نذكر أن الباحث في هذه المسألة يلاقي بعض الصعوبات ، يجد صعوبة في بناء بعض المفاهيم و المصطلحات بناء دقيقا.

سبب اختيار الموضوع:مما لا شك فيه أن لا فائدة ترجى مطلقا من تقدم العلوم الطبيعية ما لم يتضمن ذلك تقدما واضحا في علوم الطبيعية البشرية، لاستعمال العلم بتعقل وحكمة،وإن كان العيب لا يكمن في التقدم العملي إنما في التخلف في دراسة الإنسان.الباحث يصعب عليه القيام بالبحث ما لم يكن واقفا على المنهج العلمي في التفكير في الظواهر الإنسانية النفسية والاجتماعية والتاريخية وغيرها. وحتى تنمو الدراسات في هذا الحقل المعرفي لابد من الوقوف على المبادئ والأسس العلمية التي يجب الاستناد إليها، رغم أن مجرد المعرفة بهذا الأسس فحسب لا تمكن من قيام البحث لكون العلم أسلوبا في التفكير أكثر منه معرفة.كلمة أخرى أسوقها في هذا الصدد هي أنني لم أهتم بهذا الموضوع أي موضوع الفهم والمنهج التفسيري في العلوم الإنسانية إلا بعد ما لمسته من حاجة ماسة إلى مناقشته، كون الاتفاق على المنهج أمر ضروري من الناحتين النفسية والمنطقية.فهناك من ناحية الموقف الذي ينكر علمية العلوم الإنسانية مستندا إلى الخصوصيات التي تتميز بت الظاهرة الإنسانية و الموقف الذي يعتبرها علوما حقيقية لأنها تصطنع الكثير من قواعد المنهج التجريبي.أصحاب الموقف الأول ينتهون إلى الشك في إمكان تحقيق معرفة بالإنسان و أصحاب الموقف الثاني ينتهون بالبحث ربما إلى الأفق المسدود.

خطة البحث: تتكون المذكرة من مقدمة، الإشكالية والتي نحاول فحصها عبر ثلاثة فصول.حاولنا من خلالها استعراض المفاهيم الأساسية للبحث و التي تمكننا من فهم

المسألة المطروحة.بالنسبة للفصل الأول ، العلوم الإنسانية و الفهم ،المبحث الأول تحديد مفهوم العلوم الإنسانية وكيف تشكلت وبعض إشكاليات النشأة في هذه العلوم، وطبيعة السلوك الإنساني،الأبعاد.وفي المبحث الثاني أتعرض للفهم ، ما هو المنهج المتبع وكيف نفهم الظاهرة الإنسانية، التركيز على الفهم كمصطلح وكمنهج للإنسانيات و ذلك من خلال نماذج من هذه العلوم و بالاعتماد على أهم المواقف والفلاسفة. بعض المواقف تقول أن تشييد الدراسات الإنسانية على غرار العلوم الطبيعية خلال ضلال عقلي وعقم علمي وحتى خطر أخلاقي لا ينتج المعرفة التي نحتاجها. فالعلوم الإنسانية والتاريخية ليست كالعلوم الفيزيائية .يرون أن الوقائع الإنسانية ذاتية أي أحوال عقل إنسان وطريقة أو نظرة للأشياء ذاتية و أن التأسيس الفعلي لعلوم الفكر يمر ضرورة بتوخي منهج الفهم و التأويل.

في الفصل الثاني،العلوم الإنسانية و التفسير،حاولت أن يكون محور تركيزي على مفهوم التفسير وأنواعه وذلك بالاعتماد على أبرز الرواد من أصحاب التصور الصريح للمشروع، وما يرتبط بالتفسير من استقراء و قانون و حتمية و تكميم للعلاقات و موضوعية .والفصل الثاني يتمحور حول التفسير كمنهج أساسي،كيف يمكن تحقيق علومية الدراسات الإنسانية؟ التركيز على العديد من المواقف وخاصة من خلال التاريخ و علم الاجتماع وعلم النفس، التصور الخلدوني ،البنيوية في محاولة تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الاجتماعية، تناولها بالملاحظة الدقيقة والتحليل والتجربة.كما أتطرق لكارل بوبر، إذا كان الاستقراء محض خرافة ما هو المنهج العلمي إذن و ما هي القواعد التي نحتاج إليها و هل يمكن وضع نظرية في مثل هذه القواعد؟

أما في الفصل الثالث ،العلوم الإنسانية كنظام تكاملي، المبحث الأول، سيرتكز على ثنائية الفهم و التفسير، العلوم الإنسانية و العلوم الطبيعية (أو المضبوطة) و التأويل من خلال غادامير خاصة ،توسيع سؤال الحقيقة إلى الفهم، و ريكور، التاريخي في

عملية الفهم كونه يبني من خلال فكرة الحوار مع الآخر ، عملية الفهم والاعتراف في هذا الاتجاه بالمشروعية العلمية للدراسات سواء الطبيعية أو الإنسانية .

المبحث الثاني، نحاول فيه التركيز على العلاقة بين العلوم الإنسانية و الفلسفة، موقف هابرماس أو مشروعه ،النقد الصارم للوضعية المنطقية و لعقلانية كارل بوبر النقدية على خلفية أن العلم بمعناه المنهجي الصارم لا يمكنه أن يتناول بالدراسة و التحليل إلا وقائع العالم الخارجي أي أن مجاله الأول هو مجال العلوم الطبيعية أما ما يتعلق بالعلوم الإنسانية فان الأمر أعقد بكثير (التأويل) .

و في الأخير نرجو أن نوفق و لو بقليل في هذه الدراسة المتواضعة و التي يبقى موضوعها من المسائل التي هي في حاجة إلى إفاضة و بحث مستمر دائما.

تمـهيد:

بذلت جهود لاتباع التمييز الذي يضع في مواجهة العلوم الطبيعة المبنية على التفسير العلوم الإنسانية المبنية على الفهم .الإنسان ليس شيئا ، موضوع العلوم الإنسانية يقاوم محاولات التفسير و التحكم . إن تدخل الوعي و الإرادة جعلها لا تخضع للتعميم والتنبؤ، فينبغي التمييز بين مجالين هما الخبرة والعلم يناظران في العلوم الطبيعية عالم الحس وصورة العالم الفيزيائية، ماذا ندرس و كيف ؟ هذا التساؤل تعرض له كثيرون بل أصبح ميدان تخصص داخل الدراسات الفلسفية و ضع أسسه دلتاي و ريكرت و أعطاها شكلها النهائي فيبر وغيرهم ، ينطوي البحث فيها على درجة صعوبة عالية.

فالعلوم الإنسانية محورها الإنسان وسلوكه اتجاه نفسه واتجاه الآخرين، فهناك ثمة عوائق تحملنا إلى أن نخطو داخل الدراسات الإنسانية لنرى و لنعرف كيف يحاول الباحثون تحقيق المشروع العلمي، علما أن الباحث يكون مستغرقا في الموضوع. فمن الخطأ تطبيق مقولات العالم اللاإنساني على العالم الإنساني أي عواطف البشر و هي البحث عن الدوافع . فهل هذه الاتجاهات يمكن تفسيرها في مصطلحات ميكانيكية؟ فما هي إذن شروط استيفاء الدراسة الإنسانية؟ عدم كفاية المناهج الموضوعية و هذا ما سنحاول قوله.

و باختصار، إذا طبقنا المبدأ الذي يقوم على موت موضوعه، فإن هذه العلوم تسعى منذ البداية إلى قتل الإنسان و سنرى أنها لم تنته بعد من هذه المهمة و هذا يقودنا إلى السؤال: هل يحق إذن الفهم أم التعميم؟ هل ينبغي الاعتراف كليا باستقلال المعايير الأخلاقية والعقلانية ؟ أليس هذا بخطر دائم يهدد العلوم الإنسانية في مشروعها ؟ فالحياة هي مواجهة معايير، الدوافع و النوايا، تدخل القيم في الواقع ، ويكون هناك وعي بالأبعاد الداخلية والأفعال البشرية، الإنسان المتفرد بما يتصل بهذا التفرد من عفوية و حرية وجدة وإرادة و سرعة تغيير، ليس بالإمكان هنا إعادة الظاهرة بإخضاعها للمشاهدة ، تتبدل عن فهم وتبصر .فقد يتعذر العثور على تحليل لا يعبر عن موقف ما، ويكون هناك تفاعل بين الباحث والحياة.

المبحث الأول:مفهوم العلوم الإنسانية وخصوصيات موضوعها.

ما هي العلوم الإنسانية؟

لابد أن نتساءل في البداية ما المقصود أولا بالعلوم الإنسانية؟ فهي العلوم والاختصاصات التي تتناول النشاط البشري، العلوم المتصلة بالظواهر الإنسانية، عرفت على مدى تطورها نوعا من الخلط والتداخل، تعذر تحديدها بدقة على خلاف العلوم المادية. علوم محورها الإنسان وسلوكه تجاه نفسه وتجاه الآخر على كافة المستويات النفسية والاجتماعية السياسية."يطلق اصطلاح العلوم الإنسانية على العلوم المسماة علوم معنوية، تبحث في أحوال الناس، وسلوكهم أفرادا كانوا أو جماعات كعلم الأخلاق علم الاجتماع وعلم التاريخ وليس كل علم يمت إلى الحياة يسمى علما إنسانيا، لأن علم التشريح مثلا ليس قسما من العلوم الإنسانية، وإنما هو قسم من العلوم الحيوية الطبيعية"[1]. نشأت العلوم الإنسانية من المشروع القاضي بأن تطبق على الإنسان النماذج التي نجحت في علوم الطبيعة.

"ظهر التمييز بين علوم المادة وعلوم الفكر على يد مؤلفي الموسوعة الفرنسية في منتصف القرن الثامن عشر"[2]، نحن مدينون باصطلاح "العلوم الإنسانية" إلى اللغة الفرنسية عندما ترجم أحد كتب الفيلسوف الألماني دلتاي (1911) إلى الفرنسية بعنوان "المدخل إلى العلوم الإنسانية".حسب لالاند lalande تعبير حديث لكنه يعم أكثر فأكثر، يدل على ما كان متفقا من قبل على تسمية "العلوم الأخلاقية"[3] هناك من يطلق عليها اسم العلوم الذاتية.و في تعريف آخر"العلوم الإنسانية تقابل علوم الطبيعة و تجمع جملة من الأنظمة القديمة كالتاريخ والنحو والفيلولوجيا أو حديثة كالسيكولوجيا والسسيولوجيا والأثنولوجيا واللسانيات والاقتصاد والجغرافيا الإنسانية، هذه المجوعة متغايرة من وجهة النظر الابستيمولوجية. عبارة العلوم الإنسانية لها بالأحرى قيمة استكشافية.العلوم الإنسانية

[1]-صليبا جميل، المعجم الفلسفي، الجزء2، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، دار التوفيق، 1994، ص101.

[2]-د.الكتاني محمد، العلوم الإنسانية بين واقعها الإشكالي وآفاقها، مجلة دراسات، مجلة تصدرها كلية الآداب و العلوم الإنسانية- أغادير- العدد الحادي عشر 2003،مطبعة المعارف الجديدة- الرباط-2004 ص14.

[3]-لالاند أندري، موسوعة لالاند، المجلد الثالث، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط1، 1996، ص 1254.

والفلسفة متمايزان؛ لا يوجد وصاية للفلسفة على أنظمتها ولا اندماج فيها"[1]. هناك عدة تسميات يؤثر أصحابها أن تطلق على الدراسات الإنسانية"يزداد تشديد هذا التعبير على السمات الممكن رصدها خارجيا، لطريقة تصرف البشر وسلوكهم، فرديا وجماعيا"[2]. "تجدر الملاحظة أن "العلوم الإنسانية" ليست العلوم المختصة بالإنسان، مثلا لا تسمى بهذا الاسم علوم التشريح أو الفيزيولوجيا البشرية إنها العلوم التي تميز الإنسان في مقابل بقيمة الطبيعة"[3].تسمى أيضا إنسانيات "مجموعة العلوم التي تتعلق بالنشاط الإنساني الفردي أو الجماعي كالأخلاق والتاريخ والاقتصاد وغير ذلك" يجب تمييزها عن إنسية "نزعة إنسانية عامة تتطلع إلى العلوم الإنسانية وتشدد على أهميتها" يشير أن مدلولاتها مختلفة في الفرنسية منها التعلق بعلوم القدماء والتخلص من هيمنة مذاهب العصور الوسطى والتأكيد على نسبية المعرفة الإنسانية على طريقة بروتاغوراس، تمجيد الإنسان..هذه العلوم تتناول السلوك الذي يعتبره لالاند مصطلحا أدخل حديثا في اللغة الفلسفية ليدل على موضوع "سيكولوجيا الاستجابة"، فسلوك كائن ما مجموع استجابات شاملة، سواء كانت مشتركة بين الجنس أم خاصة بالفرد.

إنسانية هي البشرية، مجموعة الناس من حيث انتمائهم إلى نوع واحد، خصائص مشتركة لجميع الناس والتي تميزهم عن سائر الحيوان، "نظرية تجعل من تحقيق الذات الإنسانية هدفا نهائيا للسلوك الأخلاقي والاجتماعي". هي علوم تدرس الإنسان كإنسان، فعلم الحياة لا يدرس الإنسان كإنسان بل كامتداد لمملكة النبات والحيوان وعلم الطبيعة يدرسه كجماد، كجسم خاضع لقوانين الطبيعة، وتختلف النزعة الإنسانية عن العلوم الإنسانية فهي من اللفظ اللاتيني Humanus بمعنى إنساني أو بشري، وهي وجهة نظر ترى في الإنسان أرفع القيم، تدافع عن الحرية والتطور، ظهرت في القرنين 14 و15 في عصر النهضة. أصبح التفكير في الإنسان من مشاغل المفكرين ونمت فكرة علوم إنسانية.

---

[1]- Noella baraquin. jean dugue .francois ribes Annebaudart. Jacqueline laffite. Joel.wilfert her .Dictionnaire de Philosophie. Armand colin – paris 2edition 2000 p267.

[2]- لالاند أندري، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[3] - المرجع والصفحة نفسها.

سميت علوما معنوية Morals تدرس الإنسان Homo. الفلسفة تتأمل في هذا الموضوع الهام.يتمثل السلوك في عدة صور كالأفعال والحركات واللغة والتصرفات، لها آثار خارجية.

ما هي العلوم الإنسانية؟ ؟ وما هي المشكلة في هذه العلوم؟ بعض العلوم مثبتة في بعض التصنيفات كعلوم أساسية تثبتها تصنيفات أخرى كعلوم مساعدة، وغير مثبتة مطلقا في حالات أخرى."عندما نسأل ابن خلدون ، أوغست كونت، كارل ماركس، كدروف، بياجي وفوكو عما هي العلوم الإنسانية، فإن الجواب لن يكون واحدا"[1] وذلك حسب الوضعية الإبستمولوجية العامة للمعارف عند كل منهم ونسق المعارف المعاصر له. الفيزياء الاجتماعية مثلا في نظر كونت هي العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية.فالمشكلة الابستمولوجية الأولى في العلوم الإنسانية مشكلة موقعها ضمن خارطة المعرفة العلمية، والثانية أشكال علاقتها بالعلوم الأخرى أما الثالثة فتتعلق بالتحديد المضبوط لهذه العلوم، المبدأ عند بياجي piaget مثلا أن يكون هدف المعرفة البحث عن القوانين المتعلقة بالظواهر التي تكون موضوعا لهذا البحث، ينكر علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الإثنولوجيا واللسانيات وعلم الاقتصاد والديمغرافيا ويضيف الاقتصاد السياسي والقياس الاقصادي، السبرنطيقا، المنطق الرمزي، الإبستمولوجيا العلمية، تاريخ العلوم ويستبعد التاريخ. هي علوم موضوعها الإنسان ينطوي البحث فيها على درجة صعوبة عالية، ويعود ذلك إلى طبيعة العلاقة بين الباحث والموضوع وتعقد الظاهرة الإنسانية.

"إنها العلوم التي تدرس جميع أوجه النشاط الإنساني، فتدرس كل ما تعلق بالإنسان من ظواهر نفسية واجتماعية وتاريخية وسياسية واقتصادية ولغوية واتصالية ودينية وغير ذلك"[2].حسب كلود ليفي ستراوس strauss c.L العلوم الاجتماعية هي العلوم التي تهتم بالإنسان في المجتمع. التفرقة بين علوم اجتماعية وإنسانية مسألة عملية لا علمية"تتضمن العلوم الاجتماعية في نظره، القانون، الاقتصاد، السياسة، علم النفس الاجتماعي، أما العلوم

[1]–وقيدي محمد، العلوم الإنسانية والايدولوجيا،دار الطليعة، بيروت،طبعة1،1983،ص03.

[2]–مصطفى إبراهيم إبراهيم، في فلسفة العلوم،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،الاسكندرية،طبعة 1،2000 ص179.

الإنسانية فتتضمن التاريخ، الأنتروبولوجيا، اللسانيات، علم النفس، الفلسفة"[1].بالنسبة لبياجي piaget "يمكن جمع هذه العلوم في أربعة مجموعات هي:العلوم "الناموسية" "Nomothétique" علوم تهتم بالقوانين والعلاقات الكمية، مثل علم النفس التجريبي، علم الاجتماع، الأتنوغرافيا، اللسانيات، الاقتصاد، الديمغرافيا، هذه العلوم تستعمل المنهج التجريبي سواء بالمعنى الخاص أو العام، العلوم "التاريخية" "Historique" وهي العلوم التي تهتم بسيرورة الحياة الاجتماعية في الزمن، كالتاريخ والنقد الأدبي، العلوم القانونية"JURIDIQUE" وهي علوم معيارية،الفلسفة[2].اصطلاح علوم إنسانية حسب جيل غاستون غرانجيه GRANGER G.G "اصطلاح مبهم بثلاثة أضعاف، المعنى الأول وصفي أساسا، يشتمل تحت هذا الاصطلاح على مجموع تصورات عقلية، فعاليات إنسانية"[3].ويقصد جملة من العلوم "المعنى الثاني، يشمل علوم الإنسان التي ليست موضوع معرفة.في الموضوع الثالث، العلوم الإنسانية هي "علوم" وتستطيع أن تكون مصنفة تحت التصور المعياري للعلم، الذي منه المعنى نفسه (المدلول) بعيدا على أن يكون متواطئا (مشارك) محافظا على المعنى نفسه في مختلف أشكاله،"[4] ولا يفلت من المسألة الاستمولوجية كل علم يصادفها.

الجواب عن مفهوم العلوم الإنسانية ليس واحدا حيث التحديد المضبوط للدراسات التي تعتبر إنسانية من بين المشكلات الابستمولوجية لهذه العلوم. رأى بياجي مثلا أنه ليست كل معرفة موضوعها يتعلق بالإنسان علما إنسانيا ولا تعتبر كذلك سوى أنماط المعرفة التي يكون هدفها البحث عن القوانين المتعلقة بالظواهر التي تكون موضوعا لهذا البحث، يذكرعلم النفس والاجتماع والانثروبولوجيا واللسانيات وعلم الاقتصاد والديمغرافيا، ويضيف السبرنطيقا والابستمولوجيا العلمية وتاريخ العلوم في كتاب أشرف على إنجازه هو "المنطق"إلا أن المعرفة العلمية وتاريخ العلوم القانونية ليست إنسانية كونها لا تهدف

[1]–بغورة الزواوي، مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، مطبعة الهدى، عين مليلة الجزائر، ص، ص 190-191.

[2]– المرجع نفسه، ص191.

[3]–Vergnious Alain, L'explication dans les sciences, Editions de Boeck université, Imprimé en Belgique, 2003, P97.

[4]Ibid.

إلى قوانين طبيعية وموضوعية، تهيمن عليها مشكلة القيم بعيدا عن التفسير العلمي. تصبح علوما إنسانية عندما تطبق معارف من مجالات أخرى فيصبح دارسها عالم اجتماع للقانون أو مؤرخا للقانون. كدروفkedroff يلحق العلوم الفلسفية بحقل العلوم الإنسانية والمقصود الأخلاق والميتافيزيقا والنظريات العامة في المعرفة. العلوم الإنسانية بالنسبة لفوكو FOUCAUT.M مجال معرفي لا يمتلك ميراثا خاصا به. أصبح الإنسان بفضلها موضوعا للتفكير العلمي منذ القرن التاسع عشر. يعتبر علم النفس والاجتماع والأدب والأساطير علوما إنسانية رئيسية تضم ثلاثة علوم أخرى : التاريخ وعلم التحليل النفسي والاثنولوجيا. فالتساؤل عن ما هي العلوم الإنسانية من أهم الأسئلة الإبستمولوجية القائمة، الإشكال لا يتعقل بعلاقاتها بالصياغة الرياضية أو المنهج التجريبي فحسب، بل وضعيتها المعقدة في المجال المعاصر للمعرفة الإنسانية. مهما كان، نشأة هذه العلوم ثورة معرفية ساهمت فيها الاتجاهات العقلانية والاتجاهات التجريبية بصورة أو درجة أقوى.

هناك عدة تسميات يؤثر أصحابها أن تطلق على الدراسات الإنسانية كالعلوم الاجتماعية والعلوم الثقافية والعلوم السلوكية والعلوم العقلية أو الروحية وغيرها. مصطلح العلوم الاجتماعية أقرب مرادف للعلوم الإنسانية لأن الإنسان لا يكون إلا مندمجا في سياق اجتماعي.

يعرف دلتايDILTEY.W العلوم الروحية بأنها " مجموع الدراسات التي موضوعها هو حقيقة التاريخ والمجتمع"[1] هذه العلوم تشمل علوما فنية كالنحو والخطابة وعلوما معيارية كعلم النفس والاجتماع والاقتصاد وعلوما تاريخية مثل التراجم والتراجم الذاتية والتواريخ. نحت جون ستوارت مل MILL.J.S مصطلح العلوم الأخلاقيةMORAL SCIENCE ويقابله في الألمانية GEISTESWISENSCHAFTEN الذي كان يدل على العلوم التي نمت نموا كبيرا في القرن التاسع عشر وتمايزت عن دراسة الطبيعة.ويرى م. فوكو FOUCAUT.M أن العلوم الإنسانية "تتوجه إلى الإنسان من حيث هو كائن يحي، ينطق وينتج وكذا ينمو ويتمتع بوظائف حيوية ويشعر بحاجات، يتفتح أمامه حيزا يربط فيه هو إحداثياته المتحركة

[1] - هـ، ب ريكمان، منهج جديد للدراسات الإنسانية،محاولة فلسفية،ترجمة و تعليق الدكتور عبد المعطي محمد و الدكتور محمد علي محمد،مكتبة مكاوي،بيروت، طبعة 1979،1،ص 105.

ويصالبه وجوده الجسدي بشكل عام مع كل ما هو حي"[1]. وكائن ينتج أشياء وأدوات ويبادل ما هو بحاجة إليه وينظم شبكة يسير في قنواتها كل ما يستهلكه ويرى فيها نفسه محددا في داخلها كنقطة وصل، يظهر في وجوده الفردي متشابكا مع الغير، وكائن له لغة يكون بها عالما رمزيا يرتبط من داخله بماضيه والأشياء والآخر ويشكل المعرفة خاصة حول ذاته، ترسم العلوم الإنسانية إحدى أشكالها الممكنة. يقول " نشأت لحظة خضوع الإنسان لإمكانية معرفة وضعية ".[2] لا يعتبر البيولوجيا والاقتصاد وفقه اللغة كأولى العلوم الإنسانية، فالبيولوجيا مثلا تعني عدة كائنات حية أخرى غير الإنسان والاقتصاد وفقه اللغة يرتكزان على الإنسان دون سواه، الإنسان في العلوم الإنسانية هو الكائن الذي يكون داخل الحياة التي ينتمي إليها تمثيلات يعيش بفضلها، الاقتصاد لا يشكل أحد علوم الإنسان حتى لو كان الإنسان هو الوحيد الذي يعمل "ليس هناك علم الإنسان إلا إذا انكببنا على الطريقة التي يتمثل بها الأفراد أو المجموعات شركائهم في عمليتي الإنتاج والتبادل والطريقة التي يبينون بها أو يجهلون أو يخفون تلك الإوالية وموقعهم فيها وأسلوب تمثيلهم للمجتمع الذي تتم داخله تلك [الإوالية]" ، اللغة بالنسبة له ليست من علم الإنسان في شيئ.معرفة التحولات الصوتية وقرابة اللغات وقواعد الانزلاقات الدلالية، الدراسة التشريحية للمراكز العصبية وآلياتها الفيزيولوجية لا تدخل في نطاق اللسانيات أو العلوم الإنسانية.

هي علوم تتعلق بالإنسان و" قد نتمكن من صياغة تعريف بوضع قائمة للفروع التي يغطيها مصطلح الدراسات الإنسانية، فهناك التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية والاقتصاد والفيلولوجيا والتشريع والدين المقارن. وبعض المسائل ذات الموضوعات العامة (الجريمة ونظريات الاتصال والدراسة الإدارية)"[3] وهي موضوعات ذات سمات مشتركة كما ترتبط بالمناهج التي تتبعها.إن الحاجة إلى فهم مشكلات الناس وعلاقاتهم بالمجتمع أدت إلى توسع سريع في البحوث الإنسانية بالإضافة إلى الانفجار السكاني والتكنولوجيا الحديثة التي فرضت مزيدا من التعقد في حياتنا.فالإنسان في الحقيقة

[1] - فوكو،ميشال الكلمات و الأشياء،ترجمة مطاع صفدي ود.سالم يافوت و د.بدر الدين عرودكي ود. جورج أبي صالح و د. كمال اصطفان. ترجمة و نشر مركز الإنماء القومي، ص 285.

[2] – المرجع و الصفحة نفسها.

[3] - هـ، ب ريكمان، المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

هو موضوع الكثير من العلوم سواء مباشرة أو بشكل غير مباشر.فلو سألت عالما في الأحياء لأجابك بأن موضوعه هو الإنسان ولو سألت فسيولوجيا لأجابك بأن موضوعه هو الإنسان أيضا، ألا يدرس وظائف الأعضاء المختلفة وبنائها وانتظامها، ولو سألت أنثروبولوجيا لأجابك نفس الإجابة: ألا يدرس موقع الإنسان في الطبيعة وتكيفه لها سواء كانت تلك الطبيعة مادية أو حضارية ولو سألت عالما اجتماعيا أو مؤرخا أو رجل اقتصاد أو جغرافيا أو حتى كيميائيا لأجابوك نفس الإجابة تقريبا، ولكن باتجاهات مختلفة، جميعهم يدرسون جزء هو زيادة سيطرة الإنسان على بيئته الطبيعية أو الاجتماعية أو على نفسه.

والآن ما المشكلة في هذه العلوم؟ أما السؤال الثاني الخاص بالمشكلة فالإجابة عنه: المشكلة هنا هي أساسا مشكلة المنهج الذي ينبغي أن تسير عليه هذه العلوم في دراستها للإنسان؟ هل ينبغي أن تستخدم المنهج التجريبي الذي تستخدمه العلوم الطبيعية؟لقد اختلف المفكرون في المنهج الذي ينبغي أن تسير عليه وانقسموا فريقان:فريق الطبيعيين أو أتباع المذهب الطبيعي الذين يرون ضرورة تطبيق مناهج العلوم الطبيعية سواء بسواء واللاطبيعيون الذين يذهبون إلى أن العلوم الإنسانية تدرس موضوعا (وهو الإنسان) يتميز بعناصر فريدة لا مثيل لها في الموضوعات التي تدرسها العلوم الطبيعية، فتتعذر دراسته بالمناهج التي تدرس الجماد والنبات والحيوان.

نشأة العلوم الإنسانية كانت تتطلب إلى جانب تطوير المنهج بناء الموضوع الذي ستتناوله هذه المعرفة،فإذا ركزت الدراسة على علاقة الإنسان بالآخرين وعضويته في الجماعة وتفاعله وثقافته من بداية تطوره إلى الآن كنا بصدد علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، والاهتمام بالأفكار والتقييمات وقواعد السلوك في المجتمعات البدائية وإذا كان محور الدراسات النظام النقدي المتبع وإنفاقه واستهلاكه...إلخ، كنا في ميدان الاقتصاد، دراسة السلوك ودوافعه والتعلم والذكاء والشخصية في ميدان السيكولوجيا، دراسة الإنسان من حيث انتمائه لحزب أو مذهب أو سياسي أو العلاقة بالنظام الحاكم موضوع علم السياسة،دراسة الحوادث التاريخية، ما وقع للإنسان في الماضي دراسة وصفية تحليلية وتركيبية موضوع التاريخ كعلم يعيد تكوين الماضي كقصة ذات معنى.

فما طبيعة المناهج التي تستخدم في السلوك الإنساني؟

المنهج هذا اللفظ ترجمة للكلمة Méthode الفرنسية وما يقابلها في اللغات الأوروبية. تعود للكلمة اليونانية Metodos التي استعملها أفلاطون مثلا بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة وأرسطو بمعنى بحث ، معناها الاشتقاقي يدل على الطريق أو المنهج المؤدي إلى الغرض المطلوب خلال المصاعب والعقبات. المنهج مجموعة القواعد المصاغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم. ترجع كلمة METHODOLOGIE خاصة إلى كونت comte بمعنى تحديد الشكل العام لكل علم والطريق التي تكون بها أي علم كان. وهناك من يرى أن المنهج هو تجمع نسقي من عمليات معرفية ترتبط بتقنيات نوعية أو إجراءات خاصة، مثل التصنيف والتصور والتجريد والحكم والملاحظة والتجربة والتعميم والاستقراء وغيرها، يمكن أن نضع الفهم ضمن التصنيف (الفهم ليس بمنهج)، كل العمليات المذكورة تستخدم في التوجيه العملي لكل الدراسات والعلوم برغم وجود حدود على سبيل المثال التجربة مستحيلة في الفلك (كتب المنطق ناقشت هذه العمليات).

طبيعة الظاهرة الإنسانية:

"ظاهرة phénomène واقعة يمكن إدراكها أو الشعور بها، يطلق هذا المصطلح على جملة الوقائع التي تكون مادة العلم"[1] نوعية هذه الظاهرة وتعقدها بالنسبة لظواهر العلوم الطبيعية أدى إلى القول أن الإنسان لا يسعه إلا أن يقابل بسخرية كل أولئك الذين يتحدثون عن علوم إنسانية متناسين أن الإنسان يفلت من كل تحديد.فما الإنسان وهل يحظى بإجابة علمية؟فلسفة العلم ترد أسباب مشكلة العلوم الإنسانية إلى عاملين أساسيين:أولا نوعية الظاهرة الإنسانية وثانيا طبيعة العلاقة بين الباحث وموضوع بحثه حين دراستها، تفاعلهما معا.

ينجم عنه الافتقاد إلى اليقين والدقة ومن هنا تأتي عوامل تعثر المرحلة التفسيرية،هذا بينما المحتوى المعرفي للعلوم الطبيعية ينصب على ظواهر محايدة لأنها خالية من الوعي والإرادة، فالعلوم الطبيعية تجري في طرق حددت معالمها ممارسات عريقة متفق عليها، تصاغ قوانينها ونظرياتها في حدود منطقية مقننة بدقة لذلك استقالت عن الأوضاع والمؤثرات الخارجية.أما في العلوم الإنسانية المشروع العلمي يمتزج مع أمور ليست

[1] وهبة مراد،وشلالة،يوسف، المعجم الفلسفي:عربي-انجليزي—فرنسي، دار الثقافة الجديدة، طبعة 1971،2، ص134.

علمية.فالاعتقاد بالقدرة على تفسير السلوك الإنساني في تفاصيله تفسيرا نفسانيا أو سوسيولوجيا أو غيره يعني عدم الاعتراف بواقع كونهما متعلقين بنظرة ما وأن هذه النظرة متعلقة ببعض الوضعيات، مثلا لحظات تكون فيها النظرة النفسانية إلى الآخرين مستحيلة،"فإنه من الصعب بل من المستحيل أن نصل إلى بحث اجتماعي نحقق له أقصى درجات الموضوعية حسب بعض الباحثين. "[1]

تحويل الكيف إلى كم، وهذا أمر ممكن في العلوم الطبيعية لكنه عسير في العلوم الإنسانية، إننا نستطيع أن نقيس الحرارة والصوت والضوء والكهرباء وما إلى ذلك فنحولها إلى كم لكن كيف نحصل على قياس كمي مضبوط في موضوعات مثل الإرادة والشعور والعاطفة والذكاء والدولة والديمقراطية...الخ.وكيف يمكن أن تتحول هذه الموضوعات إلى كميات دقيقة كما تتحول الحرارة إلى درجات ؟ وهل يقتضي قيام علوم الإنسان التضحية بفكرتنا عن الإنسان أم بفكرتنا عن العلم؟ من الصعب إجراء التجارب في العلوم الإنسانية في معظم الحالات وهي إذا ما تمت فلابد أن تكون في نطاق ضيق جدا، فلا يمكن الاعتماد عليها كأساس لمنهج دقيق.

في الواقع هناك أسباب كثيرة تحول دون استخدام المناهج التجريبية في العلوم الإنسانية لعل من أهمها:صعوبة التوصل إلى الموضوعية التي يتطلبها منهج البحث،ولأن للإنسان إرادة حرة تتدخل في الظواهر الإنسانية وتغير مجراها تغييرا قد يجعل من العسير إخضاعها لقانون علمي ثابت مما يجعل أن التنبؤ أيضا متعذر، إن لم يكن مستحيلا في هذا المجال، فكيف يمكن إجراء التجارب، فهل يستطيع عالم الاجتماع مثلا أن يوجد المجتمع الذي يدرسه في ظروف يهيئها بنفسه وهل بإمكان عالم الاقتصاد خلق أجواء اقتصادية معينة يجري عليها تجاربه؟ يمكن القول أن أول خطوة في بناء الموضوع هي تمييزه بما يخصه عن موضوعات المعرفة الأخرى.

هذه العلوم تتعامل مع كائن حي فعال ومنفعل وعادة ما يوجه إليها النقد بأنها ليست علوما بالمعنى الدقيق لاختلاط ذات الباحث بالموضوع.الإنسان كتصور كلي يندرج تحته أفراد لا نهاية لعددهم وبالتالي توقع اختلاف الاستجابة من فرد لآخر، الاختلافات واضحة في كل

[1]–د.محمد علي، ماهر عبد القادر، فلسفة العلوم، الميثودولوجيا (علم المناهج) دار المعرفة الجامعية 1999، ص26.

شيء بين فرد وآخر، الإنسان حر الإرادة المتحرر من الشروط الفيزيولوجية والاجتماعية لا ينطوي تحت مقولة الحتمية،يترتب على هذا عدم إمكانية وضع قانون واحد يصدق على كل إنسان.ننطلق في التعميم من معطيات ثابتة بعد العديد من الملاحظات والتجارب التي يمكن تكرارها في أي زمان ومكان والحالة ليست كذلك في العلوم الإنسانية إذ لكل شخص توقعاته الخاصة به، فسلوك المثقف مثلا يختلف عن سلوك الأمي، وذكاء العالم يختلف عن ذكاء الإنسان العادي.ومن تم اعتبار هذه العلوم غير متسمة بالموضوعية وهي السمة الأساسية للتفكير العلمي، طالما الإنسان الذي يدرس هو نفسه موضوع الدراسة،فالذات العارفة تكون موضوع المعرفة.

المشكلة العويصة التي واجهت الدراسات الإنسانية تتمثل في غلبة النزعة الذاتية وغياب الموضوعية في كثير من الأحيان، فيتضح أن الظاهرة الإنسانية تنأى عن المفهوم والتفسير الذي يوافق الظاهرة الطبيعية. فالحتمية لا تظهر في السلوك الإنساني إلا إذا غلبت عليه الآلية وكنا نقيس ظواهر ذات أساس فيزيولوجي.

إنه من الصعب التحكم في أثر المتغير بنفس الدرجة على الأفراد أو الجماعات التجريبية مثلا لأن تفاعل الأفراد أو استجاباتهم مع أي عامل تجريبي قد يتأثر بالفروق الفردية والخلفية الثقافية أو الاجتماعية أو العاطفية للفرد والجماعة والمجتمع.وكذلك أخطاء تحيز الأشخاص إذا فطنوا لأهمية دورهم في نجاح التجربة لما يترتب عليها من نجاح الباحث الذي تربطهم به علاقة القرابة أو لتوقعهم بأن هناك عائد خاص عليهم إذا نجحت التجربة وفي هذه الحالة يكون السلوك غير طبيعي والتجربة أيضا غير طبيعية. فإذا كانت كل ظاهرة تحتاج إلى تحليل وتفسير، من الصعب أن يتجرد الباحث من ذاته تماما، أي من انتمائه الاجتماعي أو الفكري والديني لهذا قد يتأثر الموضوع بتفاسير الباحث حتى إذا اعتمد على الملاحظة والمقابلة في تجميع المعلومات فإن تفسيره قد لا يكون معبرا تماما عن مصداقية المبحوث.انطلق هذا الحوار الحاد عندما أصدر الفيلسوف الألماني دلتاي سنة 1883 كتابه علوم الروح وبين فيه وجود طريقتين: التفسير والفهم،علوم الطبيعيات ودورها البحث في أسباب الظواهر وإبراز العلاقات الموضوعية بين الأشياء ورد الجزيئات والتفاصيل إلى مبادئ عامة، تحكمها قوانين يقع التعبير عنها رياضيا (علم

الرياضيات) "ويمكن التثبت منها عن طريق التجربة المخبرية التي يمكن تكرارها إلى ما لا نهاية، أما الطريقة الثانية فهي الفهم وتهم علوم الروح أو العلوم الأخلاقية، ودورها البحث بواسطة الحدس والتعاطف مع المقاصد الواعية للفعل التاريخي، لأن سلوك الإنسان "لا يفسر" ولا يمكن رده إلى مبادئ عامة أو قوانين تحكمه، (المؤرخ قادر على فهم الكثير من نوايا إنسان آخر في الماضي، رغم أنه يقرأ تلك النوايا من خلال الحاضر الذي يعيشه)[1]، ينبغي أن تقتصر العلوم الإنسانية على التحليل الوصفي لما يقع بالفعل في خبراتها أي الفهم وتأويل التعبيرات.

في الاقتصاد كان كارل مانجر يدافع عن النظرية الحدسية (تؤسس مفهوم القيمة على العناصر النفسية كالرغبة والحاجة لا على أسعار الإنتاج) وغوستاف شمولار gostaff الذي رأى عدم إمكانية دراسة المجتمعات بواسطة مفاهيم مجردة ولا إنسانية وضرورة وضع الحقائق الاقتصادية في أطرها التاريخية (المدرسة التاريخية في الاقتصاد)،انتصر لأفكار دلتاي فلاسفة مؤرخون أمثال هريش ريكارت RICKeRT وجورج سيمال SIMEL.G إعطاء الأولوية للحدس والإلهام.

وفي مجال التاريخ الحرص على التعرف إلى المقاصد وهل كان الفاعل التاريخي صادقا في التعبير عن مقاصده وهل هذا الفعال مريضا نفسانيا، فكيف يكون الموقف حياله؟ شمل صراع المناهج كل فروع المعرفة الأكاديمية، كان إفرازا للكانطية الجديدة أو النقدية الجديدة، إنجاز كانط لثورة كوبرنيكية في الفلسفة بإثبات أن الإنسان لا يمكنه معرفة طبيعة الأشياء (جوهرها) وفي ذاتها وإنما كما تظهر له. كان كانط KANT.I وهيغل HEIGEL.F نقطتا تحول تحطمت عندها عادات الفكر القديمة لتتقدم مشكلات ومناهج جديدة.كل مقاربة للعالم تهيكلها أطر الذهن القبلية (العلية، الجوهر، الكم، الكيف) وتعتبر هياكل كامنة في الذهن البشري. لا تكون مقاربة الواقع كما هو وإنما كما يمكن للعقل أن يدركه. فدور الفلسفة التعرف إلى الذات المفكرة لا الموضوع المفكر فيه. ومن جهة أخرى ظهور الفينومينولوجيا وطرح هوسرل HUSSERL الاتجاهات القديمة في تعريف ماهية الوعي

[1]–د.التيمومي الهادي، مفهوم التاريخ و تاريخ المفهوم في العالم الغربي من النهضة إلى العولمة، دار محمد علي للنشر، تونس، طبعة1، 2003، ص ص60-61.

الإنساني، رفض الانفصام بين الذات المفكرة والموضوع (العالم الخارجي)، ووجود علاقة يجب فهمها.هوسرل أراد بالموقف الفينومينولوجي دراسة الظواهر دارسة وصفية فتصبح الفينومينولوجيا منهجا من مناهج البحث، يهدف إلى إدراك الظواهر حدسيا لفهم الماهيات والقبض على جوهر الأشياء وبالتالي إتاحة مجال للمعرفة دون الالتفات إلى الأعراض الحسية لظاهرة من حيث أن المعرفة الحقيقية هي إدراكنا للمكنون الجوهري العميق.

حاول علماء سوسيولوجيا المعرفة استنادا إلى ذلك المنهج، القيام بمعالجة مسألة القيم الإنسانية ودراستها دراسة "موضوعية مطلقة" على ما فعل ماكس شيلر، فالبحث الفينومينولوجي رافد عظيم للاتجاه الراهن ومصدره في هوسرل، كان أثره كبيرا في علم النفس عند سارتر وعلم الاجتماع عند شوتس "الحياة النفسية محددة في علاقتها بالوسط بالقصدية، هذا السلوك يصبح فعلا لعلاقة MOI SITUATION،لا وجود في العلوم الإنسانية لأحداث موضوعية محضة، لا يكون موضوعا ما ذو معنى إلا بالنسبة لذاتية SITUE فالشعور مانح للمعني، فبالنسبة للفينومينولوجي كل حدث إنساني ماهية معبرة عن معنى".[1]فالفهم يجعلنا نقف على بواعث ودوافع السلوك والتصرفات ونعرف مالها من مقاصد وأهداف وغايات وهذا يعوض العلوم الإنسانية لما يفوتها من عدم إمكانية تطبيق مناهج العلوم الطبيعية أو الرياضية ما دمنا نستطيع بالفهم جمع البيانات والشواهد وترتيبها وتصنيفها ومقارنتها واستنتاج ما تتضمنه من نتائج والتأكد من صدقها.

"ينتج عن هذا الوضع الفلسفي أن دور علوم الإنسان ليس دراسة الحوادث بل المعاني، دراسة الظواهر، ما تعني للموضوع".[2]التأكيد على المعاني يدل دلالة واضحة على التأكيد على الناحية الشخصية غير الموضوعية SUBGECTIVE للفعل الإنساني وهو السلوك الإنساني ظاهرا أو باطنا وهذا يتنافى مع منهج التفسير أو دراسة البشر وأصولها دون التفهم الذي يعتبر الواقعة أو الحقيقة في هذه العلوم، حيث انبهار الفلسفة التجريبية بالعلم الطبيعي واستيراد العلم التجريبي إلى الدراسات الإنسانية فيه قضاء على الكثير من القيم كما أنه موقف يكتفي بالقيمة الظاهرية للأشياء ويمضي باحثا عن العلل والدوافع وراء

[1]-Mucchielli, Allex, L’analyse phénoménologique et structurale en sciences humaines Presse, Université de France, 1er édition 1983, P 16

[2] -Op.cit

الأحداث والبطولات، لا يهتم بعظماء الرجال بل ما وراءهم من أسباب.أن نتفهم هو أن نعرف ما يجربه شخص ما من نسخة من تجربته التي هي رغم أنها تحيا في وعيي إلا أنها مسقطة فيه ومدركة على أنها ما يخصه هو وليس ما يخصني، ولا يكون التفهم بدون مشاركة وجدانية (التعاطف بالتعايش).يتعلق التفهم بشخص واقعي أو شخصية في مسرحية أو دور.

نجري التفهم عن طريق إسقاط أنفسنا في الموضوع أو عليه كانعكاس للتجارب التي تحدث للآخرين في عقل المرء، إدماج محظور الصورة المدركة في داخل وعي الذات.أكثر ضروب البحث موضوعية حسب هي أكثرها ذاتية أو متى كنا نحي ثانية في أنفسنا ما ندرسه، نعيد حياة الفعل في أنفسنا أو تكرر نفسها في عقولنا، حيث نضع أنفسنا في موضوع الأطراف المعنية مثلا في حادث تاريخي، فعوض ثم نقول من ثم.وهذا يعني أن الفهم يصبح أكثر ثراء إذا أعطينا للتعبير الذي نحاول فهمه أبعادا أكبر.

وعلى سبيل المثال يمكن أن أرى إنسانا يحرك ذراعه، أفهم من ذلك أنه يحييني تحية الصداقة، ومن هنا إشارته على أنها نوع من التحية أو التشجيع، لكن إذا سألني في اليوم التالي أن أمنحه قرضا ماليا، فأفهم حقيقة إشارته أنها نوع من الرغبة في الفوز بالخطوة حتى أعطيه القرض ومثل ذلك ينطبق على أشياء كثيرة، فالموضوعات تكون أمامنا بطريقتها التكوينية لكن تعبيراتها يجب أن تفهم في سياقها، تشير إلى ما ورائها. "هناك صعوبات تنشأ أمام الباحث تعوقه عن استخلاص نتائج من شواهد وبينات، وعن امتلاك حكم سليم على القضايا، قد يتحيز أو يتعاطف، أو يتأثر بالنشأة الاجتماعية أو التوجه السياسي وهي حجج قيل عنها شخصية أو إنسانية تقترب من أوتان بيكون BACON. f وصفها بالقول أنها تحاصر عقول البشر فلا تجد الحقيقة مخرجها"[1]، هذه العوائق تتعلق بثلاثة مستويات: الذاتية، القيمة والإديولوجيا.يقولون أن الوقائع الإنسانية كلها ذاتية أي أحوال عقل إنسان ما وطريقة خاصة أو نظرة للأشياء ذاتية، فسبب غضبك قد لا يكون سبب غضبي.وهكذا.

[1]-أنظر د.قنصوة، صلاح، الموضوعية في العلوم الإنسانية (عرض نقدي لمناهج البحث)، دار التنوير للطابعة والنشر، بيروت-لبنان، طبعة 2، 1984، ص58.

الذاتية تتعلق بمشكلة استقلالية الموضوع عن الذات الدارسة، الدراسات الإنسانية تتطلب التمييز في الأفعال البشرية بين الداخل والخارج، وتظهر الصعوبات خاصة عند دراسة العقل، حيث تتدخل الخبرة الذاتية، هناك ألفة موجودة في هذا المجال هي عائق حقيقي يؤدي غيابه إلى جعل الموضوع مستعصيا على الفهم. الصلة بين الذات والموضوع لها في العلوم الإنسانية وضع خاص "العلم الاجتماعي النزيه لم يوجد قط ولأسباب منطقية لن يوجد على الإطلاق"[1]. إن طبيعة التعامل مع المواضيع والمشاكل التي تتناولها العلوم الإنسانية قد تختلف عن طبيعة التعامل مع مواضيع ومشاكل العلوم الطبيعية لأن التعامل العلمي مع المادة يختلف عن التعامل العلمي مع الإنسان وتختلف طبيعة المواد كما تختلف طبيعة المجتمعات فلا يحق أن نحكم مثلا على طبائع المجتمع الغربي بطبائع المجتمع العربي نظرا لوجود الخصوصية التي لا تسمح بالتعميم.

المبحث الثاني: إشكالية الفهم في العلوم الإنسانية

دراسة الوقائع الإنسانية دراسة للمعاني تختلف عن وقائع العلوم الطبيعية من حيث القصد والمعنى المتضمن في الأولى والذي يرجع إلى طبيعتها الإنسانية، فالنشاط الإنساني يتجه إلى الضبط، يعتبر التجريب موقفا مصطنعا لإثبات حقائق أو التأكد منها وفي العلوم الاجتماعية والإنسانية تكون الحقائق كامنة وتظهر في تصرفات وسلوك وهنا تكمن الصعوبة العلمية التي تواجه العلوم غير الطبيعية لأن ما نود مشاهدته وملاحظته يقع تحت سيطرة المبحوث وظروفه الخاصة التي قد لا يسمح بإظهارها للمشاهدة أو يسمح لجزء بسيط منها فقط وقد يظهر عكس حقيقة الموقف أو الظاهرة لاعتبارات قدرها بذاته وفي

[1]- المرجع نفسه، ص 373.

هذه الحالة تكون المعلومات المتحصل عليها عن طريق الملاحظة والمشاهدة غير صحيحة.وحتى عن طريق المجموعة الواحدة أو المجموعتين أو أكثر إذا اعتمدنا على المشاهدة قد تكون أحكامنا غير صائبة مائة في المائة لأن المجموعات التجريبية والضابطة وإدخال المتغيرات عليها أو على بعضها يجعل المجرب عليهم تحت تأثير مباشر من الباحث وهنا قد يتصنع البعض أو الكل إظهار التزام أو انضباط أكثر أمام الباحث، وأقل من ذلك بكثير أحيانا في حقيقة الأمر أي أن السلوك مصطنع.يتم تعميم النتائج على آخرين لم يشتركوا في البحث.

وبمأن دراسة الإنسان من حيث مشاعره وأمانيه واستعداداته وحبه وكرهه مسألة يصعب التحكم فيها والتأكد منها فمن الصعب التجريب.

فالتجريب التقليدي أو المحاولات التي قام بها البعض في العلوم الإنسانية لا يمكن أن تخلق قاعدة علمية في هذا المجال بل محاكاة فقط ومن الأفضل اكتشاف أساليب أخرى تمكن من الانسجام مع طبيعة البشر وليس طبيعة الحيوان والجماد والنبات الذي لا يجادل ولا يعقل.فتجارب المختبرات قد تعطي نتائج فورية لكن تجارب البشر تحتاج إلى زمن أطول لكي تعطي حقائق وأدلة يحتكم بها أو إليها.وإذا أردنا للعلوم الإنسانية أن تتقدم يجب أن نسخرها بوضوح لخدمة الإنسان. "يبدو،بعد قرن تقريبا من تطور العلوم الإنسانية أن كل مجهود لصف العلوم الإنسانية على النموذج الابستيمولوجي لعلوم الطبيعة(متذرعين بضرورة استدراك تأخر لا يكون إلا تاريخيا)محكوم عليه بالإخفاق. لا تكون أبدا علوما تفسيرية ولا تصوغ نظريات يمكن أن تؤكدها التجربة"[1] ولهذا لا يصدر الباحث أحكاما مطلقة عند دراسة المجتمعات الإنسانية كما لا يأخذ ما وصل إليه الذين سبقوه بأنه مسلمات. يجب الابتعاد عن إقامة الارتباطات السببية، أن نتجه إلى تصنيف أنماط الثقافة والشخصية "نظرية ما، في مجال العلوم الإنسانية هي دائما نظرية مؤلف يمكن الرجوع إلى فرويد لكن الرجوع إلى نيوتن لا يكون له أي معنى في الفيزياء"[2].

[1] Renee bouveresse, la philosophie et les sciences de l homme collection dirigée par jean-pierre zarader. Ellipses. édition marketing s.a 1998 paris , p24.
[2]-IBID.

الفهم يرتبط بالخبرة وبالحدس والاستبطان الذاتي، فالباحث الاجتماعي لا يجب أن يلتزم كلية بالقياس، بل يطور فكرته عن الموضوع أو الظاهرة من خلال تصور ذاته داخلا في الموضوع أو جزء منه وبالتأويل ينفذ إلى المعنى من خلال نوع من الخبرة الحدسية وغايته بأي حال من الأحوال كيفية لا كمية. ولا ريب أن الباحث لابد أن يعنى عناية خاصة بالنظم من حيث نشأتها ووظيفتها وتطورها وكذلك بعلاقاتها المتبادلة وصلتها بالفرد وهكذا لا مفر من التصدي بالدراسة لهذه الغايات والقيم ومن هنا كانت صعوبة التخلص من التفسيرات الغائية في العلوم الإنسانية،يضاف إلى ذلك اصطباغ تحليلات هذه العلوم بالطابع الكيفي الذي يتعذر إخضاعه للتكميم.فالتفسيرات الغائية والتحليلات الكيفية عقبات رئيسية في طريق صياغة قوانين عامة في هذه العلوم."فعلى خلاف قوانين الفيزياء والكيمياء ليس لتعميمات العلوم الإنسانية سوى مدى شديد الضيق تحدده الظواهر الاجتماعية التي تحدث أثناء حقبة تاريخية قصيرة وفي نطاق أوضاع نظمية خاصة"[1].إن النتائج التي قد تبلغها دراسة لمعطيات عينة مستخلصة من مجتمع واحد لا يحتمل أن تصدق على عينة نستخرجها من مجتمع آخر.ففي العلوم الإنسانية لا بد أن نميز بين الداخل والخارج فيما يأتيه الناس من أفعال.فالسلوك الخارجي الظاهري هو محصلة بشكل أو بآخر لتفاعلات ذاتية باطنية. وقد يعني هذا أن نفترض سلفا الألفة بالبواعث والنوايا وسائر مصادر السلوك الإنساني الهادف ولا يمكن أن نلم بها إلا بتوسط من خبرتنا الذاتية. "فعلى الرغم من انطواء الأفعال الإنسانية على عمليات فيزيائية فسيولوجية لا تتباين قوانين عملها في كل المجتمعات، إلا أن الطريقة التي تشبع بها الجماعة الإنسانية حاجاتها البيولوجية الأساسية لا تتعين فحسب بالوراثة البيولوجية أو الطابع الفيزيائي للبيئة الجغرافية لأن تأثير هذه العوامل على الفعل الإنساني تتوسطه تقاليد ثقافية خاصة تساهم الغايات والقيم الإنسانية في صوغها"[2].أي من غير الميسور في العلوم الإنسانية أن نميز في العديد من المصطلحات المستخدمة بين ما هو منتسب إلى تقرير الواقع وما هو نابع عن أحكام ذاتية.

[1] د. قنصوة، صلاح، المرجع السابق ص 57.

[2] – قنصوة، صلاح المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

"ويذهب البعض الآخر من أمثال ماكس فيبر WIBER. M إلى أن الباحث في العلوم الاجتماعية يجب أن يكون على فهم تام بنتائج الفعل الاجتماعي وأن يوحد ذاته بأصحاب هذا الفعل الذي يرتبط بموضوع بحثه".[1]

الفهم داخلي يتجه نحو الخبرة البشرية "فهم ENTENDEMENT هو تصور لفظ المخاطب، هو الإدراك أو حصول الصورة عند النفس الناطقة وهو قوة كقوة الذهن، أو استعداد لإدراك العلوم والمعارف بالفكر وجودة الفهم هي صحة الانتقال من الملزومات إلى اللوازم"[2] ينطوي الفهم على جانب ذهني وجانب عملي هو تحقيق الأشياء بالذهن، الفهم تصور للمعنى ويرادف الإدراك، استعداد تام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر."الفكر عند هايدغر HEIDGGER هو VERSTEHEN أي نفهم مواقفنا في الوجود، ونحددها ونشرحها ونتأملها".[3]و ورد في تعاريف أخرى "عند أفلاطون هو نوع من المعرفة يقع بين الظن *Dota* والحدس NOESIS عند أرسطو يقال على النشاط العقلي عامة، وحين يقال في مقابل الحدس فإنه يعني الاستدلال القياسي وتندرج تحته المعرفة النظرية EPISTEME والمعرفة العلمية TECHME والمعرفة الخلقية PHRONESIS"[4].أما التحليل العقلي للمجتمع بوصفه منشأة لخدمة الحاجات و القيم الإنسانية وإرضائها،فنجده لدى توماس مور MORE.T في يوتوبياه الشهيرة و رفاقه من أصحاب النزعة الإنسانية. و أول ما يصادفنا في التيار العقلاني العلمي فيكوvico الذي ترجع إليه فكرة وجود أو إمكان وجود علم إنساني يكون مرآة للعقل وسجلا لتطور الإنسان في الآن نفسه،فهو أول من أعلن أن "المجتمع الإنساني صنعه الإنسان ومن ثم فإن الإنسان يمكن أن يفهمه"[5].الفهم هو استيعاب المحتويات العقلية التي يجسدها تعبيرا معينا. أن يفهم الإنسان العالم أن يعيشه كاملا وفي حرية وبثراء. يمكن اعتباره عملية معرفية متميزة وهو مصطلح بمثابة المحور الذي يدور حوله الجدل، فلقد هاجمه الوضعيون كما لعب هو نفسه دورا هاما في الرد على الوضعية. عند ديكارت

---

[1]– المرجع والصفحة نفسها.

[2]–د.الحفني عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، الناشر مكتبة مدبولي القاهرة، طبعة 3، 2000م، ص623

[3]– المرجع و الصفحة نفسها.

[4]–وهبة، مراد، معجم المصطلحات الفلسفية، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، ص514.

[5] د. قنصوة،صلاح،المرجع السابق ص41.

الإدراك يقال على الإحساس والتخيل وتصور الأشياء العقلية المحضة عند هيوم HUME إدراكات العقل البشري بأسرها تنحل من تلقاء نفسها إلى نوعين متميزين أحدهماعن الآخر وسأطلق عليها لفظتي (انفعالات وأفكار).

"في علم النفس الإدراك نوع من الاستجابة لا لأشكال من حيث هي مجرد أشكال حسية، بل لرموز وأشياء وترمي هذه الاستجابة إلى القيام بضرب معين من السلوك[1]" أول مراتب وصول العلم إلى النفس الشعور ثم الإدراك.وبالتالي يمكن القول، الفهم إدراك حدسي للدلالة القصدية لنشاط إنساني ما للنفاذ وراء الظواهر المدروسة، استحضار معيش الآخرين في كليته دون عزل المعنى والقيمة، هو نظرة إلى الواقعة الإنسانية في كليتها وشموليتها بعيدا عن التجزئة، مثال: فهم إصلاح قانوني معين، أمر يستوجب النظر في المجموع التاريخي، الاجتماعي والثقافي الموجود وراءه والذي أفرزه.

التغير الفكري في القرن التاسع عشر ظهرت بفضله علوما متتابعة كالأنثروبولوجيا والاقتصاد والجغرافيا والعلوم السياسية وعلم النفس والاجتماع، فالمناهج التي اعتمدت عليها خلال مرحلة النشأة الأولى مناهج لغوية وتاريخية استبطانية في الغالب، و يرتبط الاستبطان بفهم الإنسان للواقع حوله، بتبلور انفعالات الإنسان الداخلية. يمكن التعبير عن الاستبطان في صورة تصريحات يدلي بها الناس عن أفكارهم وانفعالاتهم كما يعتبر المنهج الرئيسي لدراسة الظواهر النفسية فيما يسمى بعلم النفس المثالي.فالاستبطان هو "العملية التي بها تشاهد الذات ما يجري في الذهن من شعوريات بقصد وصفها لا تأويلها وما هي في الواقع إلا عملية تذكر إما للماضي القريب أو البعيد"[2].الاستفهام طلب الفهم، فهو الجواب على السؤال ما هذا؟ كتب حول هذه النقطة منذ زمن بعيد، عملية تشترك فيما قوى الروح.يتضمن الفهم كثيرا من جوانب موضوع التعبيرات إذ هي الوسيلة الوحيدة التي يحدث الفهم من خلالها، وتعد من ناحية معينة الموضوع الوحيد للدراسات الإنسانية كمظاهر فيزيقية نستقبلها بالحواس كالكلمات المكتوبة مثلا بطبيعتها المزدوجة تحيلنا إلى ما يوجد وراءها من معاني نفهمها وكصرخة الألم وعبوس الوجه.

[1]–وهبة، مراد،وشلالة، يوسف،المرجع السابق ص8.

[2]– المرجع السابق ص12.

كافة التعبيرات تكشف عن محتوى عقلي وبعضها يحيلنا إلى هذا المحتوى، ويختلف الفهم باختلاف الأنماط.الأفعال تكشف عن المقاصد والاتجاهات. فتمزيقي لورقة، قد يعني أنني أريد ترتيب مكتبي، كما يعبر عن نفاذ صبري.لهذا ذهب بعض المفكرين إلى القول بأن من العبث أن نتوقع من العلوم الإنسانية أن تقدم إجماعا أو اتفاقا حول الوقائع و تفسيرها. وينذر أن لا يعبر تحليلا للظواهر الإنسانية عن موقف اجتماعي خاص أو المصالح والقيم السائدة لقطاع معين من المسرح الاجتماعي في مرحلة معينة من تاريخه،لذلك تكون معرفتنا للحقائق الإنسانية بشكل مختلف عن معرفتنا لظواهر العلوم الطبيعية. لا نتمكن من أن نتفهم حركات الذرات وأجزائها لكن نتمكن من التعرف على الوحدات المتجانسة في هذه الحركات.

المظاهر الإنسانية يمكن معرفتها من مظاهرها الخارجية وما يحدث في الداخل وتنشأ الصعوبة عندما تدرس العقل نفسه.فالبواعث و الميول و الأهداف و المقاصد ليست من الأمور التي تفض المعاينة الخارجية مغاليقها "وعلى هذا، فإن الأفكار تكاد تمسي أن تكون وظيفة أو "دالة" fonction لمن يعتنقها في وسطه الاجتماعي كما يقول كارل مانهايم، فما دامت النظم الاجتماعية و مترتباتها الثقافية دائمة التغير فإن الجهاز الفكري المتطلب لفهمها لا بد أن يعتوره التغير هو أيضا."[1] و لا ريب- والأمر كذلك –أن يكون للايديولوجية تأثيرها البارز في العلوم الإنسانية والذي هو تأثير يتسلل في الكثير من الأحيان في مصطلحات علمية أخاذة، رغم أن العلم و الايديولوجية يخضعان لقوانين مختلفة من حيث الطابع النوعي. فهناك تفسير داخلي أو باطني أي هناك معنى، هو مثلا أن نطلب من مؤرخ تفسير كيف تم التصريح بأمر ما، أو كيف حدث فعل قصدي بعينه، أو كيف تمت مواصلة سياسية ما. فمن الطبيعي القول بأنه قد فسر ذلك التصريح مثلا في حال اكتشافه أو اشتقاقه نوع السؤال أو التعليق أو التهديد الذي أثاره لكن لا يمكن القول أنه بمقدور شخص التنبؤ بهذا التصريح حال إثارة مثل ذلك السؤال، في السواد الأعظم من الحالات تكون المقدمة الضرورية باعثا أو معتقد قرار أو رسالة أو مبدأ أو سياسة أو قاعدة أخلاقية.

[1] –.قنصوة،صلاح، المرجع السابق ص63.

أن نتفهم هو أن نعرف ما يجربه شخص ما من خلال نسخة من تجربته التي هي رغم أنها تحيا في وحي إلا أنها مسقطة فيه ومدركة على أنها ما يخصه هو ليس ما يخصني، ولا يكون التفهم بدون مشاركة وجدانية.نجري التفهم عن طريق إسقاط أنفسنا في الموضوع أو عليه حيث ينمو كإنعاش للتجارب التي تحدث للآخرين في عقل المرء وهو الاندماج، إدماج محظور الصورة المدركة في داخل وعي الذات.

يمكن بطبيعة الحال أن ننتقل من الألفة بالطبيعة الإنسانية إلى معرفة ما يبدعه الإنسان أو العالم الثقافي كله من قواعد واصطلاحات لازمة لفهم التعبيرات، قواعد الفهم لا تكفي لفهم عبارة ما، يلزم إدراك كل القواعد الضرورية المكونة لسياق جزئي، فإذا أخذنا مثالا من الفلسفة فإنه لا يكفي أن نبحث عن المعنى القاموسي لكلمات تكون عبارة كانطKANT.I "التركيب الترانسنتندالي للوعي" كي نفهمها، إن القواعد المتحكمة فيها كعبارة هي فلسفة كانط كلها في نقد العقل العملي الخالص، ونقد العقل النظري الخالص. وينطبق هذا على فهم عمل مهندس، حيث يتعين دراسة التكنولوجيا التي يقوم بتطبيقها. وهكذا الكلمة تكون أكثر دقة إذا فهمناها من خلال العبارة وفهمنا العبارة من خلال الفقرة والفقرة من خلال الكتاب كله وهذا الأخير من خلال العرف الأدبي.لفهم أكبر يلجأ الاجتماعيون والاقتصاديون إلى ربط الأفعال بالمواقف التي تحدث فيها، ويلجأ المؤرخ لفهم رجل كنابليون إلى دراسة عصره وبيئته وهكذا. الفهم هو العملية التي تستهدف استيعاب المحتويات العقلية في كل تعبير ومن شروطه الابستيمولوجية: الألفة بالطبيعة الإنسانية ومعرفة الخلفية الثقافية.الوعي بالسياقات المحددة التي تحدث فيها التغيرات وهنا أهمية معرفة علة مشاعر الإنسان موضوع البحث، مثال أن نفهم لماذا يغضب الإنسان ولماذا يفرح...الخ.فعلى دارس العلوم الإنسانية دراسة الأسس الإبستمولوجية لموضوعه، أن يصححه ويجعله واضحا ودقيقا بالرجوع إلى كل ما هو موجود من معارف مرتبطة بالحقيقة التاريخية والاجتماعية وغيرها. إهمال الفهم يؤدي إلى نتائج مضللة، فمثلا لا يمكن الوصول إلى تعميمات صادقة عن السارقين إذا صنفناهم دون الاهتمام بما تعنيه السرقة عندهم، كأن تكون من أجل الغنى،أو عن أخرق معتوه لا يدرك معناها أو عن انتقام.

فالأدلة الإحصائية تؤدي إلى استخلاص وبسهولة نتائج مضللة مثل تلك المتعلقة بنظريات في الإجرام لا تأخذ بالاعتبار الاختلافات والتمايزات، فنتائجها غير مفيدة. وفي حالة استخدام استبيانات الناس يجيبون لكن لا يجب استخلاص نتائج نهائية من إجابتهم، علينا أن نسأل لماذا أجابوا على نحو معين دون آخر، إذ هناك من يسعى لإسعاد الباحث القائم بالاستبيان أو يظهر بمظهر الاحترام أو السفسطة ومخادع بطبيعته،"الحياة النفسية محددة في علاقتها بوسيط، بالقصدية، هذا السلوك يصبح فعلا لعلاقة.

لا وجود للموضوعية، موضوعا ما لا يكون موضوعا ذو معنى إلا بالنسبة لذاتية محددة.الشعور يمنح المعنى. ينجم عن هذا الوضع أن مهمة علوم الإنسان ليست دراسة الحوادث لكن المعاني(التعبيرات)،دراسة الظواهر بما تعنيه للموضوع."[1]فنظرية الفهم يمكن أن توضح طريقة الاهتمام بالمشاكل الإنسانية وتبين كيفية حلها وتحكم على قيمتها العملية بالاستناد إلى ممارسيها،"التيار الفينومينولوجي" الذي تحدثنا عنه كان له تأثيراته على علم الاجتماع. النظرة إلى الإنسان المحددة بشبكة من الأسباب الداخلية في عملها حلت محل نظرة إلى الإنسان تواجه مشاكل حياتية (مقذوف بها في العالم) و التي تعمل لقصدية، وتحاول حل هذه المشكلة، الإنسان وجوده مشروط بشعور و قصدية.عمله مثل اختيار منسوب إلى مشكل و إلى قصدية."الفعل مؤسس بالنظر إلى (وليس لأن) تحل بمعنى ما موقف(وضع)"[2] والأنساق الإنسانية المختلفة. الفينومينولوجيا المطبقة في العلوم الإنسانية مؤسسة على مبدأين فلسفيين وتقترح ثلاث قواعد ميتودولوجية، المبادئ هي:"في علوم الإنسان ما يحسب هو المعنى لأن الإنسان كائن في حالة، هذا المعنى يرجع إلى ماهيات ويمكن أن ندرك أشكاله العامة الاستعلائية في نظم الظواهر الإنسانية"[3] المقصود أن ما نحتاج إليه هو الوصف الكامل ودراسة الحالات الفردية، وصف كيف يخبر الناس الحياة في مواقف محددة وأن العالم الإنساني مفعم بالمعاني الكامنة في حياة الأفراد."لا يجب بدل ما في الوسع في التفسير لكن بدل ما في الوسع في الفهم، هذا الفهم يجب أن يقام بإدراك

[1]-Mucchielli Alexe. Op.cit. P16.
[2]- Ibid P240.
[3]- Op. Cit,, P19.

تركيبي بكل السياق المعطى حاليا"[1]، والمقصود أن دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية والنفسية تفتقر إلى التجربة الموضوعية بعبارة أخرى إننا نفهم المؤسسات والاقتصاد والتنظيمات والأديان والاهتمامات والنوايا التي تضمنها وإدراك الأفكار والحالات والمشاعر التي تعبر عنها."لإدراك ما هو أساسي في الظواهر الإنسانية يجب ممارسة إنقاص فينومينولوجي بمعنى وضع بين قوسين كل معرفته أو علمه وعدم البحث عن التفسير بالاستعانة بالمعرفة"[2] خاصة عندما ذهب بعض الباحثين إلى ضرورة إرجاعها إلى علوم الطبيعة و انحراف النزاع نحو مناقشة حول تصنيف العلوم "في إطار مجادلة حول نوعية علوم الروح في مقارنتها بعلوم الطبيعة والذي هيأه التعريف (التحديد) الحديث للفهم"[3] ، وظهر أنصار استقلال العلوم الإنسانية. "يبين دلتاي أن ذكاء العالم الإنساني والثقافات يفترض فهم عدد من المعاني الماثلة للتفسير السببي المطبقة في علوم الطبيعة"[4]، وبعده حلل ريكورت Rickert وحدد بدقة أو أوضح هذا الفرق المنهجي الذي نظمه ماكس فيبر ومنه يضع المبدأ الأول لعلم اجتماع فهمي، يحاول بعدها تأسيس -فلسفيا- علم الاجتماع الفهمي وربطه بفينومينولوجيا هوسرل HUSSERL.E الاستعلائية. "السيكولوجيا الإدراكية وسيكولوجية اللغة تدرسان فعاليات (نشاطات) الفهم تحت علاقتين رئيستين الطبيعة، المميزات، وصيرورة التمثل (التصور) العقلي (علم الدلالة) التي تتشكل في ذهن متكلم، مبدئيا في ذاكرة العمل، بعد فهمه جملة أو نصا، التطورات التي أصبحت في العمل عند تغيرات الإعلام السمعي الصوتي المتضمن في الكلام، أو الإعلام البصري المدرك في درس القراءة في تمثل دلالي من نموذج مشار إليه أكثر ارتفاعا"[5].

ففي أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، اجتاح الجامعة الألمانية صراع حاد حول المناهج دار حول سؤال العلوم الاجتماعية.

فهل تقلد في منهجها العلوم الطبيعية أم عليها أن تستنبط منهجا خاصا بالإنسان يتماشى وطبيعة الإنسانية الخاصة جدا؟ وما هي خصوصية المؤرخ، هل تكمن في المادة التي

[1]- IBID.
[2]- IBID.
[3]-Les notions philosophiques, Dictionnaire, volume dirige par sylvain auroux publie sous la direction d'andre jacob. Tome 1 presses universitaires de France 1 edition 1990, P388.
[4]-IBID.
[5]-op.cit.

يمارسها أم في المنهج الذي يستخدمه؟ "ولقد ثارت مشكلة ميتافيزيقية زائفة حول المسألة التاريخية، ادعت بأن التاريخ يجد نفسه في حالة خاصة من الاهتمام بالماضي النهائي الذي يتعذر تغييره، إذ لما كان الماضي – حسب تعريفه – لا يوجد الآن، فإن موضوع التاريخ يكون موضوعا غير واقعي، و تكون قضاياه غير قابلة للتحقق من صحتها من حيث المبدأ"[1]. و هناك مثال لبيان عدم صحة ما يسمى بالماضي الميت "أن صديقي يتحدث معي في حجرتي،وأستطيع أن فهم حديثه و أحس بما يشعر به إذا تحققت شروط معينة، لكن افرض أنه بدلا من أن يراني أرسل إلي خطابا، فهل يمكن لهذا الفعل أن يخلق مشكلة ؟ بالطبع لا. نعم إن التعبير قد فقد حيويته لأنني لم أتمكن من سبر تغيير نبرات صوته من الخطاب، لكن يمكنني بالطبع أن أدرس الخطاب بعناية، وفي فسحة من الوقت".[2] من واجبات المؤرخ فهم التعبيرات، يمكن مثلا معرفة حياة نابليون و اهتمامه و طموحاته من خلال خطابات. التاريخ علم إنساني يرتبط بالأبحاث الطبيعية لأن الأفعال البشرية لها نتائج و آثار فيزيقية تفحص كوقائع. التاريخ بالمعنى الواسع ليس دراسة إنسانية فحسب،لكن فعندما نتحدث عن تاريخ الأرض و التاريخ الطبيعي الحادثات من النوع الإنساني تشكل معظم المسائل التاريخية. التاريخ و الشواهد التاريخية المستخدمة في العلوم المتفاوتة ذات أهمية خاصة في الأبحاث الإنسانية. فتحليل فرويد FREUD. S لنفسه و ما كتبه عن الفتاة المراهقة لا يتوقف عن إثارة الاهتمام رغم أن نظريات التحليل النفسي تطورت. في حين التجارب في العلوم الطبيعية بمجرد وضع النظرية تصبح غير مهمة. إن للأبحاث الإنسانية طابع تاريخي مقارنة بالعلوم الطبيعية. المنهج الواقعي للتاريخ يقوم على فرضية أن الحاضر نتاج الماضي و أن كل حالة تحدث في لحظة معينة أو خاصة نتيجة حالات سابقة. بدأ نقد النزعة الوضعية في أواخر القرن الثامن عشر على يد هردر HERDER في فلسفة أخرى للتاريخ ودلتاي في الدراسات التاريخية وكروتشه CROCE، ما يسمى بالاتجاه المثالي أو التاريخي أو الحدسي و هو اتجاه مناهض لاعتبار التاريخ علم.وهنالك من يرجع مشكل الفهم إلى فترة متأخرة نسبيا أي القرن التاسع عشر لما توسع حقل معرفة الماضي.

[1] – هـ. ب ريكمان، المرجع السابق، ص 272.

[2] – المرجع السابق ،الصفحة نفسها.

من حججهم أن التاريخ يعتني بالبحث لا الملاحظة، جعل الماضي حاضرا في العقل والإحساس عن طريق الحدس.تكون المقدرة على فهم الأشياء أو الحقيقة دون استدلال منطقي تمهيدي . الحدس عند ديكارتdescartes يصلح كمعيار كامل للصدق ويحتل مكانة هامة في فلسفة سبينوزا SPINOZA حيث يعتبره نوعا ثالثا من المعرفة بل أكثرها فائدة، أن يدرك جوهر الأشياء."إدراك بديهي مباشر، سواء للذات أو أحوالها أو للعالم الخارجي أو للمبادئ والحقائق العلمية أو غيرها"[1].بمعنى أنه معرفة واضحة بذاتها لا تحتاج إلى خبرة سابقة.

حدسية "مذهب القائلين بأولوية المعرفة الحدسية أو بتفضيلها على سائر أنماط المعرفة".[2]

مفهوم الابستمولوجية التاريخية يشمل كل القضايا التي ترافق دراسة السمات النوعية للمعرفة التاريخية والعلم التاريخي، التحليل الابستمولوجي للمعرفة التاريخية يجب أن يسمح لتعقيداتها الخاصة أن تظهر منذ البداية، "عملية التفسير الابستمولوجي تركز على الجانب المفهومي والشروط الموضوعية للبنى الإدراكية التي عليها تقوم المعرفة التاريخية "[3]، المعرفة التاريخية هي انعكاس للماضي في كل تجلياته، المختلفة، والاهتمام التاريخي تاريخي بحد ذاته صيغ حصرا عند اليونان في القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد."من أوائل الطرائقيين اللذين قاموا بتحليل معنى الاهتمام التاريخي وبنيته هنريش ريكرت وحتى يبرز ريكرت طبيعة الاهتمام، يولي انتباهه إلى المعرفة المقبل علمية"[4]. نحن نربط الأشياء بإرادتنا وبالتخيل وبتدريباتنا. "الاهتمام التاريخي عنده لا يتحدد إلا بنظام من القيمة وليس بعمليات موضوعية[5]، القيم أبدية ومشتركة بين الثقافات والبشر وذات أهمية اجتماعية، فالأساسي حسب ريكرت هو الشيء الذي له معنى.فالموضوع الرئيسي للبحث التاريخي الإنسان باعتباره كائنا اجتماعيا ويهتم بالقيم الاجتماعية المتحققة وهذا يعني عدم إمكانية تحقيق طرائق الفلسفة الميكانيكية.

---

[1] –الحلو عبده، معجم المصطلحات:فرنسي–عربي، المركز التربوي للبحوث و الإنماء ، مكتبة لبنان ، ص90.

[2] –المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[3] –راكيتوف أناتولي، المعرفة التاريخية، ترجمة حنا عبود، دار دمشق للطباعة والصحافة والنشر، ط1، 1989، ص25.

[4] – المرجع السابق، ص35.

[5] –المرجع والصفحة نفسها.

"وإذا أدرك ريكرت الأهمية العرفانية والطرائقية (بالمعنى الواسع) لمقولة "الاهتمام" فقد فسره بالأسلوب المثالي للكانتية الجديدة".[1]فللعلية شكلا مغايرا في التاريخ مقارنة بالعلوم الطبيعية، لا حتمية لأن الإنسان حر والمجال مفتوح للصدفة. من بين أصحاب هذا الرأي كاسيرر CASSISER وفيشر FISCHER. يوافقون على رأي أرسطو بفردية الوقائع التاريخية، لا مجال للتعميم، لا يوجد أحكام كلية.الفهم، دراسة المؤرخ تنتهي دائما مع نهاية بحثه في الفترة التي يدرسها، يؤكد على ذلك تولفسن THOLFSEN على سبيل المثال في كتابه الفكر التاريخي "في علاقة مباشرة بالتأسيس الجديد للأنظمة الفيلولوجية التاريخية كعلوم شلايرماخر SCHLEIERMACHER في بداية القرن التاسع عشر أعاد تأسيس الهيرمينوطيقا، ثم درويان DROYEN على ضوء هذه الأخيرة، التاريخي، وعلى هذا الأساس، دلتاي بالاستناد على هذه الثنائية شرع بتغليب وجهة النظر النفسية ثم مما يشبه محاولة – استعلائية- لفلسفة الحياة تأسيس كل علوم الروح"[2].و كان ذلك انطلاقا من جدل مع الطريقة التي اقترحها مل بدمج العلوم الأخلاقية في تصور موحد بالعلوم التفسيرية MONOLOGIQUES. تركزت جهوده على ضرورة تحقيق التقاء القول الفيلولوجي بالفهم المقابل للتفسير المطبق في العلوم الطبيعية بالإضافة إلى محاولة إدخاله البعد الهرمينوطيقي في العلوم الإنسانية و التأكيد على تاريخية الوجود الإنساني وضرورة فهم الإنسان بوصفه موجودا تاريخيا في جوهره. ظهر دلتاي بنظريته التي تستهدف وضع حد بين العلم والتاريخ، ووضع مشكلة الإنسان محور نقاش، فكيف يمكن للمؤرخ أن يكون صورة عن الماضي؟

على المؤرخ ينطلق من مقتضيات حاضرة أخلاقية، دينية، اقتصادية، سياسية، واجتماعية، دراسة التاريخ ترتبط بوجهات نظر حاضرة. ومن القائلين بهذا على سبيل المثال كولنوود COLLINGWOOD في كتابه فكرة التاريخ ونظرية "الحاضرية" لكروتشيcroce، المؤرخ لا يصف الماضي إلا من خلال قيمه هو في الحياة، فالتاريخ عالم قيم."صفات الموضوعات

[1] -المرجع نفسه، ص36.

[2]-Appel Karl – Oto La contreverse expliquer et comprendre. Une approche pragmatico – transcendantale traduit de l'allemand par syloie mesuee ouvrage traduit les éditions du cerf, Paris, 2000, P31.

والظواهر المادية للوعي الاجتماعي التي تميز أهميتها للمجتمع ولطبقة ما ولإنسان ما والأشياء المادية تمثل أنواعا من القيم لأنها موضوعات لمصالح بشرية مختلفة (مادية واقتصادية وروحية)"[1].يمكن ذكر القيم الاقتصادية والجمالية والأخلاقية والقانونية والسياسية والثقافية والتاريخية.أفعال الناس والخير والشر تمثل قياما أخلاقية حيث من أهم الاعتراضات على تحقيق الموضوعية في العلوم الإنسانية ما يتصل بتأثير القيم على كثير من جوانب البحث في الظاهرة الإنسانية،تؤثر على قدرة الباحث على التحليل، في تحديده للمشكلة التي يختارها، تعمل على توجيهه في التحليل، تتدخل في تحديد وتصميم الإطار التصويري،"ما يمثله الشيئ من قدر أو رتبة أو أهمية، تجعله مرغوبا فيه ومطلوبا لذاته أو لغيره"[2]. من الناحية الذاتية هي الصفة التي تجعل الشيء مطلوبا ومرغوبا فيه عند شخص واحد أو عند طائفة معينة من الأشخاص مثال ذلك قولنا: إن للنسب عند الأشراف قيمة عالية.. ويطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على " يتميز به الشيئ من صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرا أو قليلا"[3]."هي ما يقوم به مقوم وترادف الثمن، غير أن الثمن هو ما يلزم بالبيع وإن لم يقم به وقد يكون مساويا للقيمة أو زائدا عليها أو ناقصا عنها"[4]. نرجع الآن إلى السؤال الذي طرحناه في البداية عن معنى الفهم و مجاله عند دلتاي "إن العلوم الإنسانية تتوجه إلى الإنسان من حيث هو كائن يحي ينطق وينتج، وكائن ينمو ويتمتع بوظائف حيوية ويشعر بحاجات، يتفتح أمامه حيز يربط فيه هو إحداثيات متحركة .

كائن ينتج أشياء وأدوات ويبادل ما هو بحاجة إليه وينظم شبكة يسير في قوانينها كل ما يستهلكه ويرى فيها نفسه محددا في داخلها كنقطة وصل، يظهر في وجوده الفوري متشابكا مع الغير، وكائن له لغة يكون بها عالما رمزيا يرتبط من داخله بماضيه والأشياء والآخر ويشكل المعرفة خاصة حول ذاته، ترسم العلوم الإنشائية إحدى أشكالها الممكنة، يقول"العمل الذي نتعرف به على محتوى داخلي من إشارات تتلقاها الحواس"

---

[1]– روزنتال م، بودين ب، الموسوعة الفلسفية وضح لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط6، 1987، ص381.

[2]–الحلو عبده، المرجع السابق ص177.

[3]–د.صلبيا،جميل، المعجم الفلسفي جزء 1،طباعة و نشر ش.م.ل مكتبة المدرسة،دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية ص213.

[4]– الحنفي عبد المنعم،المعجم الشامل ،ص670.

ويضيف،الفهم هو العمل(PROCESS)الذي بت نتعرف على حالة شعورية انطلاقا من الرموز التي تتلقاها الحواس و التي بها تعبر الحالة الشعورية عن نفسها"فالفهم منهج الدراسات الإنسانية و التاريخية التي تتميز بالتجارب الداخلية، فالتجربة التاريخية لا يمكن أن تفسر على شاكلة العلوم الطبيعية،بل تفهم في انسجامها الداخلي.فمجال الفهم هو كل حركة إنسانية و كل إبداع إنساني و كل معرفة إنسانية، كل ما أنتجه الإنسان فكريا قابل للفهم و قابل لأن يكون موضوعا لأية دراسة إنسانية،و الفهم يمتد من فهم ثرثرة الأطفال إلى فهم هاملت أو نقد العقل الخالص.

وهي نفس الروح الإنسانية التي تتحدث إلينا من خلال الحجر،الرخام،القطع الموسيقية،الإيماءات،الكلمات والكتابات من خلال الأفعال،الترتيبات الاقتصادية والدساتير،كل هذا يجب تأويله.فعملية الفهم هاته يجب أن تكون لها دائما نفس الخصائص.الفعل الإنساني يفهم في كليته الكل-الوحدة.لنتساءل مع دلتاي ما هي الخصائص التي يتحدث عنها ليتسنى لنا أن نتحدث عن الفعل ولماذا نفس الخصائص؟ إن فهم الإبداعات مقيد بشروط لأننا لا نستطيع فهم المبدع ليوناردو دافنشي إلا من خلال لوحاته وسلوكاته وكتاباته بطريقة ينسجم فيها هذا الكل ولا يكون متناقضا وتناول أعمال دافنشي من الداخل في عمقها يعطي صورة حقيقية عن صاحبها،إذن كل عمل وجهد معرفي يقرب فهمنا من صاحبه.يقول دلتاي عن الفهم أنه محدد بشروط مشتركة وأدوات خاصة وهي تبقى نفسها في صفتها الأساسية فمثلا لو أردت فهم دافنشي لوجب علي أن أؤول أفعاله،لوحاته،و كتاباته بطريقة واحدة متجانسة.ففهم أي عمل يتوقف على تأويله والربط بين أجزائه في وحدة،بحيث يشكل دافنشي و كل أعماله كلا موحدا.لقد أنتج مصطلحات ومفاهيم جديدة و منهجا جديدا أطلق عليه منهج الفهم يقول دلتاي "شرعت في تأسيس علوم خاصة بالإنسان، المجتمع والتاريخ، أبحث لها عن أساس ومفصلة مستقلين عن الميتافيزيقا، قابلة لأن تتواجد في التجربة، لأن أنظمة الميتافيزيقيين انهارت، ومع ذلك الإرادة تعلن دائما من جديد أهدافا مستقرة لسلوك حياة الفرد واتجاه المجتمع"[1].

[1] - Diltey wilhelm, critique de la raison historique introduction aux sciences de l’esprit et autres textes, les éditions du cerf – Paris 1992, P 20.

و كل هذا سيتم توظيفه فيما بعد في الفلسفات اللاحقة، أو يتم نقده، وفي جميع الأحوال فدلتاي حاضر في الفلسفات المعاصرة ومنها الفلسفات التاريخية. لقد مارست نظريته في العلوم الإنسانية (علوم الروح) تأثيرا كبيرا على الفلسفة في المائة سنة الأخيرة بمصطلحاتها ومناهجها. فمحاولته مصدر معرفي هام يجب الرجوع إليه عند التعرض إلى تاريخية بعض المفاهيم. لا يمكن أن نعزل بعض المفاهيم عن سياقاتها التاريخية وعن كيفية تأثيرها في الفكر الفلسفي. "والقيمة من وجهة نظر ذاتية هي ما يكون به الإقبال على الشيء وطلبه جهة معينة"[1]..عبر دلتاي عن قدرة علوم الإنسان (التاريخ، الأنثروبولوجيا وعلم النفس) على التخلص نهائيا من الميتافيزيقا وذلك لأول مرة منذ الإغريق القدامى، معتبرا أن المؤرخين والمفكرين "ظلوا منذ ظهور الثقافة العالمية الإغريقية القديمة يفسرون كل شيء، الحياة، انطلاقا من نظرية عامة ومجردة للطبيعة الإنسانية"[2]، ويقصد أن سلوك الإنسان لا يفسر ولا يمكن رده إلى مبادئ عامة أو قوانين تحكمه، أن خاصة كل حدث في التاريخ فريد من نوعه، أن المؤرخ قادر على فهم الكثير من نوايا الإنسان في الماضي.

" أعترف بفضل المدرسة التاريخية، بتاريخية الإنسان وكل التنظيمات الاجتماعية"[3] ويؤكد على عدم وجود حقائق أزلية مستقلة بذاتها في عالم خارج عن الزمان والمكان. حسب دلتاي الدراسات الإنسانية يجب أن تبتعد عن صياغة القوانين وإقامة الارتباطات السببية وأن تتجه نحو تصنيف أنماط الثقافة والشخصية، يصعب استعمال التجريب. العالم الاجتماعي مثلا يجري أبحاثه على بشر ولا يمكنه التصرف في المختبر كما عند دراسة مواد كيميائية."قواعد علوم الطبيعة وعلوم الروح الصارمة لا يمكنها أن تجتمع في دماغ واحد بقدر غلطات هيغل في مجال علوم الطبيعة، ومعارف كونت غير الكافية في علوم الروح تشهد"[4]. إذن هي دعوة إلا إعادة مفهوم المعاش وطرحه من جديد والذي شد انتباه هوسرل خاصة لأن الفينومينولوجيا تعتمد المعاش أساسا لفلسفتها ومفهوم القصدية LINTENTIONALITE (الأفعال تتأسس على القصد أو حاملة لمعنى). "استطاع دلتاي أن

[1] – المرجع السابق ،الصفحة نفسها.

[2] - Ibid.

[3] - Op. Cit.

[4] - Ibid P 62.

يشق طريقا جديدا للعلوم الإنسانية ينبغي أن يسلكها في نظره و أوشك على تعبيد معظمها.و قد شغل في هذه العملية بالتمهيد للرد على وجهات النظر التي سادت في مجال البحث في العلوم الإنسانية و خاصة التاريخ،في نفس الوقت الذي عني فيه بنقد العقل التاريخي (و هو عنوان أحد مؤلفاته الرئيسية) ليوضح إمكانياته و يوضح حدوده[1]".

لقد اعتبر الفيلسوف المؤرخ التاريخاني بالاعتماد على الكانطية الجديدة أن دور علوم الإنسان التاريخ مثلا ليس اكتشاف طبيعة الظواهر ومنطقها الموضوعي بل معنى الفعل الإنساني كما وقع تصوره ذاتيا وتبيان الحالة الذهنية والمفاهيم التي جعلت الإنسان يتصرف بطريقة دون أخرى."نجد ما يبرر الزعم القائل بتفرد الفهم التاريخي بحيثيات جادة تستدعي إفعام نظر فلسفي حذر،و هذا أمر يصدق خصوصا في الحالة التي يبرهن فيها على أن مفهوم التفسير العام، كما يوضحه الفلاسفة،لا يلائم نوع التفسير الذي يتمثل في الكتابات التاريخية،إن هذا الزعم يبدو لي مبررا"[2].ويعتمد المؤرخ التاريخاني على المصادر الوثائقية التي تمكنه من النفاذ مباشرة إلى مقاصد الفاعل التاريخي (مذكرات، جرائد، تقارير، شهادات...) ولا ينظر إليها تلك النظرة التقديسية على غرار المؤرخ الوضعي.فالهرمنطيقا (التأويل باللغة الإغريقية) و قد كانت في عصر النهضة علم تأويل النصوص الدينية (التوراتية والإنجيلية)، هي بشيئ من التبسيط الإيمان بوجود معان متعددة لنفس الوثيقة التاريخية.

الأهم عند المؤرخ التاريخاني ممارسة الهرمنطيقا أي التأويل وإعادة اكتشاف العالم الذي كان يعيش في صلبه الفاعل التاريخي موضوع الدرس، استعمال طاقة فكرية تمكن المؤرخ من أن يحي الماضي، وحيث حكمه يعكس ذاتيته، فالحقيقة التاريخية تظل دائما حقيقة نسبية، فبين الواقع المعيشي والمفهوم هناك وساطة اللغة المتكونة من الرموز والروايات والعلامات.الهرمنطيقا هي تأويل تلك اللغة، التنقيب عن المعاني المستترة وراء أوهام الوعي. فهي مجمل المعاني والمعارف والتقنيات التي تمكن من سبر أغوار الرموز

[1] قنصوة،صلاح،المرجع السابق،ص183.

[2] برودي، باروخ قراءات في فلسفة العلوم ترجمة و تقديم: د. نجيب الحصادي،دار النهضة العربية للطباعة و النشر،الطبعة الأولى،1997،ص227.

والاكتشاف."لتأويل مشتق من الأول وهو في لغة الترجيع، تقول أوله إليه أرجعه، أما عند علماء اللاهوت فهو تفسير الكتب المقدسة تفسيرا رمزيا أو مجازيا يكشف عن معانيها"[1]. في تعريف آخر التأويل والنموذج يعتبران من مفاهيم الرياضيات وما بعد المنطق "بمعناه الواسع هو تحديد معاني قضايا أولية من قضايا حساب التفاضل والتكامل"[2] يؤدي إلى لغة صورية في العلوم الطبيعية، النموذج بمعنى مختلف.

التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار، وهو أن يكون في الكلام وليس خفاء. يقول ابن رشد: "التأويل إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيئ بشبيه أو سابقه أو لاحقه، أو مقارنة أو غير ذلك من الأشياء التي عودت في تعريف أصناف الكلام المجازي"[3].و ورد كذلك في معجم صليبا "والتأويل عند (ليبنز) مرادف للاستقراء وهو البحث عن علل الأشياء للارتقاء منها إلى العلة الأولى، وهي الله، وما يسميه الفيلسوف استقراء يسميه اللاهوتي تأويلا والغرض من الطريقتين معرفة بواطن الأشياء"[4].في تعريف لالاند "تفسير نصوص فلسفية أو دينية،وبنحو خاص الكتاب (شرح مقدس) تقال هذه الكلمة خصوصا على ما هو رمزي"[5]. "ومن فلاسفة التأويل المعاصرين دكتور نصر حامد أبو حامد أبو زيد، ويرى أن الفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير هو التزام بمضمون النص كما فهمه الأقدمون، بينما التأويل علاقة جدلية بين القائم بالتأويل والواقع في تطوره، يتغير فيه معنى النص ويتحدد بتغير معطيات الواقع"[6]. تأويل، أي استخراج المعنى المجازي لنص يفترض فيه ظاهر وباطن. قال الجرجاني: "التأويل في الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة مثل قوله تعالى: "يخرج الحي من

[1]–صليبا جميل، المعجم الفلسفي، جزء 1، ص234.

[2]–روزنتال م، بودين ب، الموسوعة الفلسفية ص108.

[3]–صليباجميل، المرجع السابق ،ج 1،ص108.

[4]–المرجع والصفحة نفسها.

[5]–لالاند اندريه، المجلد الثاني ،ترجمة:خليل أحمد خليل، منشورات عويدات –بيروت –باريس، طبعة1، 1996، الصفحة 555.

[6]–الحفني،عبد المنعم المرجع السابق، ص175.

الميت" إذا أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا"[1].

علوم الطبيعة لا تختلف عن التاريخ بالموضوع أي المادة الجامدة مقابل الإنسان ولا بعامل الزمن أو الحضارة مقابل الماضي بل برؤية العالم ومنهجه.فالعالم الطبيعي يدرس القوانين المتواترة أو المتسمة بالاستمرارية والثبات بينما المؤرخ يهتم بالخصوصية والفرادة.لقد كان نيتشه يقول " ليس هناك وقائع، هناك فقط تأويلات التاريخ "التاريخ أراء حول الآراء.وهناك مدد جاء للتاريخانية من البرغسونية، فقد ترعرعت في جو تاريخي اتسم بانتعاش الروحانيات في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر.تعرف بمناهضتها للكانطية والوضعية والمادية، الذكاء لا يدرك إلا الجانب الرياضي التكراري للأشياء بينما يجرد الحياة والتاريخ من كل قدرة على الإبداع كونه يترجم الواقع بمفاهيم رمزيا.

الحدس يمكن من معرفة الواقع النوعي للعالم دون واسطة أي مفهوم، فالجديد الذي أفاد به هو المفهوم النفسي للزمن المعيش الذي ساعد المؤرخ على دراسة الذهنيات والتصورات.

يطلق على إدراك موضوع التفكير وتحديده واستخلاص المدلول من الدال عليه، ففهم اللفظ حصول معناه في النفس، فإن لم يحصل معناه في النفس بالقوة أو بالفعل كان كألفاظ اللغات الأجنبية التي نسمعها ولا ندرك معانيها، وجملة القول أن الفهم هو "تصور المعنى من لفظ المخاطب" تعريف الجرجاني، أو هو حسن تصور المعنى والفهم مرادف للإدراك ولقوة الذهن ENTENDEMENT التي هي "استعداد تام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر" (تعريفات الجرجاني) وأعلى درجات الفهم أن تعلم أن ما تصرح بفهمه لا يمكن أن يكون إلا كما فهمته، وهو بهذا المعنى مرادف للعلم اليقيني.

"جودة الفهم صحة الانتقال من الملزومات إلى اللوازم (تعريفات الجرجاني)[2] أيضا تفضيل استخدام لفظ فهم عند ترجمة المصطلح الأجنبي في مؤلفات كانط، أي قوة FACULTE تلقائية وظيفتها الحكم أي الربط بين الظواهر وذلك برد ظاهرة مشروطة على ظاهرة مشروطة وهكذا إلى غير نهاية.حسب لالاند تصور، تفهم، تمفهم، CONCEPTION بوصفة

[1]- صلبيا،جميل، المرجع والصفحة نفسها.

[2]-المعجم الفلسفي عربي –إنجليزي – فرنسي، ص166.

عملية إجرائية وكل عمل فكري منطبق على شيء ما، عملية النظر والإدراك في مقابل عمليات الخيال سواء كان استنساخيا أم إبداعيا، وبنحو أخص أيضا عملية قوامها الإحاطة بمفهوم أو تكوينه، ونتيجة هذه العمليات الإجرائية المتعاقبة في اللغة الجارية يقال تصور على عملية تحديد شيئ"[1]، الفهم إمساك بالمقاصد والغايات والبعد الدلالي للوقائع، رصد المعنى (سببية باطنية وقصدية).

"فهم، حوى، شمل، COMPRENDRE في الكلام على الفكر طرح موضوع فكري محدد، ولاسيما التفكير بعلامة ممثلة لدلالة، إننا نرى حروف لغة مجهولة، لكننا لا نفهمها"[2]، يدخل واقع فهم عمل إنسان من خلال معرفة هدفه (ج، لاشوليه) جرى تفريق يقول لالاند بين فهم وشرح تحت تأثير نظريات كالوجودية يميز ريكير التفسير الذي يسعى إلى تعيين شروط ظاهرة ما والفهم الذي به يمكن العارف من التماهي مع الدلالات المقصدية، الجوهرية الأساسية للفعالية التاريخية، العينة لإنسان ما"، فتفسير هذيان ما لا يعني فهمه والعكس صحيح، يبدو التعارض متصلا بين الحدس الودي والإدراك الاستدلالي، تعارض المجرد العقلي والملموس الوجودي."أن نعترف بأن ظاهرة أو قضية داخلتان منطقيا في صيغة عامة مسلم بها من قبل في المعنى الأقوى، الاعتراف بأن ما نعلن "فهمه" لا يمكن أن يكون على نحو آخر أو نقيضه بكونه ممتنعا، وبخصوص المشاعر أو مسلك الآخر، وضع الذات في موضعه، الشعور الودي بما هو لدى الآخرين" (معنى جاري أكثر منه لغة فلسفية).ومنه المفهوم، الفكرة بالمعنى، بوصفها مجردة وعامة أو على الأقل قابلة للتعميم، تختلف المذاهب المتنوعة حول طريقة تصور وتفسير تشكل المفاهيم.[3] فهم أي تضمن، أشتمل "إدراك المعنى واستيعابه في الذهن"[4]، جعل الأمر في متناول الفهم والإدراك PERCEPTION هذا الأخير إحاطة بالشيء بكامله أو حصول الصورة عند النفس الناطقة أو

[1]-أنظر معجم لالاند، المجلد 1، ترجمة:خليل أحمد خليل، دار عويدات-بيرروت-باريس ط1،1996، ص195.

[2]-المرجع نفسه، ص193.

[3]-المرجع السابق، ص 194.

[4]-الحلو، عبده، المرجع السابق، ص28.

تمثيل حقيقة الشيء وحده من غير حكم عليه بنفي أو إثبات" ويسمى تصورا ومع الحكم بأحدهما يسمى تصديقا"[1] كما يقول الجرجاني.

هذه الطريقة انحدرت عن تراث المدرسة الألمانية. "نتحدث عن الفهم عندما تبرز المعرفة معنى ماثلا في الواقع أو يمكن أن يكون التفكير فيه من الذين عايشوه أو محقق(ARON.R)،التصور الحديث للفهم يشير إلى-بعكس التفسير السببي المطبق في علوم الطبيعة- السياق الذي به ندرك معنى إشارات خارجية.فبالنسبة لدلتاي الفهم إدراك إشارات ماثلة في الحياة،إبراز معنى التصرفات أو الأعمال الإنسانية" [2].

الجدل يدور حولها منذ ظهور علم الاجتماع مما يعطي المعاني غالبا الانطباع من عدم صحة علمية مسارها والنتائج التي تتوصل إليها، ما زالت مسائله مدار بحث ونقاش من مختلف المدارس ومن مؤسسي العلوم الاجتماعية.

ففي مجال النقد الإبستمولوجي التساؤل مطروح حول إنتاج المعارف وشروط إمكانها. ضمن أية شروط تصبح المعرفة العلمية ممكنة في ميدان الحياة الاجتماعية، وما هي القواعد التي تعني بإنشاء المعطيات وترتبط بالموضوعية؟ "إدراك "PERCEPTION" هو حصول صورة الشيء المدرك عند العقل ويرادف العلم يتناول أقساما أربعة: الإحساس (إدراك الحس)، التخيل (إدراك الخيال) والتوهم (إدراك الوهم) والتعقل (إدراك العقل)"[3].الإدراك بهذا كمال يحصل به المزيد من الكشف على ما يحصل في النفس من الشيئ المعلوم بكل واحدة من الحواس.

يمكن القول أن معارضة إضفاء صبغة علمية على الدراسات الإنسانية قد بدأت عند كونت نفسه عندما أبدى بعض التحفظ على استعمال المنهج التجريبي والمنهج الرياضي.يرى البعض أن القيم تستطيع التأثير في قدرة الباحث الاجتماعي على التحليل غير المتحيز من خلال:التحديد الخاص للمشكلة التي يقع عليها الاختيار لبحثها و القيم المتضمنة في التحليل وتعمل على توجيهه و التدخل في تحديد وتصميم الإطار التصوري.اصطباغ تحليلات هذه

[1]-المعجم الفلسفي عربي-انجليزي-فرنسي،ص8.

[2] Noella baraquin. jean dugue .francois ribes Annebaudart. Jacqueline laffite. Joel.wilfert her .op.cit. p52.

[3]-الحفني،عبد المنعم،المرجع السابق ، ص175.

العلوم بالطابع الكيفي الذي لا يخضع للقياس يعد عقبات رئيسية أمام صوغ قوانين عامة.وصف، كيفي، نوعي، يقول لالاند "بالمعنى العام ما يتعلق بالكيفية، بالنوعية، بالمواصفة، في أي معنى من معاني هذه الكلمات مثلا "الدراسة الكيفية لخط منحن" هي وصف مظهره العام، وصف طبيعته إن جاز القول في مقابل الدراسة الكمية التي تحلل معادلته بالضبط".[1]."بنحو أخص، ما لا يستطيع- بحكم طبيعته بالذات- أن يترجم إلى حدود كمية ولا على علاقات محددة ومعقولة، مثلا الحياة العاطفية، بوصفها معاناة شخص حساس" الإنسان له صفات فيزيائية موضوعا للعلم وعقل يبدع العلم والدين والفن والآلات والقانون والنظم...إلخ.العلوم الإنسانية والتاريخية ليست كالعلوم الفيزيائية والكيمائية، الدراسة التاريخية مثلا لا تحصر في ظواهر."الإنسان كائن حي وواعي وموجود في عالم من الحقائق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والدينية... "

كيف أو الكيفيات عامة هي ما ندركه من الأشياء أو ما ننسبه إليها دون أن يكون خاضعا للقياس المباشر.الكيف مقولة أساسية في مقولات المنطق عند أرسطو وهي مقابلة لمقولة الكم أو الكمية، وصف "مرحلة في الدراسة العملية تقوم على تسجيل المعطيات الخاصة بتجربة أو ملاحظة ما"[2].من المستحيل تفسير الوقائع دون وصفها "لقد أعلى الوصفيون في تأويلهم للدراسة العلمية من مواقع المذهب الظواهري المتطرفة أن المهمة الوحيدة للعلم هي الوصف المجرد"[3].

تنبثق الجهود الاجتماعية بوصفها تجسيدا للجهود المتعاونة المبذولة لتحقيق القيم والالتزام بها.فلمعظم المجتمعات في الماضي والحاضر نظما ومؤسسات متماثلة، لكنها نشأت وتطورت بوجه عام، فالتركيب الداخلي للعلاقات المتبادلة مختلف، وهذا يعني أن نتائج دراسات عينة لمجتمع لا يحتمل أن تصدق على مجتمع آخر.فمشكل الموضوعية كون الإنسان دارس ومدروس، الإنسان يصعب أن نقيس أفعاله وأن نضعها على محك التجربة، فهو كائن متغير.أدى النقد إلى منهج جديد للدراسات الاجتماعية من واضعيه فيبر (ألمانيا)

[1]-معجم لالاند أندريه، المجلد الثاني،المرجع السابق ص 1084.

[2]-روزنتال، م، بودين ب ،المرجع السابق، ص582.

[3]-المرجع و الصفحة نفسها.

وريكمان (أمريكا) يؤكد هذا الأخير أن الوقائع في الدراسات الإنسانية هي أفكار وأحاسيس يعبر عنها الناس بأفعال فيزيقية، لا تعنى هذه الدراسات بالواقعة الفيزيائية في حد ذاتها بل ما وراءها من معنى. ألغى فيبر في كتاباته كلمة علم وعوضها بدراسات (الدراسات وليس علم الاجتماع).الفهم هو العملية التي تستهدف استيعاب المحتويات العقلية في كل تعبير ومن شروطه الإبستمولوجية. بدأت الاتجاهات في الفلسفة الحديثة، بعد كانط، تلح بضرورة الأخذ بالنزعات العلمية والوضعية لكن فيبر لم يشغل بمسألة المعروفة على النحو الكانطي واتجه نحو معالجة مشكلة السلوك الإنساني ودراسة محتويات الثقافة والمجتمع في ضوء العلوم الطبيعية والعلوم السوسيو- ثقافية على السواء.بنيت شهرته من خلال تحليلاته المركزية للكثير من المفاهيم الاجتماعية مثل "الفعل التفسيري "و" النمط المثالي"و الموضوعية" بحيث تحولت هذه المفاهيم إلى مدخل محوري للسوسيولوجيا غير الماركسية في أهم كتبه"الأخلاق البروتستانتية"و "روح الرأسمالية" وخاصة" محاولات حول نظرية العلم".

يتابع الاتجاهات الميتودولوجية المشهورة عند ريكرت و دلتاي وغيرهم وفي محاولتهم جميعا أن يتجاوزوا التقليد الألماني في تفسير السلوك والظواهر الاجتماعية في ضوء نتائج العلوم الطبيعية. أكيد، يجب في هذا السياق الأخذ بالاعتبار أن ماكس فيبر رغم اشتداد الحسم السببي أعلن كشرط ضروري التميز، المنحدر من وندلنبد وريكرت بين المناهج المتعلقة بالفردانية (إيديوغرافية) والمناهج التعميمية NOMOTHETIQUES، شاطر ريكرت قناعته التي هي المرجع لأفكار معيارية عامة حازها، لتكوين انتقائي في علوم للشيء الأداة.إن محاولة معرفة الحقيقة بدون أي افتراض مسبق لا يوصل إلا إلى غموض في "الأحكام الوجودية" التي تتناول إدراكات حسية خاصة و عديدة و حتى هذه النتيجة قد لا تكون ممكنة إلا ظاهريا،لأن حقيقة أي إدراك حسي خاص تقدم دائما إذا ما تفحصناها عن قرب،عدد غير محدود من العناصر المفردة التي لا يعبر عنها بشكل كامل في أحكام الإدراك الحسي. ولن نضع حدا لهذا الغموض إلا إذا أعطينا لجزء من الحقيقة المفردة فقط اهتماما و معنى،لأن هذا الجزء وحده على علاقة بأفكار القيمة الثقافية التي بواسطتها نتناول الحقيقة الملموسة"إنها ليست سوى بعض مظاهر التنوع اللامحدود للظواهر المفردة،

كتلك التي نعطيها معنى ثقافيا عاما،تستحق عناء المعرفة وهي وحدها التي تشكل موضوع الشرح السببي."[1]ويمكن القول تمسك فيبر بالتعارض بين علوم الثقافة وعلوم الطبيعة أو بين الفهم والتفسير أو القيم ميدان الأخلاق والاختيار الحر والوقائع ميدان العلم."أما ماكس فيبر فقد تمكن من تعبيد سائر الطريق التي ما لبث أن أقام عليها بعض الصروح النظرية التي ما تزال محتفظة بقيمتها في علوم السياسة والإدارة و الاجتماع،وهي النظريات التي تتصل بتحليله للرأسمالية والبيروقراطية وأنماط الفعل الاجتماعي" [2] ينكر على التحليل العلمي للثقافة –أو بمعنى أضيق- الظواهر الاجتماعية أن يكون موضوعيا على نحو مطلق. و لكن على أن يعني التحليل" الموضوعي" للحوادث الثقافية ذلك التحليل الذي يقوم على مثل أعلى للعلم يرد فيه الواقع التجريبي إلى قوانين،فهذا في نظره أمر يخلو من المعنى ويتخذ موقفا خاصا من التفهم"،على عالم الاجتماع أن يقدم تفسيرات تكون لائقة على مستوى المعنى وكذلك تفسيرات لائقة من جهة العلة.. "[3].

فالحوادث الثقافية أو النفسية (العقلية أو الروحية) أقل خضوعا لحكم القانون.فمعرفة القوانين الاجتماعية ليست معرفة للواقع الاجتماعي بل هي بالأحرى واحدة من بين معينات متعددة تستخدمها عقولنا لبلوغ هذه الغاية وهي معرفة الواقع الاجتماعي و ثانيا لأن معرفة الحوادث الثقافية"لا يمكن إدراكها إلا على أساس من الدلالة أو الأهمية التي نعزوها إلى تجمعات عينية من الواقع في مواقف عينية فردية"[4] كلما كانت القوانين عامة أو أكثر تجريدا قل إسهامها في تحديد علل الظواهر الثقافية أو في فهم دلالة الحوادث الثقافية و أهميتها. وتستند الميتودولوجيا عند فيبر على وصف الظواهر ثم إطلاق بعض التعميمات النظرية وذلك بإتباع منهج الفرضية والمشاهدة التي تتيح دراستها في ضوء المنهج المقارن."لقد عزا ماكس فيبر للعلم الاجتماعي هدفين ومنهجين: التفسير والفهم فإذا كان التفسير يلجأ إلى المناهج الفكرية التي يمكن أن تقارن بمناهج علوم الطبيعة، فإن الفهم

[1] فيبر،ماكس محاولات حول نظرية العلم: مجلة النصوص،،الفكرية و الإبداعية، العرب و الفكر العالمي مركز الإنماء القومي،بيروت-لبنان،العدد الثاني عشر، ص63.

[2] د. قنصوة،صلاح المرجع السابق ص83.

[3] – المرجع السابق،ص184.

[4] – المرجع والصفحة نفسها.

يفرض نفسه في النطاق حيث الفرد الإنساني يحمل معنى ويسبغ دلالة ذاتية على عمله"[1]
علم الاجتماع الجامع بعيدا عن رد الوقائع الاجتماعية إلى أشياء (دوركايم) DURKHEIM.E حسب فيبر هو بالأساس دراسة الفعل الذي يتكيف بسلوك الآخرين.يعتبر مؤرخا وفيلسوفا وعالم اجتماع تعمق في دراسة ماركس ونتشه، تمثلت إضافته في ثلاث نقاط: المنهج المقارن والأنموذج المثالي ونقده للتفسير الاقتصادي الماركسي للتاريخ.يرى أن الفعل الاجتماعي يشكله شكل من أشكال السلوك المزدوج يتضمن المعاني التي يتحملها في نفس صاحبه وسنطوي على الأسباب والدوافع التي تحمله إلى القيام بهذا السلوك وفق أنماط ونماذج اجتماعية تحمله إلى أهداف محددة فالدراسات الإنسانية تعالج أساسا وقائع ذات معنى.اهتم دلتاي بمقولة المعنى اهتماما خاصا حيث سؤاله المفضل: كيف لا يمكن أن تكون التجربة حافلة بالمعنى" المعنى كلمة "المعنى" مضمون نفسي جد معقد، موقف وحركة فكريان يتضمنان خيالات فردية وعينية واتجاهات تشمل إرادة المتكلم "والشعور بالفهم لدى السامع" "يقال إن تعبيرا وإن صيغة مفعمان بالمعنى إذا كانا قادرين على التذكير القوي بهذا النوع من الفعالية العقلية"[2].المعنى صورة ذهنية، أي ما يقصد الشيء أو ما يدل عليه القول أو الرمز أو الإشارة، ومنه دلالة اللفظ على المعنى الحقيقي أو المجازي، ودلالة القول على فكرة المتكلم، ودلالة اللافتات المنضوية في الطريق على اتجاه السير، ودلالة السكوت على الإقرار، ودلالة البكاء على الحزن.

الصور الذهنية التي يثيرها اللفظ تختلف باختلاف الأفراد حسب تصوراتهم، ونزعاتهم ورغباتهم وميولهم ويطلق عليه الجانب الذاتي، يكون مصحوبا بإرادة الإفهام من المتكلم والفهم من السامع، أما الجانب الموضوعي فالذي ثبت اصطلاحا باستعمال يحمل دلالات واضحة ودقيقة، المعاني المشتركة كالبديهيات والأولويات، أما البسيطة فهي الصور التي لا يتدخل الفكر في تركيبها والمعنى المجرد هو التصور (*Concept*).المعنى هو المحتوى الفكري لكل تعبير"ملكة الحكم بطريقة نزيهة لا تدعو إلى استدلال معقد و إلى معارف نوعية أو عينية، بالعكس لرؤى أو حكم مسبق،حكم الفطرة السليمة،و الذي ليس له في

[1]–أنصار بيار، العلوم الاجتماعية المعاصرة،، ترجمة :نخلة فريفر، الناشر:المركز الثقافي العربي–بيروت،طبعة1،1992،ص124.

[2]–لالاند، أندري، الموسوعة الفلسفية، المجلد الثالث، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، باريس، ط1، 1996، ص1272.

العادة أي مفهوم محقر.بالنسبة لديكارت القدرة على حسن الحكم و تمييز الحقيقي من الرديء و الذي هو بالضبط ما نسميه الفطرة السليمة أو العقل المتساوي طبيعيا عند كل الأشخاص(مقالة في المنهج).معرفة حقائق العلم لا تتطلب إذن أكثر من قيادة منهجية لهذه القدرة على الحكم"[1].

الفهم يصبح أكثر ثراء إذا أعطينا للتعبير الذي نحاول فهمه أبعادا كثيرة أكبر، فالكائن المشتري واعي يتصرف وفق إملاء جملة من القيم والمعتقدات والتطورات الذهنية،على سبيل المثال يمكن أن أرى إنسانا يحرك ذراعه، أفهم من ذلك أنه يحييني تحية الصداقة، ومن هنا إشارته على أنها نوع من التحية أو التشجيع، لكن إذا سألني في اليوم التالي أن أمنحه قرضا ماليا، فأفهم حقيقة إشارته أنها نوع من الرغبة في الفوز بالخطوة حتى أعطيه قرضا، ومثل ذلك ينطبق على أشياء كثيرة.

فالموضوعات تكون أمامنا بطريقتها التكوينية لكن تعبيراتها يجب أن تفهم في سياقها، تشير إلى ما ورائها.التأكيد على المعاني يدل بوضوح على التأكيد على الناحية الشخصية غير الموضوعية SUBGECTIVE للفعل الإنساني سواء ظاهرا أو باطنا وهذا يتنافى مع منهج التفسير لأعمال البشر وأصولها دون التفهم الذي يعتبر الواقعة أو الحقيقة في هذه العلوم. المعرفة بالنسبة له رهينة الأسئلة التي يطرحها العالم على الواقع، وحيث في كل عصر تجدد الوعي يحدد الوجود.

يعتبرون انبهار الفلسفة التجريبية بالعلم الطبيعي واستيراد العلم التجريبي إلى الدراسات الإنسانية فيه قضاء على الكثير من القيم وأنه موقف يكتفي بالقيمة الظاهرية للأشياء، يمضي باحثا عن العلل والدوافع وراء الأحداث والبطولات ولا يهتمون بعظماء الرجال بل ما وراءهم من أسباب. يمكن اعتبار أن بعض المفكرين وعلى رأسهم فيبر حاولوا تهذيب التاريخانية. فالتاريخانية قد تعرضت بين الحربين العالميتين إلى حملة نقذ لاذعة وعيب عليها الكثير من النقائص،"إن وجود وإشكالية وأهمية التفسيرات التاريخية الخاصة ترجع أيضا إلى الطريقة التي تستخدم بها هذه التفسيرات مفاهيم القصد والباعث والاعتقاد والفهم والاتصال وما في حكمها، وهي مفاهيم يفترض أن تختص بها الأفعال البشرية

[1] -Les notions philosophiques,op.cit. p2347.

وحدها".[1]رفض التعميم وحصر مفهوم التاريخ في نشاط الإنسان الواعي والحر ورفض أن يكون للطبيعة تاريخا كالإنسان واعتباره تاريخا بالنسبة للإنسان لا تاريخا في حد ذاته.الاهتمام بمعرفة مقاصد الفاعل التاريخي ورفض أية حقيقة موضوعية وأي حكم مما يؤدي إلى العدمية وإعطاء الأولوية الأكبر للأفكار على حساب الوقائع المادية والاجتماعية.فهل هذا التعرف على المقاصد أمر هين؟ وهل كان الفاعل التاريخي صادقا في التعبير عن مقاصده؟

وإذا كان مريضا نفسانيا فكيف إذن يكون الموقف حياله.اعتبار التاريخ خطابا عن الحاضر، حيث يتحول تاريخ الماضي إلى تاريخ الحاضر.

قد يكون فهم شخص وفق توظيف سيكولوجي للذات مفيدا في البحث عن مبادئ نفسية عامة للتفسير النظري، لكنه تقمص عاطفي لا يعد من جانب العالم ضروريا أو كافيا لتفسير أو فهم أي سلوك بشري، لماذا، لأنه لا يمكن تفسير سلوكيات أشخاص من ثقافة مغايرة لثقافة العالم مع التنبؤ وفق مبادئ عامة، مع أنه قد يستعصي إحراز فهم متعاطف للأشخاص من طرف العالم.العوامل السيكولوجية لا تعتبر معيارا لتقويم قيمة التفسيرات المقترحة فالتقمص العاطفي أو الفهم هنا قد يفضي إلى نتائج متعارضة. نفهم كيف يتعين أن يدب الوهن في أرواح سكان إحدى المدن التي تتعرض لهجوم مكثف وقد نفهم أيضا بنفس القدر أن تتنامى لديهم روح المقاومة إذن لابد من مبادئ تفسيرية تقبل الاختبار تتشكل في قوانين أو نظريات.

[1] برودي، باروخ، المرجع السابق، ص230.

تمهيد:

أصحاب المعطيات الحسية المقيسة يقتنعون بإحالة دراسة الإنسان إلى النموذج القياسي للعم الطبيعي و ينكرون الفرق بينها و بين دراسة الطبيعة. ينظر المؤيدون للمنهج التجريبي للظواهر الاجتماعية و الثقافية على أنها تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة ، القوانين في العالم الميكانيكي كالكثافة و المقاومة و التجاذب و التنافر... تنطبق على العالم الإنساني. هناك محاولات بارزة لتحقيق الموضوعية تنطوي على الطرق الرئيسية المنتهجة في هذا الاتجاه، مع تسليم كثيرين بالحتمية .

تريد العلوم الإنسانية أن تحذو حذو العلوم الطبيعية في دقتها. فعلى إثر تقد العلوم انفتح الطريق أمام الدراسة العلمية وتغلبت النظرة المادية إما في شكل و ضعاني كونتي أو جدلي ماركسي أو غيره. فإذا كان نيوتن قادرا على شرح كل حركة لكل مكون من مكونات الطبيعة الفيزيائية أفلن يناقض العقل الافتراض القائل: استخدام مناهج مماثلة لن يفسر الأحداث و الوقائع الإنسانية؟ وهل ثمة اعتراض من حيث المبدأ على أننا يمكن أن نكشف يوما عن قوانين قادرة على أن تعطينا تنبؤات بنفس دقة تنبؤات العلم الطبيعي ؟ إذا لابد من العمل على الكشف عن هذه القوانين بواسطة بحوث في الإنسان ، تستلهم منهج الطبيعيات في التاريخ و الاجتماع وعلم الأجناس و علم النفس التجريبي والاقتصاد...الخ. ويحاولون تطبيقه بدعوى أنه المسلك الوحيد الذي يضمن موضوعية المعرفة و هذا قول يحتاج إلى برهان. فهل يمكن للإنسان أن يكون موضوعا لعلم هو صانعه و هل تتوفر هنا موضوعية؟ فالتفسير العلمي يجعل كل فكرة نتيجة ضرورية أو معلول لسابقتها ومقدمة شرطية أو علة للاحقتها. بالمنهج العلمي يكون الاقتراب من الحقيقة،فالحتمية العلمية تنطبق على الوقائع الإنسانية، و لعل أفضل محاولة لتقديم إجابة واضحة هي تبيين أولا الشروط التي تميز التفكير العلمي و خاصة التفكير العلمي الخاص بالعلوم الإنسانية،حتى يتبين إذا ما كان البحث في هذا المجال علما بالمعنى الحقيقي. فهل هناك فعلا ما يدعى علم التاريخ أو علم الاجتماع أو علم النفس أو غيره؟

المبحث الأول: علمية الدراسات الإنسانية

الطرح الوضعي: التفسير

هناك سؤال أساسي هو إمكانية أن يكون الإنسان موضوعا للعلم في الوقت الذي يضع هو العلم بنفسه وبأي معنى يكون هذا الإنسان موضوعا لدراسة الإنسان فهل تكون الذات العارفة موضوعا للمعرفة ؟ لعل أحسن إجابة واضحة هي أولا الشروط التي تميز التفكير العلمي و خاصة في العلوم الإنسانية حتى تتبين إذا ما كان البحث في هذا المجال علما بالمعنى الحقيقي؟

لقد اقتبست من العلوم الطبيعية المناهج و التصورات و جميع المحاولات التي تهدف إلى إقامة حقل العلوم الإنسانية حيث اتباع الطريقة العلمية في حل سائر المشكلات هو أهم ما يميز العصر الراهن "فهم يطمحون بالتأكيد لجعل ميدان المنهجية العلمية أكثر اتساعا،وليشمل بالتالي بنية التفكير العلمي برمتها، بل و سائر أفعال الفكر التي تشترك في عمليات الاكتشافات العلمية و عمليات المعرفة عموما"[1] فإنه يتعين علينا أن نوضح خصائص هذه الطريقة و الروح العلمية التي بدونها لا يتحقق أي تقدم في الميدان العلمي "يبدو العلم الحديث من حيث هو توجيه للعقل نحو التحليل الدقيق و الشامل للوقائع"[2].

و قد عبر فرنسيس بيكون BACON.F عن هذا الاتجاه فدعا إلى ضرورة جمع الملاحظات الجديدة عن الظواهر،فهذا هو الطريق إلى الدراسة العلمية الأصيلة،ثم إن الملاحظات يجب أن تكون دقيقة وأن تكون صادرة عن رغبة حقيقية في تحري الحقائق،فأول قاعدة في البحث العلمي هي التثبت و الدقة في رصد الظواهر باستعمال أقيسة دقيقة، فالدقة في القياس و الرسم الدقيق من أهم دعامات البحث العلمي،الاتجاه العلمي لدراسة السلوك هو الفرصة الوحيدة أمام الإنسان لتفسير و تحديد العوامل المؤثرة في سلوكه. وجوهر التفسير العلمي في أي مجال هوالربط بين الظواهر وبين مقدماتها السببية أو الظروف المحددة لها في قانون عام يفسر الحوادث الجزئية التي حدثت في الماضي و نتنبأ على أساسه بما يحدث في المستقبل. تقول بعض المواقف أن تشييد الدراسات الإنسانية على غرار العلوم

[1] مدور،بيتر الاستقراء و الحدس في البحث العلمي،ترجمة د.محمد شيا،بيروت، طبعة1 ،1991،ص31.

[2] المرجع نفسه، ص34.

الطبيعية ضلال عقلي و عقم علمي و حتى خطر أخلاقي لا ينتج المعرفة التي نحتاجها.. إن معرفة سرعة الضوء تختلف عن معرفة ما يقصده شخصا بتحريك يده.في الحالة الأولى ندرك الواقعة بفكرة و العكس فيما يتعلق بالحالة الثانية. لكن الإنسان له صفات فيزيائية موضوعا للعلم و عقل يبدع العلم و الدين والفن و الآلات و القانون والنظم.نجد من ركزوا في دراساتهم التجريبية على المجتمعات الإنسانية اضطروا في كثير من الأحيان إلى فصلها عن التحليل العقلي بحجة أنه يركن إلى الأحكام القبلية والأحكام الخلقية معا."فنجد ماكيافلي في" طريقه الجديدة" التي يستهل فيها دراسة تجريبية لسياسة القوة أو السلطة،يزدري أولائك الذين يتطلعون إلى الدوافع العقلية التي تتجاوز هذه السياسة ويمكن أن نتتبع ذلك الاتجاه أيضا عند لوك looke الذي تنبع استنباطاته السياسية عن محاولته التشبه بالعلوم الفيزيائية في عصر نيوتن ولقد كان لوك صديقا شخصيا له، وكان هو عالما و طبيبا ممارسا تحول إلى الأفكار الجديدة للعلم ليبرر نمط الحكومة المتهاونة الذي أتت به الثورة عام 1688و لقد شارك في تأسيس" مجلس التجارة"عام 1696 و" هو المحاولة الأولى المنظمة لتطبيق المناهج الرياضية على المشروعات العامة."[1].

فعلى مدار عقود قطعت شوطا طويلا وبذلت جهودا مضنية إلى حد كبير في تحديد موضوعاتها وتعريف ظواهرها وصياغة مفاهيمها وقد أرست مناهجها وأساليبها الإجرائية كالتحليلات الرياضية-مثلا الاقتصادية- والمناهج الإحصائية والقياسات العددية والوسائل الامبريقية، ذهب البعض إلى القول بأن العلوم الإنسانية فرع من فروع العلم الطبيعي بالمعنى الواسع للكلمة، موضوعها وقائع تقبل الملاحظة في الواقع الفعلي.والتفسير يتجاوز الوصف إلى القوانين و النظريات.أما لماذا تتناقض التفسيرات في العلوم الإنسانية أو لماذا لا تخاض المرحلة التفسيرية باقتدار، لعل الإجابة عن هذا هي نفسها تحديد حيثيات مشكلة العلوم الإنسانية أو أسباب تخلفها النسبي.تحاول هذه الدراسات جاهدة التوصل إلى مجموعة قوانين وتخمينات تيسر لها فهم وتفسير سلوك الأفراد والجماعات في مواقف بعينها والتنبؤ به.

[1] د.قنصوة ، صلاح، المرجع السابق ،ص ص40،41

ريشنباخ لا يقف عند العلوم الطبيعية بل يقول أيضا بعلوم إنسانية و لا يرى مانعا في وجود علوم إنسانية قادرة على تقليد العلم الطبيعي، لا يرى مانعا في وجود علوم إنسانية مثل العلوم الاجتماعية والتاريخية."على ما يبدو أن الطريق نحو حل مشكلة العلوم الإنسانية يتطلب التمييز بين ما هو علمي وما هو لا علمي يتعلق بايدولوجيا أو فلسفة أو عرف أو رأي شائع،بحيث تكون حدود العلم واضحة لا تسمح بتسلل كل ما هو لا علمي".[1] وعند البعض من دون جعل الفيزياء نموذجا مفروضا أو وصاية على العلم،بل فقط الاستفادة من الأسس الصورية لمنطق التقدم في العلوم الطبيعية.

يقول ريشنباخ REICHENBACH .H وهو من أكبر ممثلي النزعة الوضعية الجديدة مدافعا عن خضوع دراسة المجتمع لقوانين علمية مشابهة لتلك التي تخضع لها دراسة الطبيعة "فالفيلسوف العلمي يرحب بأية محاولة لبحث العلوم الاجتماعية بمنهج فلسفي قريب من ذلك المنهج الذي طبق بنجاح كبير في العلوم الطبيعية ولكن ما يرفض قبوله هو تلك الفلسفة التي تضع حدا فاصلا بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية"[2] يرد على الاعتراضات التي توجه إلى هذا الرأي والفلسفة التي تدعي أن لتلك المفاهيم الأساسية من أمثال مفهوم التفسير، أو القانون العلمي أو الزمان معان مختلفة في كلا الميدانين، هذا، ويضيف علما إنسانيا آخر هو علم الأخلاق بتخصيص له الفصل السابع عشر من كتابه نشأة الفلسفة العلمية، أنه يخضع للتحليل المنطقي للواقع الأخلاقي وهو سبيل العلمية. الاتفاق بين العلماء هو السبيل إلى الإحاطة بالظواهر الإنسانية وصفا و تفسيرا و من ثم تنبؤا و تحكما وسيطرة.لماذا يرفض علماء الاجتماع الاعتقاد بوجود قوانين لعلم الاجتماع مثلا؟.

حسب هامبل هناك مطلبان أساسيان يشترطان في النظرية أو القانون المفسرين ويدلان على كفاية التفسير وعلميته ويرتبطان ببعضهما:أن يكون التفسير وجيزا مبررا للأسباب الحقيقية المحددة لحدوث ظاهرة ما، تسمح بالتنبؤ (الاتفاق التفسيري) و أن يكون قابلا للاختيار. التفسير يصنف إلى جزأين أساسيين: المفسر والمفسر. المفسر هو قضية تصف

[1] د. طريف الخولي،يمنى، فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة سنة 2001 ص 387.

[2]-ريشنباخ هانز، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكرياء، طبعة بدون عدد، 1962، ص269.

الظاهرة المراد تفسيرها (ليس هو الظاهرة نفسها)، والمفسر طائفة من القضايا التي تطرح لتفسير تلك الظاهرة تصنف بدورها إلى فئة الشروط المبينة وفئة تعبر عن القوانين.

التفسير هو الجواب على السؤال لماذا؟ التفسير العلمي هو النتاج الأخير لكل الجهود المبذولة طوال مراحل وعمليات البحث العلمي كما يتميز باستخدام طرائق البحث في الرياضيات والمنطق، إذ غالبا ما يكون منطقيا في منهجه ورياضيا في أسلوبه حيث لا ينشغل الباحث بالكيفية السيكولوجية أو التاريخية، وتكون المشاهدة والتجربة هي الأساس للتفسير لا منهج الوصف" تفسير في اللاتينية EXPLICATIO فعل النشر،العرض1فعل التطوير، مثلا تفسير لفظ هو إظهار مجموع التحديدات التي تكون الفهم،أي تطوير كل العلاقات التضمنية جعل ظاهرة واضحة بربطها بسببها،اقتراح مسقط على المذاهب التي تؤسسه"[1]. صحة التفسير المقترح مرتبطة بشروط منطقية ومادية"من البين أنه يتوجب على القضايا التي تكون المفسر في التفسير الصحيح أن تحقق شرطا يتعلق بمصداقيتها الواقعية.بيد أنه يبدو أن اشتراط كون المفسر مدللا عليه بشكل قوي من قبل كل الشواهد المتعلقة والمتوفرة، أكثر ملاءمة من اشتراط صدقه"[2]. التنبؤ يهب التفسير أهمية، والتمكن من تفسير الحقائق هو مقياس مدى تحقيق غاية البحث العلمي الأساسية"مدى التمكن من تفسير الحقائق الامبريقية هو وحده مقياس مدى تحقيق غاية البحث العلمي الأساسية ألا نقتصر على رصد ظواهر خبرتنا، بل أن نتعلم منها تشييد تعميمات على أثارها تمكن من توقع أحداث جديدة قدر ما تمكن من ضبط محدود على أقل تقدير للتغيرات التي تطرأ"[3].

كل تفسير يتطلب أحيانا الإشارة إلى وجود تشابه بين الحقائق.فيما يتعلق بطبيعة التفسير العلمي يعطي الموقف البيكوني الكلمة الأولى والأخيرة للتجربة واعتبارها حاسمة في الحكم على صحة الافتراضات التفسيرية أو عدم صحتها، التفسير هو إعطاء وصف مسهب ودقيق. قيمة النظرية العلمية تكمن في الاكتفاء بتحليل وترتيب معطيات الملاحظة.يلح كرنب على أن مهمة النظرية أو القانون العلميين تتمثل في التفسير والتوقع، في الوضعية المحدثة هناك اعتقاد بتساوي التفسير والوصف، أن تفسير ظاهرة ما هو

[1] - Dictionnaire de philosophie, op.cit. P115.

[2] برودي، باروخ، المرجع السابق ص38.

[3] المرجع نفسه ص39.

إعطاء خواصها ووصف مميزاتها، مثلا عندما نفسر كلمة هيدروجين بأنها تدل على غاز أو جيم غازي كثافته الذرية كذا... من جهة نظر تقنية صارمة،" العلوم الاجتماعية والإنسانية تلاقي خمسة أنواع من التفسير يمكنها أن تتكامل وتتكافل تنهض بما يلي :تحليل رياضي (تحليل وظيفي، تحليل MULTIVORIE)،التحليل والتفسير البنيوي، التحليل والتفسير الوراثي المتين لتنسيق أو تنظيم التحليل البنيوي والمقاربات التطورية، تحليل IMPLICATIVE، يستهدف مفصلة الفهم(الموضعي)إلى عقلنات بدرجة عليا،وتحليل أخيرا لسياقات تغيرات، تقود إلى استعمال نماذج نوعية".[1]

التفسير، القانون، النظرية تعود على معاينة البنية المنطقية.لقد رأينا أن تفسير ظاهرة يتكون من إدراجها في قوانين أو نظريات"ينبغي أن يشتمل المفسر على قوانين عامة يرتهن بها إمكان اشتقاق المفسر[2]" ولكن ما القانون؟ وما النظرية؟

الموقف العقلاني، يجنب الوقوع في المزالق البرغماتية والمواضعاتية التي سقطت فيها جل التيارات الوضعية في مسألة شروط التفسير العلمي ومعاييره بالتركيز على الجانب الصوري (الرياضوية) استمرارا لما دافع عنه أفلاطون في "محاورة تيتاوس" حول العالم "ميز بين معرفة اختبارية لا توصلنا إلى الظن وأخرى عقلية تعطينا اليقين،ض يصطد مون بهذه الحقيقة التي أبرزناها "لا نبلغ أبدا واقعا عيانيا خالصا غير ذي علاقة بأية عملية إضفاء الصبغة التصورية"[3].التفسير في البحث العلمي: "هو الكشف عن القانون المفسر لظاهرة أو المفسر للعلاقة التي تربط عدد من الظواهر، والتفسير وثيق الارتباط بالوصف"[4] مع الإشارة إلى جون ستوارت مل Mill J.S كأول من قدموا نموذجا عرف باسم النموذج الاستنباطي طوره في القرن العشرين فلاسفة أمصال: بريثويت وناجل وكارل بوبر لعل أفضل البحوث في النمط الاستنباطي هو بحث هامبل بول أو بنهايم "دراسات في منطق التفسير".

---

[1]- Vergnious Alain, op.cit. P 100.

[2]- برودي، باروخ، المرجع السابق، ص38.

[3]- يافوت، سالم، فلسفة العلم المعاصرة و مفهومها للواقع،دار الطليعة-بيروت ص130.

[4]-د.عبد الله، محمد فتحي معجم المصطلحات، المنطق وفلسفة العلوم، الناشر: دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، ط1، 2003، ص66.

يقول لالاند علمي "بمعنى خاص (بالتعارض مع فلسفي، أدبي، أخلاقي، اجتماعي إلخ ما يختص بالرياضيات أو بعلوم الطبيعة الإخبارية في الغالب يقال عقلي علمي (عقلية روحية علمية) بمعنى عام ومستحسن على روحية النظام، الوضوح، وعلى وجه الحاجة إلى التحقق الدقيق والمضبوط"[1] تشمل التجارب المخبرية في مقابل التأمل هذا الأخير لأنه تفكير متصل حر وفي نقطة معينة.العلم يخضع أو ينبغي له أن يخضع لمطلب التفكير المستقل والمتحرر من القيود في اختبار موضوعاته و في مناهجه و أساليبه و يتوصل إلى إقامة نظريات تظل بدورها خاضعة لمزيد من الفحص ولا تستند إلا لشواهد وبراهين وليس فيها ما يتحول إلى ضرب من الإيمان."عند كانط يقال تجريبي على ما يأتي من الخارج"[2] في مقابلة عقلي RATIONNEL."يقال على مجموعة معارف تتميز بالوحدة والتعميم ولا تستند إلى الفروق الفردية أو الأذواق الشخصية".الموقف البيكوني يعطي الكلمة الأولى والأخيرة للتجربة.. ويعتبرها حاسمة في الحكم على الافتراضات التفسيرية"تشدد نظرية الاستقراء على أولوية الوقائع:أي أولوية المعطيات الحسية البسيطة غير المعقدة التي جرى تسجيلها بشهادة الحواس"[3] .

المعروف عن الوضعية اهتماما بتطور العلوم الطبيعية ورفض النتائج الفلسفية التي تتجاوز حدود النظريات العلمية الطبيعية... أسس هذا المذهب كونت مثل مرحلته الأولى كونت وليتريه ولافت (فرنسا) وستوارت ميل وسبنسر SPENCER(انجلترا) وعلى جانب مشكلات نظرية المعرفة، مشكلة القوانين التاريخية العامة لتطورها "كونت" والمنطق "ميل" المرحلة الأولى كانت تخص علم الاجتماع، يمكن ذكر النظرية العضوية في المجتمع عند سبنسر، المرحلة الثانية يرجع نشؤها إلى السبعينات حتى التسعينات من القرن التاسع عشر أما المرحلة الثالثة فترتب بجماعة فيينا اتخذوا طريق التوفيق بين منطق العلم والرياضيات، لإضفاء الطابع الصوري (المتطرف) على المشكلات المعرفية. "في هذا الإطار يلح كارنب CARNAP.R أن مهمة النظرية والقانون العلميين تتمثل في التفسير

[1]–موسوعة لالاند، المجلد الثالث،المرجع السابق ص1255.

[2]–وهبة، مراد كرم يوسف، شلالة يوسف، المعجم الفلسفي، ص46.

[3]– مدور،بيتر، المرجع السابق ص34.

والتوقع"[1].فهناك التفسير والتنبؤ الذي يكون جزءا من التحقيق الذي نختبر بت صحة المعلومات، كما تسمح لأكثر من فرد بملاحظة الظاهرة وبذلك تعطى الفرصة للاتفاق بين الباحثين أو العلماء.العلم يقول لالاند "مجموعة معارف وأبحاث على درجة كافية من الوحدة والعمومية ومن شأنها أن تقود البشر الذين يتكرسون لها إلى استنتاجات متناسقة، لا تنجم عن مواضعات ارتجالية ولا عن أذواق أو اهتمامات فردية تكون مشتركة بينها، بل تنجم عن علاقات موضوعية نكتشفها بالتدريج ونؤكدها بمناهج تحقق محددة بنحو أخص في مقابل الآداب (والفلسفة باعتبارها جزء من الآداب وكذلك في مقابل الحقوق والطب، الرياضيات والفلك، الفيزياء، الكيمياء والعلوم الموسومة بـ"العلوم الطبيعية"[2].إذن يجب طرح تعريفات صريحة، نقوم بوصف وتحليل بعض المشاكل الرئيسية فيما يتعلق بمفهوم القانون.هذا الاتجاه منذ ظهوره والجدل يدور حوله مما يعطي الانطباع غالبا عدم صحة علمية مساره والنتائج التي يتوصل إليها.

ففي مجال النقد الإبستمولوجي، التساؤل حول إنتاج المعارف وشروط إمكانها. ضمن أية شروط تصبح المعرفة العلمية ممكنة في ميدان الحيات الاجتماعية، وما هي القواعد التي تعني بإنشاء المعطيات والتي ترتبط بالموضوعية؟ولا يعني النقد النظري بشروط المعارف فقط بل بمختلف التفسيرات التي توفرها الوقائع والتغيرات المعاينة والنقد المنهجي على الطرائق والتقنيات المستخدمة أثناء الأبحاث وتقديم البراهين وهي ترتبط بنظريات ومسلمات ويمكن القول توافقا واسعا تم حول المستلزمات المنطقية لإنتاج المعارف(قواعد الموضوعية، قواعد نقد المعطيات والتحقق منها)"إن تصنيف الوقائع وتشكيل أحكام مطلقة تتناول أساس ذلك التصنيف...يختزل جوهر غاية العلم الحديث ومنهجه"[3] . هناك إنتاج ذو طموح علمي.لقد تنوعت العلوم الاجتماعية إلى درجة لا نستطيع معها أن نميز بدقة حدودها"في دراسة تطور الأفكار العلمية ينبغي علينا دائما البحث عن الإدراكات المثالية والنماذج التي يرتكز عليها الأشخاص في جعل الطبيعة مفهومة".[4]

---

[1]–يافوت، سالم، المرجع السابق، ص113.

[2]–موسوعة لالاند، المجلد الثالث،المرجع السابق ص1249.

[3]بيتر،مدور، المرجع السابق ،ص34.

[4] -Toulmin Stephen, L'explication scientifique traduction de Jean-Jacques lecerle librairie Armand colin paris. 1973. P 92.

يشير روبير بلاشي في كتابه "الابستمولوجيا" إلى علاقة المعرفة العلمية بالعلوم الإنسانية،" يجب أن لا تقتصر المعرفة العلمية على التحليل المنطقي للغة العلم فهذا مفهوم ضيق ويتناول جانبا محدودا، بل يجب توسيع مجالها، بحيث تستوجب دراسات تتعلق بالبناء المتدرج للعلوم وبنشوء العقلية العلمية وارتقائها وهي دراسات تستند إلى العلوم الإنسانية.هذا لا يعني اعتبار الدراسات الإنسانية في مستوى بعض العلوم التي تتخذها الابستمولوجيا موضوعا لها، وهي دراسات تأخذ طريقها نحو تحقيق أعلى دقة واكتمال.

يسعى العالم الإنساني لدراسة النشاط الإنساني متمثلا في السلوك في عدة صور مثل الأفعال والحركات واللغة والتصرفات التي تكون لها آثار خارجية، وحيث تعتبر الغايات ومقصد الفاعلين واختياراتهم ثانوية ومجردة من كل قيمة تفسيرية."فالحتمية المنهجية هي المبدأ الذي لا يستطيع أي علم أن ينكره إلا إذا أنكر ذاته كعلم، وبهذا المعنى تصبح حركة البحث في علم الاجتماع هي الكشف، ضد أوهام العلماء، عن الإنضباطات التي تظهر في سلوكهم والتي تتم عن الحتميات الخبيئة التي تحكم الوظافة الاجتماعية".[1]

ريشنباخ لا يقف عند العلوم الطبيعية بل يقول أيضا بعلوم إنسانية، أنها قادرة على تقليد العلم الطبيعي. لا يرى مانعا في وجود علوم إنسانية مثل العلوم التاريخية والاجتماعية. يعتبر من أكبر ممثل النزعة الوضعية، الجديدة "فالفيلسوف العلمي يرحب بأية محاولة لبحث العلوم الاجتماعية بمنهج فلسفي قريب من ذلك المنهج الذي طبق بنجاح كبير في العلوم الطبيعية، ولكن ما يرفض قبوله هو تلك الفلسفة التي تضع حدا فاصلا بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية".[2]

يرد على الاعتراضات التي توجه إلى هذا الرأي والفلسفة، والتي تدعي أن لتلك المفاهيم الأساسية من أمثال مفهوم التفسير، أو القانون العلمي أو الزمان معان مختلفة في كلا الميادين.ويضيف علما إنسانيات آخر هو علم الأخلاق ويخصص له الفصل السابع عشر من كتابه نشأة الفلسفة العلمية، يخضع للتحليل المنطقي للواقع الأخلاقي وهو سبيل العلمية. "والواقع أن تحليل السببية الذي يتم في الفيزياء، يقرب بين ذلك العلم وبين علم الاجتماع

[1] –أنصار، بيار، المرجع السابق، ص231.

[2] –ريشنباخ هانز، المرجع السابق، ص269.

إلى حد لم يعرف من قبل على الإطلاق"[1]. فالقوانين الفيزيائية علاقات لزوم احتمالية لا قواعد يمليها العقل الخالص، ويشجع عالم الاجتماع على صياغة قوانين حتى ولو كانت سارية إلا على أغلبية الأمثلة.

للعالم الإنساني مكانة ثانوية عند ريشنباخ على خلاف كونت التي يراها مكانة أساسية، لكن المهم بالنسبة إلينا على هذا المستوى هو الموقف المشترك القائل بوجود علوم إنسانية بالإضافة إلى العلوم الطبيعية. يقول كذلك "إن العلم التجريبي، وإن كان يستخدم العمليات الاستنباطية على نطاق واسع، يحتاج بالإضافة إليها إلى نوع ثان من المنطق، يسمى بالمنطق الاستقرائي، نظرا إلى استخدامه للعمليات الاستقرائية".[2]الهدف من إقامة علم السلوك وهو في النهاية زيادة القدرة على التحكم في الظاهرة السلوكية ولكي نصل إلى الهدف علينا أن نبحث عن الأسباب التي يعتبر السلوك محصلة لها.

"هدف أي علم تفسيري هو التفسير، أي يسمح بوضع تنبؤات، نظريات علمية تتناسب مع عدد التوقعات المتضمنة بالضبط.[3] ففي علم الاجتماع صاغت التجريبية الإنجليزية روح العلم وأفرط في إنضاجها التنوير الفرنسي وأصبحت أجواء النصف الأول من القرن التاسع عشر مهيأة لطرح الأساس والخلفية التي سوف تنطلق منها فلسفة العلم وهي الفلسفة الوضعية. علم السلوك شأنه شأن أي علم آخر يجب أن يبحث عن الأسباب في صورة متغيرات يمكن أن تخضع للملاحظة وأن هذه المتغيرات هي في الواقع ظروف أو أحداث طبيعية يتعرض لها الكائن الحي و يفسر في ضوئها سلوكه الذي يعتبر هو نفسه حدثا طبيعيا" بوجه آخر،نرجو التوضيح،تفسير حادث طبيعي،أيا كان،أو القدرة التفسيرية لنظرية بفضل فكرة بسيطة،ابتدائية هي التنبؤ يبدو أنها تؤدي هذه الوظيفة.

من جهة يمكن اعتبار كلمة" تنبؤ" تعني استدلال تفسيري"هدف نظرية تفسيرية هو التفسير"و من جهة أخرى يمكن اعتبار أن الكلمة تشير ببساطة إلى تنبؤ –لكن يكشف أن النجاح التنبئي لنظرية ليس إلا إشارة،علامة، من ضمن علامات أخرى لقدرتها

[1]–المرجع و الصفحة نفسها.

[2] – المرجع نفسه، ص202.

[3]- Stephen toulmin, Op.cit, p40-41.

التفسيرية،و علامة ليست ضرورية أو كافية"[1]."التنبؤ هو إذن مهارة،تقنية،"تطبيق للعلم أولى من العلم في حد ذاته فإذا تقنية تنبؤ عادت بنجاحات فإنها لا تمثل إلا حدثا إضافيا،على العلميين محاولة تفسيره في بعض الحالات بنجاح، نظرية جديدة هي نجاح "[2].وبدأ اعتباره علما في القرن التاسع عشر تحت تأثير الفيزياء الرياضية حيث تصاحب السبق هو بدون منازع أوجست كونت. تم احتواء الوضعية في صورة أكثر منهجية تعرف بالنزعة الاستقرائية، وتعني الاقتصار على ما هو موضوع أمامنا في الواقع التجريبي أو إطلاقا رفض كل ما لا يتحقق تجريبيا.وضعانية(المذهب الوضعي) بالمعنى الحقيقي مجمل مذاهب كونت يقول لالاند " كان المذهب السان-سيموني أول من استعمل كلمة وضعانية "[3] المفكر المبشر بالدراسة العلمية للإنسان والمجتمع، أراد أن يجعل من العلم شريعة البشرية."إن هذا المنهج العلمي الحق، فباستعماله المرتبط من جهة ثانية بوجود تصور عام يرتدي علم ما طابع الدقة الوضعانية الذي يبدو اليوم أنه يعزى إلى استعمال الموازين أو الجداول اللوغاريتمية، الخوارزمية"[4]ويرى أنها أفكار تتعلق بكوندورسيه CONDORCET. M

أكثر مما تتعلق بكونت، اعتبارها مذهب يعزو إلى تأسيس العلم الوضعي أهمية كبرى في كل معرفة حتى الفلسفة.والواقع أن الوضعية صيغت تجسيدا لروح العلم، لا تنفصل عن اتجاه جون ستوارت مل وهربرت سبنسر(انجلترا)وفيناريوس وماخ MACH.E (ألمانيا) وأمثالهم.لابد للفيزياء الاجتماعية أن تكون تجريبية مثل الفيزياء الرياضية حيث التجربة لا تعني بالضرورة معناها التقليدي بل عملية فكرية، تركيب وتحليل رياضي للظواهر الاجتماعية وملاحظة.ويؤكد الوضعيون الجدد على المنهج نفسه، نذكر هنا مثلا ريشنباخ في نشأة الفلسفة العلمية، في التنظير للعلوم الاجتماعية والتاريخية."يعبر كونت عن وعيه بالجدة المطلقة للعلم الذي يتحدث عنه وبإدراك شروطه المعرفية.

[1]- Op.cit.
[2]-Ibid, P40.

[3] –لالاند أندريه، المعجم الفلسفي، المجلد الثاني، ص1001.

[4] – لالاند أندريه، المجلد1، المرجع السابق، ،ص84.

يقول كونت "صنفان كبيران في الفيزياء العضوية: الفيزيولوجيا بمعنى الكلمة والفيزياء الاجتماعية التي تتأسس على الأولى"[1]،حينئذ نستطيع أن نستفيد نظريا وعمليا فمثلا إذا كانت القوى الاجتماعية مؤثرا في شخصية الفرد فعلا، فإننا لا نستطيع من هذه الحقيقة أن نتناول هذه القوى بالتغيير والتعديل و نحن لا نستطيع أن نتناول شيئا ما لم يكن يقبل الملاحظة وله أبعاد طبيعية فهذا مفيد في إقامة أي علم أو معرفة علمية. يقول "في كل الظواهر الاجتماعية، نلاحظ أولا تأثير قوانين الفرد الفيزيولوجية"[2]."يجب التسليم بإمكانية وجود أسباب للسلوك البشري كما نسلم بذلك بالنسبة لظواهر الطبيعية غير الحية فالبديهي في الدراسة المناسبة للظواهر الاجتماعية وجوب الانطلاق من معرفة معمقة للقوانين المرتبطة بالحياة الفردية[3]. أهم ما يميز عمل مونتسكيو MONTESQUIEU في نظر كونت القول أن الظواهر السياسية تخضع لقوانين طبيعية مثل الظواهر الأخرى، متأثرا بالعمل الهام الذي قام به علماء كديكارت وغليليو وكلبر ونيوتن خارج العلوم الإنسانية.

محاولة مونتسكيو قام بها في الوقت الذي لم يكن المنهج العلمي(الوضعي)قد شمل إلا الظواهر الطبيعية الأكثر بساطة وتعتبر محاولة سابقة لأوانها، ويعتبر كوندورسيه من بين الممهدين لنشأة العلم الاجتماعي كما يذكر كونت.كما لا يجب إنكار إمكانية التنبؤ وهذه الإمكانية التي تترتب حتما عن التسليم بالسببية وإذا قلنا أنه يمكن اكتشاف قواعد ومبادئ أساسية فان الإمكانيات تصبح لا حد لها فنحصل على إجابات صحيحة من الناحية الواقعية بدلا من أن نحصل على إجابات خطابية أو عاطفية.ونستطيع من تاريخ العلوم الطبيعية أن نرى أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي ساعدت على التقدم ولا شك أن الإنسان سوف يسير أشواطا بعيدة نحو الهدف إذا سار في نفس الاتجاه.إن الذي يمنع عن تصور حتمية السلوك الإنساني بالمعنى العلمي تقاليد وعقائد و فلسفات قديمة و راسخة.

[1] - Comte Auguste, Philosophie des sciences, textes choisis. Presses universitaires de France, 1er édition, 1974, P34.
[2] -Ibid .P 35.
[3] -Ibid.

يشيد كونت وبصفة خاصة ببعض الفلاسفة كمونتسيكيو في كتابه"روح القوانين"[1]ويؤكد من جهة أولى بأن كل فيلسوف سابق لم يثر قبله إنشاء هذا العلم الجديد كعلم وضعي. علم الاجتماع في مراحله المعاصرة وفي كثير من مدارسه يتجه بكل طاقته نحو المجتمع وما فيه من ظواهر تقع تحت المشاهدة والإحصاء والمقارنة والتفسير.

المنهج الوصفي وتستخدمه العلوم الطبيعية والاجتماعية يعتمد على الملاحظة بأنواعها وعمليات التصنيف والإحصاء وبيان وتفسير العمليات هو أكثر المناهج ملائمة للواقع الاجتماعي في الفهم واكتشاف العلاقة بين المتغيرات وتقديم التفسير.تقسيم الدراسة الاجتماعية يكون إلى دراسة تخصص الظواهر من حيث تواجدها وأخرى من حيث حركيتها، يستجيب لحاجة المجتمع إلى التأليف الإيجابي بين فكرتي النظام والتقدم(كونت).

"الدراسة الستاتيكية للمجتمع تهيئ لقيام نظرية وضعية عن النظام الذي لا يمكن أن يتحقق إلا بفضل تناسق بين الشروط المختلفة لوجود المجتمعات الإنسانية، وأما الدراسة الدينامية فإنها تسمح بقيام نظرية وضعية عن التقدم المجتمعي".[2]

كانت هناك محاولات في طريق إنشاء العلم الوضعي للمجتمع نجد بعضها عند المفكرين الاقتصاديين وبعضها الأخر عند المهتمين بالتاريخ.هناك مفكرا يحظى بتقدير خاص فيما يتعلق بالمحللين السياسيين وهو آدم سميث.

وكانت المدرسة الأنجلو أمريكية (كولنجوودCOLLINGWOOD.G وهامبلHEMPEL.K.G) حاولت العودة إلى تطبيق المنهج العلمي، فالتاريخ يجب أن يؤخذ بأسس علمية، وهذا بالرغم من الفرق الموجود بينها.

"في علم النفس أول محاولة صارمة لجعل من علم النفس علم بالمعنى الحديث للكلمة أي علم يكون في نفس الوقت تجريبي ونظري كانت لوضع علم السلوك، هذا العلم يمكن ممارسته في المخبر".[3]هذه المحاولة تهدف إلى تخليص علم النفس مما علق به طوال

[1] –راجع أوغست كونت، Cours de philosophie positive : Physique Social, Edition Hermann, Paris, P 13.

[2] –المرجع نفسه، ص123.

[3]– Barreau Hervé, l'epistomologie, Presses Universitaire de France 1er Edition 1990, P 105-106.

سنوات، تخليصه من بقايا الذاتية و التفكير الميتافيزيقي ولوضع أول حجر في البناء العلمي لهذا الفرع من المعرفة.و أصبح هذا الاتجاه السائد الآن في علم النفس الحديث. فالعلم هو مجموعة من القوانين يتفق على أنها صادقة و محك الصدق هو التجربة وليس رأي الفرد و الخبرات المتضمنة في العلم لذلك لابد أن تكون خبرات موضوعية وليست خبرات ذاتية.هذه السيكولوجية الجديدة تريد تجاوز سيكولوجية القرن19م، سيكولوجية هلمهلتز ووندت ووليم جيمس التي استعملت إلى جانب المخبر الاستبطان، تركز على نشاط الكائنات وعلاقتها بالوسط."المحاولة الثانية لجعل علم النفس علما.. معاصرة تأسست مع فرويد الذي كان وريث الطب العقلي الذي طويلا ما حاز اهتمام علماء النفس"[1].المحاولة الثانية لجعل علم النفس علما أنجبت علم نفس المعرفة والإدراك. "رأى بياجي أن السيكولوجيا يجب أن تتطور من هذا الجانب.اهتم بعلم التوجيه أو بدراسة la cybernétique الجهاز العصبي. علماء النفس يعملون أحسن، يظهر لنا عندما يكونون هم أنفسهم ابستمولوجيون حددهم موريس ميرلوبونتي أن يعرفوا كيف يخوضون بقية مشاريع علمية طموحة وأن لا يحسدوا كثيرا اللغويين"[2]،ويقول بياجي "إن التفكير الابستمولوجي يتولد دائما عند "أزمات " هذا العلم أو ذلك وأن هذه "الأزمات" تسبقها ثغرة في المناهج السابقة لكي يقع التغلب عليها بفضل اختراع مناهج جديدة "[3].يهتم بتعيين المبدأ الأساسي الذي يمكن أن نعتمده في اعتبار أي علم من العلوم بعضها من مجموعة العلوم الإنسانية والبعض في عدم اعتباره من هذه المجموعة المعرفية ويحدده كالتالي:ليس كل معرفة موضوعها ما يتعلق بالإنسان علما إنسانيا، ولا يمكن أن نعتبر كذلك إلا أنماط المعرفة التي يكون هدفها البحث عن القوانين المتعلقة بالظواهر التي تكون موضوعا لهذا البحث. يقول " بعد التذكير ببعض الجوانب الرئيسية لعلوم الإنسان والصعوبات الرئيسية التي صادفتها في نشأتها وتطورها، لاح وقت وضعها في النظام العام للعلوم "[4].

---

[1] -Ibid, P 106.

[2] - Op.cit.

[3] –بلانشي روبير، نظرية العلم (الابستمولوجيا)، ترجمة محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2004، ص27.

[4] - Piaget, Jean, , Epistémologie des sciences de l’homme, éditions Gallimard collection 1970, P 81.

تكميم السلوكات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية:من البديهي أن التكميم يصبح ضرورة أساسية.فالقياس هو أساس الموضوعية و استخدام الرياضيات ولاسيما الإحصائيات، يصبح أكثر فأكثر ضروريا.تطورت الأساليب الإحصائية المستخدمة في العلوم الاجتماعية."باستطاعة أية مجموعة من الباحثين أن تبنى مقياسها الخاص بمجال الظواهر التي هي بصدد دراستها، و لكن يجب احترام بعض القواعد العامة، والتي من بينها القابلية للتطبيق، الصدق و الثبات"[1].الفهم لا يتضمن انعدام عمليات أخرى في الدراسات الإنسانية."ففي حقل الدراسات الإنسانية يلاحظ الأنثرروبولوجيون و يصنفون ويجرب علماء النفس و يعممون، و يتصور المؤرخون ويستنبطون، أما التقنيات فهي إجراءات خاصة تتوافق مع فحص المشاكل الجزئية"[2]. برزت مدارس تتفاوت في الامتثال للحتمية العلمية.فكتاب تفسير الأحلام لفرويد يعتبر أحد الكتب الممثلة لهذا الاتجاه الجديد، يسير إلى التفسير العلمي للحياة النفسية." فالتداعي الحرّ المستخدم في علم النفس هو تكنيك كما أنه يرتكز على افتراضات تتعلق بما يكتشفه و بعض التقنيات تكون بالغة التخصص وبعضها الافتراضات يكون متوافقا مع عدة أبحاث و فروض"[3].

في علم النفس أول محاولة صارمة لجعل من علم النفس علم بالمعنى الحديث للكلمة أي علم يكون في نفس الوقت تجريبي ونظري كانت لوضع علم السلوك هذا العلم يمكن ممارسته في المخبر.[4]هذه السيكولوجية الجديدة تريد تجاوز سيكولوجية القرن19م، سيكولوجية هلمهلتز ووندت ووليم جيمس التي استعملت إلى جانب المخبر الاستبطان، تركز على نشاط الكائنات وعلاقتها بالوسط.المحاولة الثانية لجعل علم النفس علماهي معاصرة تأسست مع فرويد الذي كان وريث الطب العقلي الذي طويلا ما حاز اهتمام علماء النفس[5].المحاولة الثانية لجعل علم النفس علما أنجبت علم نفس المعرفة والإدراك

[1]– د. دليو، فضيل، مقاييس الاتجاه في العلوم الإنسانية، مجلة العلوم الإنسانية مديرية النشر و التنشيط العلمي جامعة منتوري، قسنطينة رقم 10 ديسمبر 1998 ص159.

[2]–هـ.ب،ريكمان، المرجع السابق ص200.

[3]– المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[4]- Barreau Hervé. Op. cit. , P 105-106.

[5] -Ibid.

ففي رأي بياجي أن السيكولوجيا يجب أن تتطور من هذا الجانب فاهتم بعلم التوجيه أو بدراسة LA CYBERNETIQUE الجهاز العصبي.

علماء النفس يعملون أحسن، يظهر لنا عندما يكونون هم أنفسهم ابستيمولوجيون حددهم موريس ميرلوبونتي أن يعرفوا كيف يخوضون بقية مشاريع علمية طموحة وأن لا يحسدوا كثيرا اللغويين[1]. يهتم بياجي بتعيين المبدأ الأساسي الذي يمكن أن نعتمده في اعتبار أي علم من العلوم بعضها من مجموعة العلوم الأنانية وبعض في عدم اعتباره من هذه المجموعة المعرفية ويحدده كالتالي:ليس كل معرفة موضوعها ما يتعلق بالإنسان علما إنسانيا، ولا يمكن أن نعتبر كذلك إلى أنماط المعرفة التي يكون هدفها البحث عن القوانين المتعلقة بالظواهر التي تكون موضوعها لهذا البحث. يقول "بعد التذكير ببعض الجوانب الرئيسية لعلوم الإنسان والصعوبات الرئيسية التي صادفتها في نشأتها وتطورها، لاح وقت وضعها في النظام العام للعلوم "[2]. ففي البنيوية أن يكون هناك علاقات اجتماعية موضوعية مستقلة عن إرادات الأفراد، "هذا أمر أوضحته البنيوية بعد مدرسة دوركايم.[3]دفعت إلى توضيح المبادئ ومصداقيتها،وأتاحت الفرصة الإبداعية خارقة في العلوم الإنسانية (في الآداب وعلم النفس التحليلي وعلم الاجتماع)، "إن الحدسية LINTUITIONNISME الذاتوية التي تسعى للوصول إلى المعنى من ضمن مباشريه IMMEDIATETE المعيوش، لا يجدر بنا التوقف عندها لحظة واحدة".[4]

الموضوعية:ينبغي الكلام عن خطاب علمي حول الإنسان،ينبغي على الباحث لكي يكون موضوعيا ألا يتأثر بما يثيره الموضوع فيه، و عليه أن ينظر إلى الإنسان كشيء. إذا لم تستخدم كحجة الموضوعية OBJECTIVISME، التي تقتصر على تثبيت علاقات منتظمة وعلى البرهنة على دلالاتها الإحصائية دون أن نكشف فيها عن الدلالة الإنسانية، وهي تظل مجرد اسميNOMINALISME مجردة وشكلية مادامت لم تظهر كفرصة ضرورية للمسيرة العلمية، إنما فرصة يمكن تجاوزها.فقد تظهر علاقة تعيين في وضعية مغلقة

[1] - Ibid .
[2] -Piaget Jean, Op.cit. P 81.
[3] – بلانشي روبير، المرجع السابق،الصفحةنفسها.
[4] – المرجع نفسه، ص232.

وتختف ضمن وضعية. يقول كونت "صنفان كبيران في الفيزياء العضوية: الفيزيولوجية بمعنى الكلمة والفيزياء الاجتماعية التي تتأسس على الأولى"[1]، يقول "في كل الظواهر الاجتماعية، نلاحظ أولا تأثير قوانين الفرد الفيزيولوجية"[2]."إنه من البديهي أن الدراسة المناسبة للظواهر الاجتماعية تستوجب الانطلاق من معرفة معمقة للقوانين المرتبطة بالحياة الفردية.

[1] - Comte Auguste, Philosophie des sciences, P34.
[2] -Ibid, P35.

المبحث الثاني:العلوم الإنسانية وإشكالية التفسير(التاريخ-علم الاجتماع-علم النفس).

نأتي الآن إلى التفسير ونقتصر خاصة على التاريخ وعلم الاجتماع و علم النفس.التاريخ فضلا عن القرن التاسع عشر شهد مادية وضعها ماركس برفقة انجلز في محاولته جعل التاريخ علما دقيقا كما جعل نيوتن الفيزياء علما دقيقا، "بدأ اعتباره علما في القرن الثامن عشر تحت تأثير مناهج الفيزياء الرياضية (غليلي ونيوتن) ونسمي تقليدا هذه النزعة الابستمولوجية بالنزعة الوضعية أو الطبيعية تمثلت في عصر التنوير (مونتسكيو، فولتير) وفي القرن التاسع عشر (لنجلوا LANGLOIS و سنيولوس SEIGNOLOS) في كتابهما المشترك المدخل إلى الدراسات التاريخية"[1]ونشأت فلسفة العلم.و"إن الحركة الديناميكية لمسار التاريخ لا تحول دون تطبيق المنهج التجريبي عليه"[2]أثير النقاش حول بعض التصورات تهتم بها فلسفة العلم كالفهم والتفسير لما بين وقائع من تشابه واختلاف، السبب والنتيجة، الحتمية التاريخية، مدى تحقيق موضوعية في دراسة التاريخ...الخ.

الحجج هنا إسناد التاريخ إلى الملاحظة (غير المباشرة) من خلال المادة التاريخية أي الوثائق والآثار. كما أن الحركة الديناميكية لمسار التاريخ لا تحول دون تطبيق المنهج التجريبي.

يمكن الوصول إلى أحكام كلية والتنبؤ. يقول مونتسكيو في روح القوانين "يجب أن نفهم التاريخ " ج2 ص367 والقوانين هنا لها أسباب وتفسير حسب النسق وبحدوث حادث مؤسس، قضية التفسير هنا ترتبط بالتعريف والتعقيب. التفسير بالنسق لا يمنع التفسير بالتواتر والقياس المطرد والعودة على النسق الاستقرائي[3].حسب بعضهم يجب فصل قضية التفسير هنا عن قضية الحتمية الطبيعية أو الإلهية والبقاء في نطاق الابستمولوجية التاريخية. ويحتمل التاريخ التفسير بالقاعدة المطردة كون وقائعه منتهية مستمضية."التمييز بين التاريخ البشري السياسي والحربي الدبلوماسي أي المكتوب بعقود والتاريخ الطبيعي،

[1] –بتشه،عبدالقادر، الابستيمولوجيا مثال: فلسفة الفيزياء النيوتينية، دارالطليعةللطباعةوالنشر–بيروت– لبنان، طبعة1995،1،ص72.

[2] المرجع نفسه،ص73.

[3] العروي عبد الله، مفهوم التاريخ، الجزء الثاني، المفاهيم والأصول، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992، ص301.

تاريخ الإنساني، الحيواني، وتاريخ الحيوان، والنبات المكتوب بشواهد أثرية، أو بوثائق مستنبطة.[1]

تعتمد العلوم التي تدرس الماضي بسجلاته ووثائقه على المنهج التاريخي ويقوم على الجمع والتصنيف وتأويل الوقائع عن طريق: التثبت من صحة الوثائق بالاستعانة بمجموعة من العلوم، والتثبت أو التحقق من الواقعة بنقد وثائق لاإرادية حولها، والتركيب التاريخي في سياق زمني واحد وتحديد الأسباب."تتغير قاعدة التأويل في التاريخ وفي غيره، تتوالى النماذج الذهنية الصالحة للقياس في التاريخ وفي غيره ولا شيء من هذا يدل على نسبية أو ذاتية المعرفة في التاريخ وفي غيره، البحث الذي يوسع قاعدة الاستقراء في الطبيعيات والاجتماعيات، يزيد في الوقت نفسه من عمق ماضي الكون والحياة والإنسان والوعي".[2]

التصور الخلدوني للعلوم الإنسانية:

يقدم ابن خلدون تعريفه للتاريخ ومنهجه، والموضوع الذي يريد أن يطبق عليه هذا المنهج ولم يقتصر على إعطاء مجرد تصنيف بل محاولة تحديد قواعد دقيقة في مجال تفكير موحد هو مجال العمران وضمن علاقة ضرورية قائمة بين طبيعة البشر والعمران.لمس كل الظواهر التي صادفها في بحثه من اقتصادية وسياسية وثقافية وصناعية وجغرافية أي عمرانية بالمفهوم الخلدوني الشمولي.يعقد ابن خلدون فصلا في فضل علم التاريخ ويعود ليتكلم عن تزويد المؤرخ بالوسائل اللازمة، في هذا الفصل يوضح ما يجب أن يكون عليه علم التاريخ والشروط التي تجعل المؤرخ مؤرخا حقيقيا وحتى لا يكون ممن يذكرون الأخبار بدون تحليل فيقدم صورة علم جماعي يشترك فيه العالم والسياسي والجغرافي والاقتصادي، فهو معلل ومحلل مهتم بكيفيات الوقائع.

يوجد عنده تفكير مشابه للثورة الفكرية الحالية في العلوم الإنسانية، محلل ومقارن لجميع الظواهر، يمتاز بالموضوعية في الأبحاث واستقراء الأحداث لاستخراج القوانين الحتمية كما هو الحال عند العلماء في الميادين الطبيعية."فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات

[1] – المرجع السابق ،ص303.

[2] – المرجع نفسه،ص322.

والمغالط"[1].يربط بين التاريخ و الاجتماع. يقول أيضا "فإذا يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسية وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها"[2] وإذ يدرك قيمة هذا الكشف الذي له مفعول الثورة في دراسة التاريخ وكتابته وتدوينه. نراه يمضي في إبراز منهجه ما يعطي أهمية بالغة لمؤلفه سواء من الناحية النظرية أو الناحية المنهجية، عمل أصيل يشهد قوة التحليل "وأثرت فيه الأحداث الناجمة عن التدهور السياسي فظهر أثر ذلك كله في كتابه التاريخي العظيم، وبدا في مقدمته المتفتحة المسهبة، كأنه بشير بعلم اجتماع عتيد، وقد أعطى التاريخ تعبيره الاجتماعي"[3] لم يقتصر على صياغة هذا الفرع الجديد من المعرفة بل حدد سبل وقواعد دقيقة ومعايير وأسس معرفية بدلا من الموضوع التقليدي للتاريخ ونوعياته المألوفة القديمة والتي لا تتمثل إلا في سرد أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى وهو كما يقول نظر وتحقيق وتحليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق.

هناك تصنيفات لا تذكر إطلاقا التاريخ (الفارابي في إحصاء العلوم) وجه ابن خلدون الانتقاد إلى المنهج المتبع في التاريخ.قاده وعيه إلى اكتشاف علم جديد لم يسبقه إليه غيره هو علم العمران البشري كما نجد تصورا للمجال المعرفي للعلوم الإنسانية، ظهر أثر ذلك كله في كتابه التاريخي العظيم وبدا في مقدمته المسهبة.

أعطى التاريخ تعبيره الاجتماعي حين قال "إن هدف التاريخ الحقيقي إفهامنا حالة الشبر الاجتماعية (أي الحضارة) وتعريفنا بالأحداث التي ترتبط بها ارتباطا طبيعيا ومعرفة الحياة الهمجية البدائية، ولطف العادات، وروح الأسرة والقبيلة، وسبب استيلاء بعض

[1] –ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط11، 1992، ص9.

[2] – المرجع نفسه، ص28.

[3] –بوتول، غاستون، تاريخ السوسولوجيا، ترجمة د.ممدوح حقي، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط1، 1977، ص26.

الشعوب على بعض.."[1] أي علم تحقيق وهذا ما يأخذ به فيما بعد لوسيان فافر عندما يرى أن المؤرخ لم يعد إنسان بطاقات معتكفا في مكتبه، سيأتي يوم تكون فيه مخابر للتاريخ.ابن خلدون هيأ التاريخ ليكون علما إنسانيا في موضوعه ومنهجه و لتجاوز طريقة الاتباع والتقليد إلى التعليل، إرجاع الحوادث لأسباب،و هذا يعتبر تجديدا في نطاق المجال الإبستمولوجي لعلم معين و رفع للعوائق الإيديولوجية. حقق ابن خلدون ثورة في النسق المعرفي في زمانه.فكتابه عمل عظيم في أبحاث السوسيولوجيا المفسرة، أرسى أسول علم الاجتماع ووضع أسسه، ومازال بعض البناء الاجتماعي يقوم على ما كان عليه في عهد ابن خلدون. يتكلم عن تزويد المؤرخ بالوسائل اللازمة للإطلاع وفهم التاريخ، يقدم صورة علم جماعي يشترك فيه العالم السياسي والجغرافي والاقتصادي، مراعاة كل هذا، "نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق".

يقول: "التاريخ إنما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل، فأما ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعاصير فهو أساس للمؤرخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتتبين به أخباره"[2] أنشأ علم العمران الذي توصل إليه كغاية أو كوسيلة لتصحيح التاريخ. لم يغير نظرته إلى هذا الأخير فحسب بل النظرة على كل ما يدعى بالعلوم الإنسانية اليوم. فعلم العمران هو المقياس لفهم التاريخ والمجتمعات الحاضرة والتنبؤ بمستقبلها لقد عاصر مرحلة ازدهار العلوم الطبيعية واستهوته الرياضيات لأن أحكامها يقينية ومنهجها منطقي واضح. "وأخيرا فإن كتاب ابن خلدون ليعد عملا عظيما ممتازا في أبحاث السوسيولوجيا المفسرة، أرسى أصول السوسيولوجيا في الشمال الأفريقي ووضع أسسه، وما زال بعض البناء الاجتماعي يقوم في عهدنا على ما كان يقوم عليه في عهد ابن خلدون نفسه"[3].ليس من الغريب أن يذكر في كتب علم الاجتماع في الشرق والغرب على السواء بجانب كونت ودوركايم وليفي برول وغيرهم.ابن خلدون معلل ومحلل يهيم بكيفيات الوقائع، معرفة كيفية حدوثها وأسبابها وتزاحمها وتعاقبها.درس الظواهر الاجتماعية دراسة موضوعية لا لمجرد

[1] –المرجع السابق ، صفحة نفسها.

[2] –ابن خلدون، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص32.

[3] –بوتول، غاستون، المرجع نفسه،ص 29.

الوصف أو تحديد ما ينبغي أن تكون عليه "تحليلها يؤدي إلى الكشف عن طبيعتها وعلى الأسس التي تقوم عليها والقوانين التي تخضع لها أي أن يدرس العالم ظواهر الطبيعة والكيميائي وعالم الوظائف الأعضاء وغيرهم"[1] يقترح ما يمكن أن ندعوه قطيعة ابستيمولوجية، تجاوز للمعرفة السابقة.

نجد ابن خلدون يتفطن إلى الناحية الاقتصادية ويخصص لها قسما قائما بذاته في المقدمة، عمل على البحث في هذه الظواهر بحثا علميا عن طريق الكشف عن المسببات ومقارنة النتائج والانتهاء إلى وضع قوانين تحكمها في الحالات المتشابهة، يقول أنها جانب من جوانب الظاهرة الاجتماعية، أنه من الضروري مراعاة علاقة التلازم التي تنشأ بين الظواهر الاقتصادية في الكسب والمعاش والصنائع.. يمكن اعتبارها أبحاث من نوع علم الاجتماع الاقتصادي. يذكر مثلا مسألة هامة أن العمل يتبع قانون العرض والطلب، ودور هذا الأخير في الأسواق والأسعار من خلال المدن التي عاش فيها."نجده عندما يدلي بآرائه الاقتصادية لا يدخل المعيار الأخلاقي بل يصف الواقع فيبدأ بالبحث عن الأسباب التي خلقت الظاهرة ويعللها حتى يصل إلى القوانين العلمية"[2].ابن خلدون يبدأ بالحديث عن الأسباب التي تحمل الدولة على تعاطي التجارة والفلاحة ثم يصل إلى الحكم، ذلك لأنه وقع خلل في العلاقات الاجتماعية وقام جزء من المجتمع بخدمة غيره وبذلك لم يحصل التكافؤ.تميز بالفكر السياسي العلمي، استقراء التاريخ وتتبع الوقائع السياسية منذ وجدت الخليقة وانتقل بعد ذلك إلى استخلاص القوانين العامة مثل علم يهتم بالجانب النظري "الظاهرة السياسية عند ابن خلدون ظاهرة جزئية أو جانبية، بينما الظاهرة الكلية هي الظاهرة الاجتماعية"[3] إن نظرية الدولة عويصة ومتشبعة ينتجها الإنسان وتصبح مسيطرة عليه بفرض نوع من السلوك عليه "اتبع منهجا علميا في تحليله لظاهرة السلطة"[4]تفكيره مبني على الواقع والعلم.

[1] –الصغير، ابن عمار، التفكير العلمي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الطبعة 2، 1969، ص70.

[2] – المرجع نفسه، ص89 .

[3] – المرجع نفسه، ص103.

[4] – المرجع السابق،ص 109.

"ولكن إذا كان "سان سيمون" SIMON.S قد حاول أن يحدد ضرورة قيام علم الاجتماع باعتباره "هدفا GOOL" إلا أنه لم يستطع أن يرسم حدود "المنهج METHOD" الذي يوصلنا إلى تحقيق الهدف، على حين استطاع تلميذه "كونت" أن يحقق ما لم يتوصل إليه سان سيمون"[1] حدد ملامح المنهج السوسيولوجي الوضعي.حسب كونت لا يجب البحث في العلل والغايات.

المذهب الوضعي "مذهب أوغست كونت": يقرر أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة وما بينها من علاقات وقوانين وأن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية"[2]..محاولة مونتسكيو قام بها في الوقت الذي لم يكن المنهج العلمي(الوضعي)قد شمل إلا الظواهر الطبيعية الأكثر بساطة وتعتبر محاولة سابقة لأوانها، ويعتبر كوندورسي من بين الممهدين لنشأة العلم الاجتماعي كما يذكر كونت.كانت هناك محاولات في طريق إنشاء العلم الوضعي للمجتمع نجد بعضها عند المفكرين الاقتصاديين وبعضها الأخر عند المهتمين بالتاريخ وهناك المفكر الذي يحظى بتقدير خاص فيما يتعلق بالمحليين السياسيين وهو أدم سميث، وفيما يتعلق بالتاريخ بوسيي في محاولته اتجاه إنشاء علم وضعي بتسلسل الوقائع التاريخية في زمن كان لا يزال يسود هيمنة الأفكار اللاهوتية والتصورات الميتافيزيقية.النتيجة التي توصل إليها الوضعيون الاجتماعيون هي اعتبار كل الأبحاث العلمية التي تتقيد بالمنهج العلمي التجريبي هي علوم برغم تفاوتها في تطبيق هذا المنهج، ويعتبرون أن علم الاجتماع يمكن أن يستوعب كل مباحث العلوم الإنسانية، له قواعده العلمية وإمكاناته التجريبية، بعد ما تخلص من الميتافيزيقا والتأملات الفلسفية. فأرسطو يربط المعرفة التاريخية بمظاهر الذاكرة وهو أقرب إلى الشعر منه إلى العلم، وفرانسيس بيكون الذي يخالف أرسطو يجعل التعريف التاريخي خارج العلم وتفسيره على أنه نوع من الفن ونظام سياسي أخلاقي لا يثير الاعتراض وظل تفسيره ساري المفعول مدة طويلة من الزمن.في القرن التاسع عشر حققت مسألة إمكانية العلم التاريخي وظهرت حلولا جديدة نتيجة تطور في أوروبا علم طبيعي ميكانيكي جديد وعلم رياضي تجريبي

[1]–د.محمد اسماعيل، قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الإجتماع ، دار المعرفة الجامعية، ص 127

[2]–وهبة، مراد و شلالة ،يوسف، المعجم الفلسفي، ص254.

واختبار الفرضيات بالتجارب وكانت قوانين موضوعية وجدت التطبيقات العملية، المفكرون الكبار للمرحلة من بيكون إلى كونت علقوا الآمال الكبار على العلم معتقدين أنه سيجعل الإنسان سيد الطبيعة وتعاظم احترام العلم.

تدعي الحتمية على وجه الإجمال أن كل حادثة أيا كانت ليست إلا حالة جزئية من حالات ينطبق عليها أحد قوانين الطبيعة وتعني لكل حادثة سبب (السببية)،أن الطبيعة مطردة، إذا كانت لدينا معرفة بحالة الكون في وقت معين يمكننا التنبؤ بما سيحدث في المستقبل، فالأشياء لا تحدث هكذا أو من تلقاء نفسها..لا شك أن وصف السلوك بأنه تلقائي معناه أنه يحدث هكذا دون تحديد أو ارتباط بعوامل تعتبر مسؤولة عنه وهذا ما يرفضه "يفترض العلم مبدأ الحتمية، وإذا كان هذا المبدأ غير قابل للإثبات.

الدراسة السوسيولوجية واسعة.مناهج البحث في علم الاجتماع لم تصل إلى النضج الذي وصلته مناهج العلوم الطبيعية أو حتى بعض العلوم كالتاريخ وعلم النفس.يجد الباحث السوسيولوجي نفسه أمام صعوبتان إحداهما تتعلق بضبط الموضوع والأخرى تخص المناهج. أول من وضع اللبنات الأولى لتحديد الموضوع ابن خلدون وظهرت العناية بهذا العلم على أيدي علماء فرنسيين وأمريكان وغيرهم اهتموا بالجانب النظري والتطبيقي.يهدف إلى تحقيق هدفين: الوصف الدقيق عن طريق تحليل الظواهر الاجتماعية والعلاقات التي تربط بينها والتفسير بصياغة أحكام عامة."وأخيرا لما درست الظاهرة الاجتماعية بمنهج علمي أي وضعت وحللت وفسرت بموضوعية، أصبحت عنصرا يضاف إلى العلم، ولم تعد ظاهرة خاصة بوطن أو فترة زمنية، فتخرج من حيز الزمان والمكان وتفرض وجودها العلمي"[1].يذكر أن الاهتمام بقضايا الميتودولوجيا تاريخيا في العلوم الاجتماعية كان وراء السعي لتأكيد الطابع العلمي لها أو بعبارة أخرى كان الاهتمام يدور حول تحديد إلى أي مدى تقترب العلوم الاجتماعية من مناهج و أدوات و إجراءات العلوم الطبيعية و كيف يمكن اكتشاف قوانين التفاعل الإنساني في الوقت الذي لا يمكن إخضاع موضوعات البحث إلى التجربة؟والى أي مدى يمكن تحقيق الموضوعية و هل تحتم معالجة العلوم الاجتماعية للكائنات البشرية ضرورة وجود اختلافات جذرية في مداخل الدراسة

[1]-أنظرد. عبد المجيد، بن حمدة، مناهج دراسة الظاهرة الاجتماعية ، مجلة سيرتا مجلة تاريخية اجتماعية بجامعة قسنطينة، العدد 2، نوفمبر 1979، ص117.

عن العلوم الطبيعية؟ نظر الاجتماعيون إلى ظواهر الدين والأخلاق والمعرفة على أنها أشياء اجتماعية وحاولوا معالجتها على أنها أشياء يمكن النظر إليها من الخارج ويرفضون فكرة أشياء كما في ذاتها.

ساهموا إلى حد بعيد في البحث الإبستمولوجي، التمسوا مختلف السبل للكشف عن أصل ومضمون مقولات كالزمان والمكان والعلية والعدد.باختصار يهدفون إلى ترجمة الخبرة الذاتية إلى ظواهر موضوعية، ما الموضوعية"بنحو خاص، موقف، استعداد فكري لدى ذلك الذي "يرى الأشياء كما هي" الذي لا يشوهها لا بضيق فكري ولا بتمذهب أو تحزب"[1].وتكمن قوة المعرفة العلمية في طابعها العام وكليتها وضرورتها وصدقها الموضوعي فبعكس الفن، يدرك في مفاهيم بواسطة التفكير المنطقي ويكمن تقدمه في انتقاله من وصف العلاقات العلمية المتتابعة البسيطة نسبيا إلى قوانين أكثر عمقا.الاعتراف بموضوعية الإنسان، وجود الشيء كموضوع أو فعل. "الموضوعية مبدأ محدد في تناول ظواهر الواقع يدعو إلى الامتناع عن أي تقييم نقدي أو استنتاجات متحيزة على أساس مزعوم بأن العلم عاجز عن التوصل إلى مثل هذه الاستنتاجات العلمية"[2].تفسير الظاهرة معناه أن نتناولها تناولا يرمي إلى اكتشاف أو تصور العلاقات القائمة بينها و بين غيرها من المتغيرات.الواقع أن إقامة علاقات معينة بين مجموعتين من المتغيرات هي مشكلة التفسير.لقد كانت المفهومات التفسيرية لا ترتكز أساسا على مادة الملاحظات التجريبية مستقلة عن الظاهرة المراد تفسيرها. إن القياس التجريبي أو الملاحظة التجريبية المباشرة هي الأساس الذي يعتمد عليه العلم الطبيعي ويجب أن يتحقق في مجال السلوك الإنساني.

"علم المجتمع والقوانين التي تحكم تطوره ويرجع بدء ظهور النظريات الاجتماعية (السوسيولوجية) إلى الزمن القديم البعيد، فقد حاول موتزو و ديمقريطس وأفلاطون وأرسطو وأبيقور ولوكرتيوس.. فهم أسباب التغيرات الاجتماعية والقوى المحركة في حياة الناس".[3]يمكن ذكر فيكو، مونتيسكيو، فولتير و روسو في القرن السابع عشر والثامن عشر."بدل كونت الذي صب "علم الاجتماع" (السوسيولوجيا) كل جهده ليبني على أساس

[1] –لالاند، أندري، الموسوعة، المجلد الثاني،المرجع السابق، ص896.

[2] –مجموعة من العلماء والأكاديميين السوفيات، المرجع السابق ، ص300.

[3] – المرجع السابق،الصفحة نفسها.

مثالي "علم اجتماع علمي" يكشف قوانين أبدية وثابتة للمجتمع الإنساني مماثلة لقوانين العلم الطبيعي"[1].

أحد جوانب علم الاجتماع المعاصر يتناول بالوصف جوانب معينة من الحياة الاجتماعية يطلق عليه علم النفس التجريبي، "انتشر على نطاق واحد في الولايات المتحدة الأمريكية (لوندبرغ، دود، مايو، الخ) يمكن أن تلعب دراسة الظواهر الاجتماعية المحددة الفردية بواسطة الأبحاث الاجتماعية المحددة دورا إيجابيا فقط إذا هي قامت على أساس نظرية علمية تدرس المجتمع كوحدة تتطور طبقا للقانون"[2]. يقتصر منهجهم على الاستخبارات واللقاءات والمعلومات، القوانين الإحصائية الدينامية، أشكال الروابط العلمية المنتظمة بين الظواهر،"القوانين الدينامية صورة من الروابط العلمية التي يحدد فيها شرط معين لنسق ما الشروط (التالية) تحديدا قاطعا، ويحدد معرفة الشروط المبدئية التي تسمح بتنبؤ دقيق بالتطور اللاحق للنسق"[3].امتدت محاولات أو مساهمات علم الاجتماع على ميدان الإبستمولوجيا ونظرية المعرفة.عرف كونت بجعله من العلم الطبيعي تمهيدا لعلم الاجتماع أو الفيزياء الاجتماعية كما كان يحلو له تسمية علمه الجديد وتوطئة له، يقول لالاند "وضعانية (المذهب الوضعي) بالمعنى الحقيق، مجمل مذاهب أوغست كونت، كما هي معروضة أساسا في محاضرات الفلسفة الوضعية (1830-1842) خطاب حول العقل الوضعي (1814)، البيان الوضعاني (1852)، نظام السياسة الوضعية (1852-1854) مدرسة وضعانية أرثوذكسية مركزها في باريس... يطلق بالتوسع اسم وضعانية على المذاهب المتعلقة بعقيدة أوغست كونت.. والتي تجمعها أطروحات مشتركة".[4] وهو يذكر في الحقيقة علوم إنسانية أخرى ويحللها ومن بين هذه العلوم يمكن ذكر علم الأخلاق الذي يمثل عنده امتدادا لعلم الاجتماع الذي يصبح مجرد مقدمة للبحث العلمي في الأخلاق. يؤكد على أهمية وسائل كالملاحظة والتجريب والمقارنة يقول: "فالديناميكية الاجتماعية هي في

[1] – المرجع نفسه، ص301.

[2] – المرجع نفسه، ص 302.

[3] –المرجع نفسه، ص377.

[4] – لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية، المجلد الثاني،المرجع السابق، ص ص1001-1002.

الواقع نظام مستمر يسير وفقا لقوانين طبيعية ومنظمة وضرورية، لأنه إن لم تكن الحركة محكومة بهذه القوانين فإنها لن تؤدي إلى التنظيم الكامل للنسق الاجتماعي"[1].

كما اعتنى بعلم التاريخ وبعلم السياسة اللذان تربطهما بعلم الاجتماع علاقة تكامل أكيدة التاريخ أساسي للبحوث الاجتماعية التي تأخذ بعين الاعتبار المسائل السياسية وينتقد علم النفس الاستنباطي لكنه يقبل علم النفس السلوكي الذي يحدد ردود الأفعال على المنبهات الخارجية أو الداخلية، جاء اهتمامه سطحيا بعلم النفس.التاريخ في القرن التاسع عشر جاء نتيجة وعي الإنسان بتاريخية الأشياء أولا وبتاريخيته هو، لا يمكن اعتباره مهما لدوره المنهجي فقط بل لأهمية موضوعه.نشر المجلد الأول من الدروس في الفلسفة الوضعية (1830 م) بلغ تعدادها ستة مجلدات تؤلف أهم أعماله."عرض فيها تفاصيل ذلك الإصلاح العقلي... فالعلوم الوضعية هي مضمون ذلك الإصلاح ووسيلته في آن واحد"[2]. علم الاجتماع مع كونت يشبه الفيزياء يدرس القوانين التي يخضع لها المجتمع إما في جانبه الديناميكي من حيث هو منظومة متطورة، أو في جانبه الستاتيكي من حيث هو نظام علاقات قارة وثابتة تشبهها محاولة علم الاجتماع الشكلي بألمانيا في محاولة أن يستوحي المنهج الرياضي في إقامة علم الاجتماع. إعطاء هذا الأخير صبغة علم مستقل يدرس العلاقات على غرار ما تفعله الميكانيكا النظرية والرياضيات وكلها تدخل في إطار محاولات لعلوم إنسانية مستوحاة من علوم الطبيعة."كونت لا يعترف بقيمة عامة أو منهجية للمنطق، بما هو كذلك. والرياضيات بطبيعة الحالة هي التي تقدم أطر الاستدلال اللازم للعلوم الأخرى وأشكاله"[3] وبصفة عامة العلوم تستعير فيما بينها طرائقها الخاصة."خلافا لجوزيف دي ميستر ولوي دي بونالد، وخلافا لأدموند بورك، تراءى لفيلسوفنا أنه يستطيع أن يؤسس نظرياته المحافظة على أساس تصور صارم للعلم (جان فال)."[4]"أوغست كونت (1798-1857) يظل بالتأكيد حدثا كبيرا لتاريخ السوسيولوجيا طبعا لاكتشافه الاسم نفسه للعلم الجديد وخاصة بدأ ممارستها بتحديد له منهجية وتأسيس الأطر

[1] – د.عاطف، غيث محمد، الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1977، ص103.

[2] –طرابيشي جورج، المرجع السابق، ص 499.

[3] – المرجع السابق،الصفحة نفسها.

[4] –المرجع نفسه، ص 502.

النظرية الأولى".[1]فيما يتعلق بالاعتماد على المنهج العلمي "نجد في علم الاجتماع الذي سمي في نشأته مع كونت بالفيزياء الاجتماعية تشبيها له بالفيزياء فإذا كانت هذه الأخيرة تسعى إلى دراسة قوانين الطبيعة، فإن علم الاجتماع يريد دراسة القوانين التي يخضع لها المجتمع"."الفلسفة الوضعية كما أدركها في الجزء الأول في دروسه في الفلسفة الوضعية والتي نشرت في 1830 هي منظومة عامة للتصورات الإنسانية تناسب الحالة الثالثة لتطور العقل البشري"[2].

الروح الوضعية ضرورة شديدة للعقلانية والموضوعية تريد إعطاء علم الاجتماع صبغة علم مستقل مختص في علاقات التنافس والتعاون من حيث هي علاقات عامة تدخل فيها عناصر متعددة ويكون هناك باحث ميداني، مؤسسة.المذهب السان سيموني أول من استعمل كلمة وضعانية حسب لالاند."إن هذا المنهج هو المنهج العلمي الحق، فباستعماله المرتبط من جهة ثانية بوجود تصور عام يرتدي علم ما طابع الدقة والوضعانية الذي يبدو اليوم أنه يعزى حصرا إلى استعمال الموازين أو الجداول اللوغاريتمية، الخوارزمية"[3].يؤكدون أن معرفة الوقائع هي المثمرة وحدها وأن العلوم الإخبارية هي التي تمدنا بنموذج اليقين، أن العقل البشري لا يوجد في الفلسفة كما في العلم، إلا بشرط الاتصال الدائم بالاختبار، الخاصية الأساسية للفلسفة الوضعية،النظر إلى كل الظواهر على أنها خاضعة لقوانين طبيعية ثابتة، أن اكتشافها الدقيق وردها إلى أقل عدد ممكن هو الهدف من جهودها، أن البحث عن العلل الأولى أو النهائية *Causes* أمر غير مقبول وخال من كل معنى."كل مجال "الشيء بذاته" غير قابل للتناول وإن الفكرة لا يمكنها سوى بلوغ العلاقات والقوانين" يقول كونت التوصل إلى توكيدات إيجابية جدا.على علم الاجتماع كي يكون علما بالمعنى الحقيقي أي الوضعي بمقاومة صفات ثلاث: المثالية، الإطلاق، والاعتباطية، نبذ الأفكار المطلقة وحصر همه في التنسيق بين الوقائع المشاهدة، والتنبؤ شأنه شأن العلوم الطبيعية يقول:" من الممكن التنبؤ بالظواهر الاجتماعية، شأنها شأن الظواهر الأخرى".[4]

---

[1]- Simon Pierre Jean, Histoire de la sociologie, Presses universitaires de France 1er édition, 1991. P 269.

[2]- Ibid, P 270.

[3] -لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية، المجلد الثاني، ص 1001.

[4] - لالاند أندري، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

دوركايم:

يجب تحديد الظاهرة الاجتماعية بطريقة أدق كما فعل دوركايم أن تكون مستقلة عن الوعي الفردي "إنما يجب أن تكون خارجة عن كل وعي فردي بحيث يبدو وكأنها تفرض فرضا على العقول الفردية دون أن يشعروا هم بأنهم الفعلة الحقيقيون كأفراد في بنيانها"[1] يؤكد أنها قسرية (تمارس قهر على الأفراد).لا تتم الدراسة إلا عن طريق المقارنة بين ظواهر متشابهة تفضي إلى نتائج متشابهة، التجريب أعسر في علم الاجتماع منه في علم النفس (يكون على مجرد جماعات مصطنعة)."وهنا سنجد أن المنهج الأعم والذي يجب أن يشمل بقية المناهج في علم الاجتماع هو منهج التغيرات المساوقة : وذلك بأن نتبين التغيرات الموجودة في منشآتها، ونقارنها بتلك التي تحدث في منشأة أخرى.."[2]. طبق دوركايم قواعد منهجه على دراسة بعض المشاكل والمسائل الاجتماعية مثل: تقسيم العمل الاجتماعي، الانتحار، مشكلة المعرفة من الناحية الاجتماعية والحياة الدينية وهو يبدأ من فكرة أساسية مركزية في أبحاثه وهي أن الحياة الاجتماعية هي في جوهر حياة قانونية. ينتمي إلى نفس الجيل مع باريتو (الإيطالي) وماكس فيبر (الألماني).علم الاجتماع في صيغته العلمية كما حدد قواعدها دوركايم يمكن أن يتيح التنبؤ، وهو ما أكد عليه علماء علم الاجتماع الماركسي أنفسهم.

ليس من شك أن اميل دوركايم قد حاول أن يقيم نظرية للمعرفة وأن يضع أساسا نظريا لعلم الاجتماع، اهتم بمسألة المقولات في الفكر ومشكلات المعرفة، يرجع إلى أن دوركايم وليفي بريل ومارسيل موس حاولوا جميعا الرد على تحليلات الفلاسفة والاعتراض على مناقشتهم بتأكيد الأصل السوسيولوجي للمعرفة "يرى أن الإصلاح الذي جرى في علم الاجتماع متمثلا في النظر إلى الوقائع الاجتماعية على أنها وقائع طبيعية..."[3].حاول إقامة نظرية اجتماعية للمعرفة، معالجة الظواهر على أنها أشياء (مبدأ شيئية الظواهر) لتحقيق موضوعية علم الاجتماع، علم الاجتماع في رأيهم علم الوصف والمقارنة والتفسير وفي

[1]- د. بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، الناشر : وكالة المطبوعات – الكويت طبعة 3، 1977، ص 222.

[2]- المرجع نفسه ص 223.

[3]-د.قنصوة،صلاح، المرجع السابق، ص92.

أمس الحاجة إلى توحيد مصطلحاته وذلك في لغة علمية مضبوطة وهذا يخرجه من المرحلة السابقة على العلم إلى العلم نفسه.

يقول أن ظواهر المجتمع تستقل عن الأفراد كما أن التصورات الجمعية خارجة في نفس الوقت عن التصورات والعقول الفردية.يرى أن القاعدة هي وجوب تناول الوقائع الاجتماعية كأشياء لا تنطوي على أية تصورات ميتافيزيقية أو تأملات في جوهر الكائنات، أن يضع عالم الاجتماع نفسه في الحالة العقلية التي يضع فيها الفيزيائيون والكيميائيون والفيزيولوجيون أنفسهم عند انخراطهم في دراية نطاق لم يكتشف بعد في مجالهم.كانت العلوم تمثل بالنسبة له فكرة النموذج الذي يهيئ التفكير المحدد أو التفكير الصحيح "علم الاجتماع لا ينشئ مثلا عليا لأنه بوصفه علما وضعيا لا يقبل القيم أو المثل العليا إلا من حيث هي وقائع وموضوعات للدراسة يعمد إلى تحليلها ويحاول تفسيرها"[1].

يضيف للوقائع الاجتماعية صفة القهر، تتمتع بقدر من الموضوعية والتسلط على الفرد الانتحارمثلا ليس مسألة شخصية فردية بل هو جوهره ظاهرة اجتماعية. ثمة قوانين تحدد العلاقة بين الظروف الاجتماعية والانتحار.الظواهر الاجتماعية الأساسية كالدين والاقتصاد والجماليات ليس أكثر من أنساق قيمة (مثل عليا) تمثل نقطة بداية أو انطلاق لعلم الاجتماع وليست خاتمة المطاف.حتى الوقت الذي ظهر فيه كتاب دوركايم قواعد المنهج في علم الاجتماع لم يشغل العلماء، دوركايم يقول بتحديد المنهج الذي يطبقونه في دراسة الوقائع الاجتماعية وتعريفه."لكن تحديد الأنواع الاجتماعية ليس قبل كل شيء سوى وسيلة تمكننا من تصنيف الظواهر حتى يسهل علينا تفسيرها"[2].يرى أن لا حاجة إلى الرجوع للمذهب الغائي، لأن الحاجات لا يمكنها التأثير في التطور الاجتماعي إلا إذا خضعت هي الأخرى لقانون التطور.

الظواهر يقول دوركايم تتكرر باطراد يدعو إلى العجب إذا وجدت في نفس الظروف، حيث أغرب العادات كالزواج خارج القبيلة تلاحظ لدى الشعوب الأشد تباينا، تعد أعراضا تدل على وجود حالة اجتماعية خاصة. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للعلوم الطبيعية، فيجب أن

[1]- المرجع نفسه ص 101.

[2]- دوركايم، ايميل، قواعد المنهج في علم الاجتماع، تقديم عبد الرحمن بوزيدة، موفم للنشر، 1990 ص 187.

يكون نفسه بالنسبة إلى علم الاجتماع.فالأشخاص لم ينتظروا حدث العلوم الاجتماعية كي يشكلوا أفكارا عن القانون و الأخلاق و العائلة و المجتمع نفسه، وذلك لأنهم لا يمكنهم تجاوز هذه العملية في حياتهم.و في علم الاجتماع خصوصا، فإن المفاهيم المسبقة هذه،إذا تناولنا من جديد تعبير بيكون هي في حالة الهيمنة على الفكر و تشكيل بدائل للأشياء. فيجب حينئذ على من يحاول تفسير إحدى الظواهر الاجتماعية" أن يبحث عن كل من السبب الفعال الذي يدعو إلى وجود هذه الظاهرة والوظيفة التي تؤديها، عن كل من هذين الأمرين على حدى"،[1] وذلك قبل محاولة تحديد النتيجة المترتبة."وسوف ينحصر خير تفسير للحياة الاجتماعية في بيان أن هذه الحياة وليدة الطبيعة الإنسانية العامة"[2] من السهل ذكر أمثلة عديدة على هذا.قام دوركايم بإرساء الأساس النظري لبنائه العلمية وأخذ في صوغ قواعد المنهج التي كانت مترتبات تلحق بهذه القاعدة (التفسيرية).يؤكد على وجوب التخلي على نحو منتظم عن كل تصور مسبق في الآراء المبتذلة.و يرى أن" الأشياء الاجتماعية لا تتحقق إلا بوساطة الأشخاص و هي نتيجة للنشاط الإنساني. وهي لا تظهر كشيء آخر غير تطبيق للأفكار العفوية أو غير العفوية التي نحملها وغير تطبيقاتها في الظروف المتنوعة التي تصاحب علاقات الأشخاص فيما بينهم."[3]يضرب على ذلك مثالا علم الجرائم بحيث نطلق اسم الجريمة على كل فعل معاقب عليه ونجعل "الجريمة" اسم لكل فعل يعاقب عليه القانون وموضوع لعلم خاص "علم العقاب وهكذا نضع في سائر العلوم، العقاب لا يصنع الجريمة لكن يكشف من الخارج عنها وهو ما نبدأ منه."إن المشكلة الأساسية لدى الاتجاه الوضعي كنظرية عن العالم الاجتماعي هي قصوره عن تناول مفهوم المعنى"[4].من الصعب الحديث عن الإنسان أو المجتمع دون إدخال فكرة المعنى.فدوركايم استخدم على سبيل المثال حسه الشائع عندما حاول التثبت من وجود علاقة بين التعليم ومعدل الانتحار، فقد أكد أن الدرجة المرتفعة من التعليم يصاحبها معدل مرتفع من الانتحار، وقد واجهته مشكلة عدم تلاؤم هذا مع حالة اليهود الذين لديهم درجة عالية من

[1]- المرجع نفسه، ص 197.

[2]- المرجع نفسه، ص 201.

[4]- د.أنوار،علا مصطفى،علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية(دراسة في فلسفة ميرلوبونتي)الناشر:دار الثقافة للنشر و التوزيع،1994 ،ص387 .

التعليم ومعدل منخفض من الانتحار، ولذا اضطر كي يفسر هذا التعارض إلى القول بوجود معنى مختلف للتعليم لدى اليهود".[1]

هذا يكذب الإدعاء بأن دوركايم غير مهتم بالمعاني الاجتماعية للظواهر وأن كل اهتمامه ينصب على الوقائع الاجتماعية الموضوعية، من الضروري إدراج الواقع مع أفكار.

البنيوية: وعن إنكار علمية العلوم الإنسانية فيقول واحد من كبار المتخصصين فيها و هو كلود ليفي ستراوس CLAUD.LEVI. STRAUSS "إنني لا أجد حرجا في الاعتراف بأنه لا يمكننا أن ندعي أن بين هذه العلوم والإنسانية و بين العلوم الطبيعية الدقيقة تكافؤا حقيقيا. بل إن هذه الأخيرة علوم في حين أن الأولى ليست علوما وان كنا نشير إليها برغم ذلك بنفس الوصف فما ذلك إلا من باب التوهم أو التخمين".[2]

مع البنيوية استعيدت روح الوضعية،انطلاقا من جهد مبذول لإعادة تحديد علمية المعرفة التي تتناول شخصية الإنسان راحت تبرر حملة معادية للفلسفة. الاتفاق الذي تحقق في مرحلة ما بين العلوم الإنسانية و الفلسفة أعيد طرحه من جديد للبحث، فقد اكتشفت هذه العلوم تحت تأثير الألسنية منهجا جديدا هو المنهج البنيوي. أفسح المجال أمام نقد البحث عن المعنى و عن المعاش كما تمارسه العلوم الإنسانية السابقة. تجدر الإشارة إلى محاولة قام بها عالما أنتروبولوجيا فرنسيا قصد إحداث ثورة منهجية جزء من ثورة منهجية جزء من ثورة عرفتها العلوم الإنسانية مع بداية القرن العشرين لقد استلهم ستراوس المنهج من العلوم الفيزيائية"الارتباط المحقق في مرحلة معينة بين العلوم الإنسانية و الفلسفة سيكون موضع خلاف تحت تأثير اللسانيات، العلوم الإنسانية اكتشفت منهجا جديدا "المنهج البنيوي"الذي سيسمح بنقد البحث عن المعنى،و المعايش المطبق، في العلوم الإنسانية السابقة"[3]."حسب فولكيي الدراسات والبحوث في مجال العلوم الإنسانية ينبغي لها أن تنشد

[1]– المرجع نفسه ص 388.

[2] أنظر، ليفي ستراوس،كلود ، الأنثروبولوجيا البنيوية،تعريب الدكتور حسن قبيسي (الجزء الثاني منه)، مركز الإنماء القومي، ص16.

[3] Renee Bouveresse .op.cit .p 19.

الطريقة البنيوية"[1]. سجل بداية مجموعة هائلة من الأعمال في مختلف العلوم الإنسانية المتأثرة بالنموذج البنيوي.مصطلح البنيوية نسبة إلى البنية.

لقد أثار هذا النموذج البنيوي مشكلات أساسية متعددة حول نظرية الحتمية والسببية، وحول العلاقات بين مختلف العلوم الإنسانية حول الطبيعة وحقيقة الثوابت Invariant، حول توقفات الأنساق وثوراتها.ينكر أي موقف لفيلسوف قبله أثار هذه الفكرة. يرى أنه لمن الضروري إقامة معرفة علمية بالحياة العملية للمجتمع لوضع نهاية للفوضى العقلية والسياسية و الأخلاقية.يفترض أن صيغ التعبير الثقافي منظمة كلغة بشرية مثلا أنظمة القرابة مع اعتبار التعبير الرياضي لغة خاصة تضفي على الأبحاث الدقة، منهجه يبدأ بتسجيل محاضر تجريبية بدون تصورات مسبقة والتحليل وتكوين قضية على غرار ما يقوله الوضعيون."وبما أن ليفي شتراوس يدعى بأنه مثاله الأسمى هو الصرامة العلمية وأنه يحاول تطبيقها في كل أعماله الأنثروبولوجية وأنه ينبذ النظريات والمفاهيم الفلسفية"[2].صدور كتاب "المدارات الخزينة" وهو سيرة ذاتية أنثروبولوجية لستراوس مهد الطريق لكتابة الأنثروبولوجيا البنيوية (1958) وبروز البنيوية لمحاولة ممنهجة للكشف عن الأبنية."وقد اهتم ليفي ستراوس بالعلاقات بين الظواهر أكثر من اهتمامه بطبيعة الظواهر نفسها، كما اهتم بالأنساق التي تدخل فيها هذه العلاقات".[3]يقول : "لا يكتفي التحليل البنيوي أبدا للنظر إلى الحدود، بل أنه يحاول أن يدرك العلاقات الثاوية وراء الحدود نفسها والتي بفضلها تنتظم هذه الأخيرة، فالعلاقات وحدها هي التي تشكل موضوعه الحقيقي"[4].ما تنشده الأنتروبولوجيا لا يتعلق فقط بالترفع فوق القيم الخاصة بمجتمع الملاحظ أو جماعته، بل بمناهج أفكاره أيضا، فالأنثروبولوجي يصوغ مقولات عقلية جديدة بعيدة عن الفكر التقليدي بعد المفاهيم التي يعثر عليها اليوم في بعض فروع علوم الطبيعة.

[1] –مهيبل عمر، البنيوية في الفكر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1993، ص17.

[2] – المرجع السابق، ص43.

[3] – د. أنوار، علا مصطفى، المرجع السابق ص395.

[4] – ليفي ستراوس، كلود،المرجع السابق، ص 102.

"رأى إمكانية علم للأنساق على أسس بنيوية، وقد طور آراءه بالنسبة لتناول أهم مظاهر الثقافة بهدف الوصول إلى استبصار داخل الثقافة وإلى وعي جديد للمجتمع".[1]يرى أن جان جاك روسو مؤسس علوم الإنسان. يقول : "بل إن المرء يستطيع أن يجزم دون حرج أن تلك النياسة، التي لم تكن قد وجدت بعد، كان روسو قد تصورها وأرادها وبشر بها قبل ولادتها بزهاء القرن. وجعلها في موضعها من العلوم الطبيعية والإنسانية التي كانت متبلورة في ذلك الحين"[2].يذكر أن المشكلة التي يطرحها الموقع المخصص للعلوم الاجتماعية والإنسانية في المجتمع المعاصر قد عولجت بطريقة سيئة.

من ناحية ثانية، أن كل بحث علمي يفترض وجود ثنائية المعاين وموضوعه، أما في حالة العلوم الطبيعية الإنسان يلعب دور المشاهد."إذا كانت العلوم المجتمعية والإنسانية علوما بالفعل، فإن عليها أن تؤمن لنفسها هذه الثنائية، وليس عليها إلا أن تنقلها فقط لتضعها داخل الإنسان نفسه : فيتم الانقطاع عندئذ بين الإنسان الذي يعاين والإنسان أو البشر المعاينين"[3].فالاختلاف الأساسي بين العلوم الفيزيائية والعلوم الإنسانية لا يمكن، كما يقال في كثير من الأحيان، في أن الأولى وحدها تتمتع بإمكانية إخضاعها للاختبار، وبإمكانية تكرارها كما هي، في أزمنة أخرى وأمكنة أخرى، فالعلوم الإنسانية أيضا تتمتع بهذه الإمكانية"[4]. يبدأ تعميماته من الملاحظات التجريبية ويرجع إليها، يقول " الأنتروبولوجيا لا يمكن بأي حال، أن تستسلم لفصلها عن العلوم الدقيقة والطبيعية (التي تربطها بها الأنتروبولوجيا الطبيعية) أو عن العلوم البشرية (التي تتعلق بها بجميع هذه الألياف التي تحيكها لها الجغرافيا الجغرافيا وعلم الآثار وعلم اللغة)"[5]. يعتبر الأنتروبولوجيا علما اجتماعيا غير منفصل عن الفروع العلمية. البيولوجي والفيزيائي يدركان تدريجيا العلاقات التضمنية الاجتماعية لاكتشافاتهما أو المدلولات الأنتروبولوجية. ترجع أصالته إلى تأكيده على الشكل، وأولوية العلاقات على الكيانات، لا يغفل الواقع. إنها تقريبا تنطلق من العلوم

[1]-المرجع و الصفحة نفسها.

[2]- المرجع نفسه،ص33.

[3]- المرجع نفسه، ص268.

[4]- المرجع السابق،ص269.

[5]- المرجع نفسه،ص413.

الطبيعية، وتستند إلى العلوم الإنسانية، وتتطلع نحو العلوم الاجتماعية.يقول طموح الأنتروبولوجيا الأول هو بلوغ الموضوعية وترسيخ حسها وتعليم مناهجها، ومع ذلك ينبغي توضيح مفهوم الموضوعية المشار إليه، فالأمر يتعلق فقط بموضوعية تتيح لمن يمارسها صرف النظر عن معتقداته وإيثاراته وآرائه المسبقة، لأن مثل هذه الموضوعية تميز جميع العلوم الاجتماعية وإلا لما استطاعت هذه العلوم الطموح إلى مرتبة العلم".

يسلم بما أدركه الفيزيائي الكبير نيلزبور الذي يقول : "إن الاختلافات التقليدية في الثقافات الإنسانية... تشبه من نواح عديدة الأساليب المختلفة المعادلة التي تتبع في وصف التجربة الفيزيائية"[1]. البنيوية منهج علمي أصبحت فيها بعد نظرية فلسفية معادية لكل فينومينومينولوجيا قائمة على استبعاد الذات كحامل للدلالة ومن أهم المحاولات تلك التي توجه بها أصحابها في القرنين التاسع عشر والعشرين لتشييد أنساق، وضع الأساس المنهجي والمحتوى النظري للعلوم الإنسانية على السواء."ففي1949، أدى نشر كتاب ليفي ستراوس، البنى الأولية للقرابة STRUCTURES ELEMENTAIRES DE LA PARENTE، الذي دشن عهد الحركة البنيوية، إلى تجديد التفكير الابستمولوجي، وكذلك أثار جدالات أساسية حول الأنساق الاجتماعية المدروسة، كما حول نظريات ومناهج الطرح الأنتروبولوجي"[2]. فقد راج استعماله منذ الستينات في العلوم الاجتماعية الفرنسية، وفي أصلها تبدو البنيية كأنها محاولة منهجية أو طرائقية لتعميم فوائد الثورة البنيوية على علوم اجتماعية أخرى (من اللسانة إلى الإناسة مثلا كما في علم النفس (بياجي) وفي التاريخ أو علوم الديانات (دومزيلdomuzil.g) وعلم الاجتماع (غولدمان) وفي الفلسفة (فوكو). فالقاسم المشترك الجامع بين هذه الأعمال هو أنها أثارت التساؤل حول التفسيرات التقليدية. اقترح البنيويون بدل البحث في الماضي، في الاستمرارية التاريخية، في تفسير الظاهرة، البحث عن كيفية انتظام الظواهر المتباينة، كما فعل التجريبيون، يشددون على أن الحقائق الاجتماعية، الألسنية والروائية وغيرها، "بنية" ينبغي كشف النسق الكامن تحت الظواهر وقوانين تحوله."لقد أثار هذا النموذج البنيوي مشكلات أساسية متعددة حول نظرية الحتمية والسببية، وحول العلاقات بين مختلف العلوم الإنسانية حول الطبيعة وحقيقة الثوابت

[1]- المرجع نفسه،ص417.

[2] -أنصار، بيار، المرجع السابق، ص57.

invariant، حول توقفات الأنساق وثوراتها".[1] الموضوعات في البنيوية ليست وقائع أو ظواهر بل كليات وأشكالها وتحولاتها.

لقد دفعت إلى توضيح المبادئ ومصداقيتها، أتاحت الفرصة الإبداعية خارقة في العلوم الإنسانية (في الآداب وعلم النفس التحليلي وعلم الاجتماع)."إن الحدسية L'intuitionnisme الذاتوية التي تسعى للوصول إلى المعنى من ضمن مباشرية immédiateté المعيوش، لا يجدر بنا التوقف عندها لحظة واحدة"[2] إذا لم تستخدم كحجة الموضوعية objectivism ، التي تقتصر على تثبيت علاقات منتظمة وعلى البرهنة على دلالاتها الإحصائية دون أن تكشف فيها عن الدلالة الإنسانية، وهي تظل مجرد اسمية Nominalisme مجردة وشكلية مادامت لم تظهر كفرصة ضرورية للمسيرة العلمية، إنما فرصة يمكن تجاوزها.

<u>علم النفس التجريبي:</u> أما فيما يخص علم النفس الواقع أن إقامة علاقات معينة بين مجموعتين من المتغيرات هو ما يسمى التفسير. و لقد سار علم النفس في طرق و مناهج مختلفة كانت أقصر إلى أن تحقق أهداف العلم أو تستوفي شروطه والواقع أن ما كان من نظريات في تفسير السلوك لم يكن يعتمد على إيجاد علاقة بين متغيرات مستقلة بل كان يخلط بين الغيبيات و بين المتغيرات المستقلة من ناحية أو بين المتغيرات التابعة والمتغيرات المستقلة من ناحية أخرى أو بمعنى كانت المفهومات التفسيرية التي تعتمد عليها تلك النظريات لا ترتكز أساسا على مادة الملاحظات التجريبية، مستقلة عن الظاهرة المراد تفسيرها."حقا لا نستطيع أن نقتصر في إقامة العلم على مجرد الملاحظات التجريبية المباشرة.و لكننا في الوقت نفسه لا نستطيع أن نتغاضى عن الملاحظات أو نلقيها جانبا ثم نصوغ عندنا مفهومات "[3] وباختصار فان المتغيرات تمدنا بلغة مختصرة أو اختزالية تعبر عن أثر المتغيرات المستقلة في السلوك بطريقة كمية أو (كيفية) دقيقة بحيث نستطيع أن نربط بين جميع المتغيرات الوسيطة في معادلة واحدة تشمل جميع الظروف المؤثرة.مما يساعد على التنبؤ و على استخلاص الفروض العلمية و التحكم في السلوك.الواقع أننا لا يمكن أن نفصل فصلا تاما بين النشاط البيولوجي و النشاط السيكولوجي.

---

[1] –المرجع نفسه،ص108.

[2] – المرجع نفسه، ص232.

[3] –د.اسماعيل، محمد عماد الدين، المنهج العلمي و تفسير السلوك، دار القلم، الكويت،طبعة 4،1989، ص 181.

"فالسلوك هو ذلك النشاط الذي يصدر من الكائن الحي كنتيجة لعلاقته بظروف بيئية معينة و يتمثل بالتالي في محاولاته المتكررة للتعديل و التغيير في هذه الظروف حتى يتناسب مع مقتضيات حياته وحتى يتحقق له البقاء و السلوك، بهذا التعريف لا يخرج عن كونه ظاهرة طبيعية كأي ظاهرة طبيعية أخرى"[1] ومن حيث هو ظاهرة لا تحتمل أي غموض أو إبهام أو غيبية و على ذلك لا يمكن الكلام بصدد الظاهرة السيكولوجية عن الشعور الباطني أو عن أغوار النفس أو عن أعماق اللاشعور ما لم تترجم هذه الألفاظ جميعا بما يجعلها قابلة للملاحظة أي سلوكا.و باعتبار أن السلوك ظاهرة طبيعية فهو لا يحتمل الوصف بأنه "تلقائي"بل كأي ظاهرة طبيعية أخرى لا بد أن نسلم بأن هناك ظروفا معينة لازمة لحدوثه و أن نبحث عن هذه الظروف. إلى ماذا يريد علماء النفس أن يتوصلوا وهم يقومون بما يقومون به؟ يتحتم على علم النفس، وهو يقدم نفسه كنظرية عامة للسلوك،أن يتبنى فكرة معينة عن الإنسان، عندما ينبغي السماح للفلسفة بأن تسأل علم النفس من أين يستمد هذه الفكرة، وعما إذا كان لا يستمدها أساسا، من فلسفة ما".[2] يرجع أحد معالم البسيكولوجيا الحديثة إلى ذلك التصور القديم، والبسيكولوجيا اليوم بوصفها بسيكو-فيزيولوجيا و بسيكو-باثولوجيا تعكس مشروع علم النفس كمشروع علم يفسر في مواجهة الفيزياء."ومع ذلك، لا يشكل هذا الأمر رجوعا إلى التصور القديم عن علم النفس كفرع من فروع الفيزياء، فالفيزياء الجديدة حساب. وعلم النفس ينزع إلى تقليده. وسوف يسعى إلى تحديد ثوابت الإحساس الكمية وتعيين العلاقات بين هذه الثوابت".[3] مصطلح البسيكولوجيا يعود إلى القرن الثامن عشر وكان له معنى علم الأنا (ولف)."لقد قام وندت(Wundt) بتوسيع هذا اللون من علم النفس ليطول أبعاد علم نفس اختباري مدعوما في أعماله بأمل أن يظهر، ومن خلال قوانين "وقائع الوعي"، حتمية تحليلية من الطراز عينه الذي كانت الميكانيكا والفيزياء قد تركتا كل علم يأمل بصلاحيتها الشاملة".[4] "لقد شهد القرن التاسع عشر تكون بيولوجيات للسلوك البشري، إلى جانب البسيكولوجيا كعلم أمراض عصبية وعقلية، كفيزياء

[1]- المرجع نفسه ص162.

[2] -كانغيلهم،جورج، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، ترجمة: د.خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني، ط1، 1992، ص353.

[3] - المرجع السابق، ص357.

[4] - المرجع والصفحة نفسها.

للحسن، المعنى الخارجي، كعلم للمعنى الداخلي وللمعنى الحميم"[1].علم النفس المعاصر هو في أغلب الأحيان ممارسة علم مستوحى من البحث عن القوانين للتكيف مع بيئة اجتماعية –تقنية، وبكلام أخر بسيكولوجية الاستجابة والسلوك في القرنين التاسع عشر والعشرين.

حسب بياجي تصبح الدراسات التاريخية علما إنسانيا عندما تطبق علوما أخرى كعلم الاجتماع أو الاقتصاد. التاريخ ليس علما نظريا بل مجال تطبيقي تطبق فيه معارف من مجالات أخرى.التاريخ من أقدم العلوم الإنسانية لم يكن بالإمكان اعتباره كذلك منذ العصر اليوناني، التاريخ في القرن التاسع عشر جاء نتيجة وعي الإنسان بتاريخية الأشياء أولا و بتاريخيته هو. لا يمكن قبول اعتباره علم التاريخ مهما لدوره المنهجي فقط، بل لأهمية موضوعه كعلم دراسة للماضي و الكشف عن قوانين التعاقب التاريخي.

وفيما يتعلق بالتاريخ يذكر بوسيي في محاولته في اتجاه إنشاء علم وضعي بتسلسل الوقائع التاريخية في زمن كان لا يزال يسود هيمنة الأفكار اللاهوتية والتصورات الميتافيزيقية."إذ في المحاولة التي بها (علم النفس الفيزيائي) في النصف الثاني من القرن 19 من كل من فخنرFECHNER وفيبر، نجد أيمانا راسخا بأن سبيل تقدم علم النفس هو تشبيه بالفيزياء أي اهتمامه بدراسة الجانب الكمي من الظواهر النفسية و وضع لها قوانين من الضبط و اليقين ما لقوانين العلوم الطبيعية"[2].يمكن ذكر قانون فشنر الذي كان نتيجة الفهم المتزايد لبنية وظائفية الأعضاء الحسية و الذي ساهم بإقامة علاقات منسقة من نوعية التجارب الحسية والمميزات الفيزيائية للمثير، هذا القانون افترض علاقة رياضية بين الإحساس والإثارة. " كما أسس فونت سنة 1875 أول مختبر علمي للدراسات السيكولوجية التجريبية أنشأه على غرار المختبرات الفيزيائية".[3]

كما أنه استفاد من تعاون العلوم الأخرى مثل البيولوجيا و الطب والإحصاء وعلم التوجيه و نظرية الاتصال وكان أن سيطر على الفكر النفساني خلال العقود الأولى للقرن العشرين مدرستان بارزتان: المدرسة السلوكية و المدرسة التحليلية.

---

[1] –المرجع نفسه، ص336.

[2] – يافوت، سالم، المرجع السابق، ص218.

[3] – المرجع والصفحة نفسها.

"بعد التذكير ببعض جوانب علوم الإنسان و الصعوبات الرئيسية التي صادفتها في نشأتها و تطويرها، لاح وقت وضعها في النظام العام للعلوم"[1].اكتشف طريقة العمل العيادية في البحث و تناول نتائج المحادثات التي يجريها مع الأطفال كما انطلق في الأساس من البيولوجيا، فقامت ابستيمولوجيته على الأصول البيولوجية للفكر المجرّد، بالإضافة إلى عامل الخبرة. تنقسم الابستيمولوجيا التكوينية إلى فرعين: يبحث الأول في مبادئ العلوم أو ما يسمى بعلم تاريخ المعرفة أيضا، و يبحث الثاني في تطوير المعرفة عند الإنسان منذ الولادة إلى سن الرشد هادفا إلى تفسير الظواهر المعرفية،" فإذا استخدم منهج العلوم التجريبية اندرج تحت عنوان علم النفس المعرفي و إذا استخدم نتائج التشريح الدماغي والعصبي، فإنه يسمى عندئذ علم نفس الأعصاب و الثاني تحليل كيفية توصل الطفل إلى المعرفة، و تفسير عملية التطوير الفكري"[2].كان بياجي PIAGET واعيا تماما للاتجاهات العلمية في عصره، تستند البنية لديه على ثلاث ركائز: فلسفية، سيكولوجية و اجتماعية تتعلق بالابستيمولوجيا." يمكن اعتبار بأن مفهوم البنية في علم النفس ظهر منذ أوائل هذا القرن عندما تعرض " علم نفس الفكر" من مدرسة ورزبرغ للترابطية (في نفس الوقت الذي كان يعترض لها "بينه" في فرنسا و"كلاباريد" في سويسرا) التي كانت تدعي تفسير كل شيء بترابط ميكانيكية بين عناصر مسبقة (إحساسات وصور)"[3].أي أن كل شخص فريد في ذاته عن الآخرين بخصائص أو بمميزات معينة لا توجد هي بذاتها في شخص آخر ولكن مع ذاك يمكننا أن نتصور إمكان قيام قانون سيكولوجي كالقانون التالي إذا عوقب شخص تحت ظروف معينة لسبب عدوانه مع أخته، و تكرر العقاب،فإنه قد ينشأ وهو يكره الجنس الآخر.فنحن نغلق باب البحث العلمي إذا بحثنا عن أسباب السلوك في قوى غيبية نفترض وجودها في داخل الكائن الحي،سواء تمثلات في نفسه و ما تحتويه أم عقله وما يتركب منه، الطريق الوحيد لإقامة علم السلوك هو البحث عن أسبابه في البيئة بمعناها الواسع أي باعتبارها أحداثا طبيعية تنمو في وسطها ليس الظواهر السلوكية

[1] -Piaget, Jean, Op.cit, P81.

[2]- بياجي،جان، الابستيمولوجيا التكوينية، راجعه و قدم له:د.محمد علي أبو ريان،ترجمة و تقديم و تعليق:د.السيد نفادي،دار الثقافة الجديدة، 1991،ص ص 26، 27.

[3]- بياجي، جان، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة و بسير أوبري،، منشورات عويدات – بيروت – باريس الطبعة 2، 1980، ص45

باعتبارها ظواهر طبيعية، بل أيضا البيولوجية سواء كانت هذه الظواهرعبارة عن عمليات فيزيولوجية داخلية أم كانت تكوينات عضوية.

" بمقياس حيث علوم الإنسان لا تعزل بل تشكل جزء من نظام مجموع العلوم والمقياس، هذه تمثل شكل عام دائري أو لولبي (حلزوني)، أول مشكل يسود التوجيهات الكبرى النظرية هو بالتأكيد يتعلق بالنوعية أو بالعكس التنقيص من الظواهر المدروسة في مختلف فروع المعرفة"[1]. لكن الأحداث سواء كانت مما ينتمي إلى البيئة المادية أم البيئة الاجتماعية يفترض أن لها أبعادها الطبيعية ورغم ذلك المعارضون يتمسكون بالقول أن السلوك يهدف إلى غرض معين و يتصف بالذكاء، وهو ظاهرة تختلف في منشئها عن الظواهر الطبيعية" يوجد ميل أو نزوع في علم النفس إلى التقليل من الحوادث التي يمكن ملاحظتها فيزيولوجيا، من جانب، و في علم الاجتماع، بحذف نوعية ما هو عقلي"[2].

ترتكز فلسفته بياجي في مجملها على تأثير التركيب البيولوجي للإنسان على قدرته العقلية، و تأثير البيئة على تركيب الفرد. فالذكاء بالنسبة له شكل من أشكال التكيف المتقدم شأنه شأن الكثير من علماء النفس المعاصرين، يقول " و مما كان يدعو للدهشة، بالإضافة إلى ذلك، واكتشاف أن "بوهلر" قد أبرز منذ تلك الحقبة، بأساليب بحت اختبارية، الميزتين النسبيتين للبنية التي استعملتها الفينومينولوجيا PHENOMENOLOGIE باستمرار منذ ذلك الحين: القصد و المعنى"[3] دراسة بياجي للنمو العقلي عند الطفل مثالا متكاملا في مجال تطور المعرفة العلمية، وفي اتخاذه موقف الناقد لنظرية الفهم و تأكيد أن الفلسفة و علم النفس و علم الاجتماع معا يمكن أن تؤدي إلى فهم صحيح و ثورة في المناهج "أما الشكل المذهل للبنية النفسية فقد قدمته بلا شك نظرية الصياغ التي ولدت سنة 1912 من أعمال وكوهلروم، رتيمر المتقارب، وامتداده إلى علم النفس الاجتماعي الذي يعود فضله إلى ك.لفين و إلى تلاميذه"[4].يقول بياجي"علم السيكولوجيا مثل أي علم آخر لا يحمل إلا على ما يمكن ملاحظته، بينما في الفلسفة نبحث عن إدراك طبيعة الأشياء والماهيات".[5] ابتعد

[1] - Piaget, Jean. Op.cit p106.
[2] - IBID, P107.
[3] – المرجع السابق،ص45.
[4] – المرجع نفسه، ص46
[5] - Piaget, Jean. Op.cit.p135.

بياجي عن التأمل النظري الخالص وركز على الاختبارات "الامبريقية" و الإحصاءات الرياضية في المفاهيم.

"كل واحد يوافق، مثلا، أن مشكلة الحرية نفس حرية الإرادة الإنسانية مشكلة متعلقة بالفلسفة و ليست من السيكولوجيا العلمية"[1]." في مقاربة ثانية، نقول إذن أن "الحدود بين السيكولوجيا العلمية و الفلسفة مسألة مناهج، مناهج موضوعية من جهة، و ببساطة تأملية، استبطانية حديثة أو نظرية (تفكيرية)"[2].و يضيف كذلك قائلا" في مجال مثل دراسة الحوادث العقلية والتي تخص كل واحد، أين هو حديث الموضوعية و الحدسية الذاتية؟ عندنا غالبا ميل أو نزوع إلى اعتقاد أن خط التقسيم هذا متعلق بالاستبطان"[3].يرى أنه لابد من اتجاه في العلوم الإنسانية إلى الاعتماد على أساليب بحث تسمح بالتفسير العقلي الأكثر اكتمالا في دائرة البحث العلمي.عرض بعض الانتقادات للتحليل النفسي في كتابه LA FORMATION DU SYMBOLE CHEZ LENFENT، أنّ ما ينقصه الدقة فلا يعتبره علما بالمعنى الصحيح كونه يعتمد دائما على حقائق لفرويد.اهتم بتحليل المفاهيم الكمية والأعداد والاحتمالات والروابط المنطقية."وعليه فإن المبدأ الأول الذي تأخذ به الابستمولوجيا التكوينية هو أن نتعامل مع السيكولوجيا تعاملا جذريا، و يعني هذا أنه عندما تعترضنا مسألة خاصة بواقعة سيكولوجية، فأول ما ينبغي اللجوء إليه هو البحث السيكولوجي، بدلا من محاولة حل المسألة من خلال التأمل الشخصي"[4].فتخضع السيكولوجيا للملاحظة وعلم النفس يدخل ضمن العلوم الامبريقية.

نقض بياجيه العديد من النظريات السابقة" ولقد بذلنا محاولة لتوضيح المجالات التي يكون فيها التجريب السيكولوجي ضروريا، وذلك لنلقي الضوء على مشكلات ابستمولوجية معنية"[5].فهورائد من رواد الحركة السيكولوجية المعاصرة في القرن العشرين، ينتقد التصنيفات السابقة للعلوم (تصنيفات ستاتيكية) ويؤسس تصنيفا ديناميا للعلاقات تربطها، يعكس التأثير المتبادل، الدائري، مشيدا بالتصنيف الذي أوضحه الابستيمولوجي "كدروف"

[1] - Ibid.
[2] - Ibid. P137.
[3] IBID.
[4] – بياجي، جان الابستيمولوجيا التكوينية،المرجع السابق، ص ص 40-41.
[5] – المرجع نفسه،ص42.

KEDROFF.B ،فبين العلوم الاجتماعية والفلسفية يوجد علم النفس و كلها تصدر عن العلوم الطبيعية، بين هذه الأخيرة و العلوم الفلسفية يقع علم الرياضيات، أما بين العلوم الطبيعية و الاجتماعية فعلوم التقنية،ولا يعترف بالعلوم الفلسفية. يميز بين أربعة مجالات، المجال المادي لكل علم يشمل علم الابستيمولوجيا-الابستمولوجيا العامة-لقد أدت أعماله في مجالات الإدراك و الصورة و العمليات الذهنية على اعتباره المعرفة انعكاس للعالم الخارجي كما خفف من الثقة المعطاة للطرق الحدسية.يرى أن علما إنسانيا تجريبيا كعلم النفس يمكن أن يبلغ بالاعتماد عل منهج التجريب إلى اتفاق بين المشتغلين فيه، فهدف الابستيمولوجيا تأسيس منهج يمكن من وسائل مراقبة النتائج، لا شك أن بياجي صاحب مدرسة فلسفية جديدة و أصيلة تدعى "الابستمولوجيا التكوينية" أثرت الفكر الإنساني يقول " دراسة مشكلة الإدراك ستحمل حلولا مماثلة في موسكو في لوفان، في شيكاغو، في استقلال عن الفلسفات الأكثر اختلافا لباحثين يطبقون مناهج مختبرية مماثلة"[1].

" أرسى رجال – جملتهم ألمان- مثل فيبر *Weber* و هلهولتز، و فخنر FECHNER وفونت WUNDTأسس علم محدد للسيكوفيزيقا أو علم النفس الفيزيولوجي، و انتشرت هذه الحركة سريعا من ألمانيا على انجلترا إلى أمريكا، حتى تبلورت في كتاب وليم جيمس "مبادئ علم النفس"[2] أي تبني مشاكل العلوم النفسية من خلال مناهج العلوم الدقيقة للكشف عن الحقيقة، لم يقتصر نشاطه الفكري على تخصصه في السيكولوجيا المعاصرة بل اشتهر بين العلماء و الفلاسفة بنظرته الشمولية للمعرفة.

جان بياجي ذهب إلى الربط بين علم النفس و علم الفيزياء و هو يعتقد في هذا الصدد أن انفصال أحدهما عن الآخر هو تشويه المعرفة الناسلية ومسائلها يجب أن تفهم يقول عن طريق العلوم الرياضية و الفيزيائية وعلم الأحياء وعلم النفس الاجتماعي، أي تبنى فكرة المنهج التجريبي. يعدّ أحد المنظرين المرموقين في مجال فلسفة العلوم،و المعرفة العلمية بصفة عامة." أما علم النفس فهو على الضفة المقابلة للفيزياء، وهو بدوره يجمع في منهجه بين الاستنتاج الرياضي والاستقراء التجريبي لأن عالم النفس مضطر إلى الاحتكام

[1]–وقيدي،محمد، المرجع السابق،ص233.

[2]– د طريف الخولي، يمنى فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع – القاهرة،2001،ص 222.

للتجارب بغرض تكذيب أو تأكيد الاستنتاجات والتصورات التي تكونها الذات عن نفسها و عن الآخرين"[1] يصبح التفسير في العلوم قائما على إرجاع المشكلة إلى المعلومات ومفاهيم رياضية و رقمية. فهم الظواهر النفسية و السلوكية على ضوء عمليات حيوية وفيزيولوجية." ولا شك أن دعاة التصور الخطي لتصنيف العلوم لا يستبعدونهم أنفسهم أن يساهم علم النفس أو الاجتماع في تفسير طبيعة الكائنات الرياضية أو حقيقة المفاهيم الفيزيائية، وذلك هو الذي دعا" باشلار" BACHELARD إلى المناداة بعلم نفس الفكر العلمي وهو الذي جسده بياجي"[2]. إلى جانب بياجي، نجد المدرسة السلوكية التي تزعمها الأمريكي واطسن WATSON تأخذ بالمنهج العلمي، يحصر الحياة النفسية المؤثرات البيئية وردود الأفعال،أزاح الجوهر العقلي ليصفو المجال للحتمية العلمية. "كل هذا التقدم العلمي المادي في العلوم الطبيعية و الإنسانية أدى إلى ظهور اتجاهات فلسفية علمية مادية وساعد على كثرة المذاهب الواقعية في الفلسفة المعاصرة"[3].التقديم العلمي الذي أحرزته الحضارة الغربية في العصر الحديث أدى إلى دراسة الإنسان بطريقة موضوعية.

نقد الاستقراء:لكن على الرغم من اشتراك الدراسات الإنسانية والعلوم الطبيعية في المنهج، في الدراسات الإنسانية صعوبات عندما تكون التجربة أحيانا مستحيلة أو يعترض على إجرائها لأسباب أخلاقية، أو تعذر الوصول إلى الموضوعية أو فصلها، أو لتعقد المشاكل، وتعذر إحالة الكيفيات إلى كميات.الضبط الصوري المتحقق في النظريات العلمية يصعب الوصول إليه في الدراسات الإنسانية.الفهم يعوض قصور التجربة بفهم الارتباطات القائمة بين الحوادث في الدائرة الإنسانية.العلم الطبيعي يقتصر على الملاحظة والتجربة والتعميم لا يمكنه الفهم، حيث لا معنى لأن يسأل لما تسقط الأجسام بالجاذبية ولكننا في سؤالنا عن الانتحار نجد بالفهم الإجابة للمشكلة.كما أن إهمال الفهم يؤدي إلى نتائج مضللة، فمثلا لا يمكن الوصول إلى تعميمات صادقة عن السارقين إذا صنفناهم دون الاهتمام بما تعنيه

[1]– دحدوح، رشيد، التصنيف الدائري للمعارف و العلوم عند بياجي، سيرتا مجلة تاريخية اجتماعية فلسفية، معهد العلوم الاجتماعية السنة الثامنة العدد 12، جوان 1999، ص 113.

[2]– المرجع السابق، ص 115.

[3]– د. فريدة، غيوة، فجر الفلسفة المعاصرة– مجلة الجمعية الفلسفية المصرية السنة التاسعة – العدد التاسع، 2000 م. الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، ص90.

السرقة عندهم، كأن تكون من أجل الغنى أو عن أخرق معتوه لا يدرك معناها أو عن انتقام...إلخ. "والحال أن هذه القوانين، أكانت قوانين تطور، كما هي في تراث كونت Comte.a أو سبنسرSPENCER.H، أو قوانين وظيفية، كما خيل إلى بارسونز TPARSONS.T. إنه قادر على تعميمها، أو القوانين البنيوية تصبح باطلة عندما تطبق خارج الميادين الذي اعتقد أنه قادر على اكتشافها فيه"[1] ، على أنه تظهر علاقة تعين في وضعية مغلقة وتختص ضمن وضعية منفتحة."لكن يبدو أن الاجتماعيين قد تطرفوا إلى حد بعيد،وظنوا أن المجتمع يطابق الطبيعة وأن الظواهر الاجتماعية تماثل الظواهر الطبيعية، ولذلك أخفق مثلا أجست كونت حين أراد أن يتخذ من المنهج العلمي لدى جليليو ونيوتن في إمكان تطبيقه على ظواهر عالم الفيزياء الاجتماعية الذي اصطنعه".[2] فنقطة الضعف الشديدة في وضعية كونت وموقفه تتركز في عدم الالتفات إلى التمايز الواضح بين خصائص العالم الطبيعي والعالم الإنساني، لذلك تعثر في تحقيق تنبؤاته ولم تسعفه التطورات الاجتماعية المؤدية لقانونه في الحالات الثلاث.فشله في التحليل التاريخي لتطور المعرفة. فالتطور لا يفترض قانونا ولا حتمية."عدم الانتباه إلى ذلك التباين(الفينومينولوجي) القائم بين ما يتحقق في العالم المادي من موضوعات جامدة لا حياة فيها، وظواهر حية وقيم إنسانية نراها سائدة في بنية الثقافة ومجرى التاريخ".[3] المدرسة الاجتماعية لم تضف شيئا، فقد أكملت المذهب التجريبي، فالتفسير السسيولوجي للمعرفة هو تفسير غير كاف.

يعد كارل بوبرPOPPER.K . واحد من أهم المفكرين المعاصرين الذين نقدوا وحاربوا الأفكار و الحتميات الجامدة وطرحها كمسلمات يقينية.المفهوم الجديد الذي صاغه للمعرفة العلمية في بعض مؤلفاته أسهم بالفعل في تراجع الرؤية الجامدة التي تم ترويجها في القرن الماضي و بداية هذا القرن، والمبنية على أسس العلوم الدقيقة. سعى إلى بناء ابستيمولوجيا ترفض النظر إلى قضايا الميتافيزيقا بوصفها قضايا لا معنى لها كما يرى كارناب مثلا. "كذلك يؤكد عدد كبير من علماء الاجتماع أن مفهوم اختبار الفروض في مقابل الوقائع يعد

[1] -أنصار، بيار، المرجع السابق، ص284.

[2] - قباري ،محمد اسماعيل ، المرجع السابق،ص301.

[3] -المرجع نفسه، ص ص301-302.

خاصية هامة و مميزة للانتصار العلمي إذا ما اتبعنا فكرة بوبر"[1] .إن صدق القضايا العلمية يرجع أساسا إلى مدى قابليتها للتكذيب.تميز بقدرته على تمحيص الأفكار و آرائه الفلسفية والمنهجية المختلفة،عمل على نقد الاستقراء و المجيء بالبديل. "هل يمكن تبرير الدعوى القائلة بأن نظرية كلية مفسرة صادقة عن طريق أسباب امبريقية، أي افتراض صدق قضايا اختبار أو قضايا ملاحظة معينة...؟ إجابتي على هذه المشكلة مثل إجابة هيوم تماما.لا، لا يمكننا،فلا يمكن لأي عدد صادق من قضايا الاختبار أن يبرر الرأي القائل بأن النظرية الكلية المفسرة صادق."[2] .كما اشتهر بنقده للنزعة التاريخية و بأن القول بوجود قوانين جامعة تحكم التطور الاجتماعي التاريخي يؤدي في النهاية إلى نشوء إيديولوجيات ديكتاتورية شمولية. "فإن نظرية ما علمية لا بد و أن تفترض مسبقا تصورا ميتافيزيقيا محددا للطبيعة،لأن النظريات العلمية تتكون من قضايا كلية،و هذه القضايا هي ما نطلق عليه أحيانا قوانين الطبيعة، فإذا أيدت النظرية بقضايا إمبريقية جزئية فإن من الممكن اشتقاق تنبؤات بالنسبة لما قد نلاحظه في قطاعات مخصوصة من المكان و الزمان"[3]، وترجع أهمية نظريته في تمييزه بين العلم و اللاعلم أو ما أسماه بالعلم الكاذب "ولو أردنا وصف فلسفته التجريبية بكلمة واحدة لكانت(فلسفة ضد الاستقراء)أو الاستقراء.فما من مقالة يكتبها أومحاضرة يلقيها أيا كانت مناسبتها وأيا كان موضوعها إلا و يهاجم فيها الاستقراء،إما من قريب و إما من بعيد"[4] ويصر على هذا الهجوم "إنما قوائم حكم بوبر القاطعة تتبدى في صلب الاستقراء ذاته، أي في أن:القانون العلمي تعميم لمجموعة من الملاحظات التجريبية.بوبر في هذا الفصل سيتكفل بدحض هذا الزعم فلسفيا و سيكولوجيا و منطقيا و تاريخيا.أي من كل الوجه فتتأكد أن الاستقراء محض خرافة."[5]

---

[1] بوبر،كارل، منطق الكشف العلمي ترجمة و تقديم:الدكتور ماهر عبد القادر محمد علي دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت، 1986، ص29.

[2] المرجع السابق،ص31.

[3] المرجع و الصفحة نفسها.

[4] عويضة، الشيخ كامل محمد محمد، كارل بوبر فيلسوف العقلانية النقدية،مراجعة:أ.د،محمد رجب البيومي، دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان، الطبعة 1،1995،ص61.

[5] المرجع نفسه،ص62.

فما موقف بوبر من المنهج الاستقرائي و ما الجديد الذي جاء به إذا كان هنالك جديد؟ إذا كان المذهب الحسي يؤكد على أهمية دور الملاحظة اعتمادا على مبدأ اطراد الحوادث في الطبيعة و ذلك خلال الملاحظات التي تمت في الماضي و ثبت تكرارها الأمر الذي جعل فكرة الاطراد نفسها قابلة للتبرير فإن بوبر يرفض الفكرتين معا لكنه يجعل دور الملاحظة و التجربة مقتصرا على الاختبار الذي يؤدي إلى التكذيب و يتفق مع هيوم في هذه المسألة،إذ يتساءل:هل يمكن استنتاج حالات أو نتائج متكررة قامت على تلك الخبرة؟ و تأتي الإجابة عن هذا السؤال بالنفي.يرى أن من يتحدثون عن مشكلة الاستقراء يخطئون."لا بد وأن نضع نصب أعيننا معايير الرفض و يجب أن نتفق على أن المواقف الملاحظة،إذا كانت ملاحظة فعلا، تعني أن النظرية مرفوضة، و لكن ما نوع الاستجابات الإكلينيكية التي ترفض إرضاء المحلل،إنه ليس مجرد التشخيص الجزئي، و إنما هو التحليل النفسي ذاته،وهل ناقشنا مثل تلك المعايير أو اتفقنا عليها بالتحليل ؟"[1] يريد مناقشة التحليل النفسي من وجهة نظر العلم.

فمثاله الواضح على العلم الكاذب الماركسية و التحليل النفسي،لا يتجاوزان كونهما صور ميتافيزيقية تعد بتقديم قضايا كلية وصفية "و مع ذلك فإني مستعد تماما لأن أعترف بأن هناك منهجا في الفلسفة قد يوصف بأنه منهجا واحدا، و لكنه ليس مميزا في الفلسفة بمفرده، إنه أيضا منهجا واحدا لكل" نقاش عقلي"، و من ثم لكل العلوم الطبيعية Naturel Sciences بالإضافة إلى العلوم الفلسفية. و المنهج المختمر في ذهني خاص بتقرير مشكلة الوضوح و فحص الحلول المقترحة و المتباينة من وجهة نظر نقدية"[2].أي الخبرة سواء كانت متعلقة بالملاحظة أم نتيجة تجربة يمكن اعتبارها قضية منفردة وليست قضية كلية أي تشير إلى حالات جزئية لا يمكن تعميمها دون سند منطقي"لنقدم تفسيرا عليا لحادثة ما يعني أن نستنبط قضية تصفها، مستخدمين إياها كمقدمة لاستنباط واحد أو أكثر من القوانين الكلية، بالإضافة إلى قضايا مخصوصة معينة مثل الشروط الأولية"[3].يقترح بوبر قاعدة ميتودولوجية هي في رأيه مثل مبدأ العلية" إنها تلك القاعدة البسيطة المتمثلة في أننا لن نتبنى البحث عن القوانين الكلية واتساق النسق النظري، كما ولن نتوقف عن محاولتنا

[1] بوبر،كارل،المرجع السابق ،ص34.

[2] المرجع نفسه،ص52.

[3] المرجع نفسه، ص 97

لتفسير أي نوع من الحوادث التي يمكن أن يصفها تفسيرا عليا،و هذه القاعدة ترشد الباحث العلمي في عمله"[1].

نستنتج أن موقفه من الاستقراء، المنهج و المبدأ، الرفض التام لكل منهما ليعلن عن حاجتنا لمنهج مغاير يعبر بصدق عما يحدث في النظريات العلمية المعاصرة كما يتصوره هو على الأقل و تقديم تصور جديد،فما هي ملامح هذا المنهج؟يشير في كتابه "منطق الكشف العلمي" أن التساؤل عن المنهج العلمي و قواعده يرتبط إلى حد كبير بموقف كل من مسألة نمو العلم.فنحن لا نبدأ مثلا من الملاحظة لكننا نبدأ من مشكلات سوء كانت مشكلات علمية أو نظرية تواجه صعوبات، فنضع فروضا بهدف تفسير الظاهرة موضع المشكلة وقد نضع الفروض دون مبرر، "الحدوس التي يوجهها النقد بالاستعانة بتفنيذات تقوم على الاختبارات حتى إذا ما بقيت تلك الحدوس فإنه لا يمكن تبريرها بطريقة موضوعية و لا يمكن إثبات صدقها بطريقة مؤكدة أو حتى محتملة(بالمعنى الوارد في حساب الاحتمالات)"[2]،حتى إذا ما بقيت و تشير هذه الفروض بطريقة أو بأخرى إلى توقع ما سوف يحدث في ظروف معينة و نقوم باختصار هذه الفروض كلما وجدنا سببا لذلك ثم نضع استنتاجات يمكن مقارنتها بالظواهر عن طريق التجربة.و تتم هذه الاستنتاجات بطريقة استنباطية منطقية بحثة وليس فيها مجال للاستقراء.

هذه القواعد هي بمثابة أطر عامة لوجهة نظر بوبر الفلسفية و ما يتعلق منها بمبحث المناهج" الذي يرى بوبر على خلاف الوضعيين أنه ليس علما امبريقيا له خطواته المحددة التي تؤدي إلى نتائج متوقعة بل إن الشكوك تنتاب بوبر عندما يرى البعض ينظر إلى العلم و العالم على أنهما موضوعات اصطلاح أو تقرير من جانبنا".[3]

هذه النظرية المنهجية تحدد منطق العلم و طبيعته الحدسية اللااستقرائية من حيث يظل على الدوام تقريرا غير يقيني مؤقتا، نسلم به الآن لأنه و في وقت لاحق لا بد حتما أن نتوصل إلى ما هو أفضل.فالمسألة نسبية و هي متغيرة حتى يمكن القول أنها مسألة الرأي وليست حقيقة واقعة مطلقة."إن نقطة البداية الميتودولوجية الصحيحة بالنسبة لعلم الاجتماع الآن

[1] المرجع نفسه، ص 99.

[2] .قاسم،، محمد محمد كارل بوبر،نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي،دار المعرفة الجامعية،1995،ص ص 146،145.

[3] المرجع نفسه، ص 153.

هو أن يبدأ من المحصول النظري الموجود على الساحة في ابستيمولوجية العلم من خلال أفكار توماس كون و كارل بوبر، لا أن يتحدث عن التشبه بالعلوم الطبيعية."[1]

[1] محمد علي،ماهر عبد القادر،فلسفة العلوم،الميثودولوجيا(علم المناهج)دار المعرفة الجامعية،1999، ص 25.

تمهيد:

يمكن القول الالتزام بالمنهج العلمي و الاستناد على الملاحظة و الاستقراء و إجراء التجربة يجعل الدراسة علمية إذا ما اعتمدنا على ما تحقق من نتائج في الأبحاث الإنسانية لكن دون التنكر للطبيعة المميزة للظاهرة الإنسانية أي الوعي و الشعوروالسلوك متمثلا في هيئة صورة ذهنية... الإنسان و التوجه بالتالي إلى ما يدل عليه الشعور ، ويكون المطلوب دراسة للشعور بمجموعه لأنه يدخل في الوظائف الممكنة للمعرفة ، أي تحقيق الصيغة العلمية مع الاحتفاظ بنوعية الظاهرة الإنسانية و بالتالي انفتاح العالم الإنساني أمام دراسة ميسرة منظمة، فإنها تختلف عن العلوم الإنسانية.

لا تستطيع العلوم الإنسانية العزلة بحجةالتخصص العلمي الدقيق و تجدها دائما منخرطة في صميم الواقع الإنساني و الاجتماعي. فبالتلازم مع ذلك يمكن القول هناك ضرورة لا مفر منها في ديمومة تفكير فلسفي و التمسك به ، مبينين المواقف الفلسفية الحاضرة في العلوم الإنسانية . فبمجرد أن تبدو العلوم الإنسانية مفتقرة للصرامة و الاستقلالية فإن حيادها لا يكون في منأى عن الشك فتظهر هذه العلوم غير قادرة عن الاستقلال عن الفرضيات الفلسفية، العلوم الإنسانية المبنية على الفهم. فدراسة الإنسان لا تتجاهل ما يكون خصوصيته و لربما لن تصبح أبدا علوما تفسيرية. فهل كل الجهود لوضع هذه العلوم على الخط الابستيمولوجي للعلوم الطبيعية (مع ضرورة ملاحظة تاخر ذي طبيعة تاريخية) محكوم بالفشل؟ وهل لن تصبح علوما تفسيرية تصوغ نظريات يمكن أن تؤكدها التجربة؟ فما مدى ما تحققه العلوم الإنسانية من تكامل؟

المبحث الأول:في ثنائية الفهم و التفسير

في جدل الفهم و التفسير: يزداد الاهتمام الفلسفي في الغرب بقضايا "الايطيقا والتواصل" مع انتشار واسع للرؤى التأويلية سواء القائمة على تقاليد الهيرمينوطيقا الألمانية (شلايرماخر SCHLEIERMACHER، دلتاي وغيرهما) أو على الدراسات اللغوية التحليلية إلى فلسفة فيتغنشتاينWITTGENSTEIN ومابعدها.

طائفة من العلماء ما تزال تجد الفرق شاسعا بين هذه العلوم و العلوم الطبيعية،اعتمادا على ملاحظات سبقت الإشارة إليها إذ لايجرؤون إلى الادعاء بأن هناك قوانين مطردة في الظواهر الإنسانية وهناك موقف وسط بين من يحاول جعل هذه العلوم علوما ولا يعتقدون أنها تصل إلى يقينية العلوم الطبيعية، فهل يجوز تجاوز هذا الإشكال المنهجي؟وهنا تتبدى الإشكالية في صورة أخرى،ونتساءل:ألا يجوز أن يكون للعلوم الإنسانية منهجها المتميز الجامع بين الملاحظة و الاستقراء و بين الحدس و الشعور والتأويل؟وإذا لم يصح ذلك أليس أمامنا إلا واحد من خيارين،أن تقتصر على ما هو ظاهر و ملاحظ و قابل للتقدير الكمي و التحليل الإحصائي و التجربة،وبهذا نلغي جانبا كبيرا من الحياة الشعورية و العقلية و القيم التي نتميز بها؟

هذا ما وعاه بوضوح فوكو حين يقول أن الإنسان الذي ولد في القرن الثامن عشر (يعني بذلك ولادته في مجال البحث الإنساني العلمي) لم يعثر عليه بعد، أي الإنسان ذو الطبيعة البشرية المتحررة.أو نلحق العلوم الإنسانية بأدبيات الدراسات الإنسانية؟إن الأمر يتطلب تحديد المنطلق الذي انطلق منه القيام بجولة من النقد و التقويم النظري للعلوم الإنسانية،إن هذا المنطق بمثابة تحديد الموقع الثابت الذي يلاحظ من خلاله الباحث وثيرة الحركة من حولـه.

الضبط الصوري المتحقق في النظريات العلمية يصعب الوصول إليه في الدراسات الإنسانية ويرى لالاند أن فكرة المنهج على الدوام قابلة للتحديد، لا يمكن قبليا تحديده بمعزل عن تطبيقه وصوغه مسبقا، لا يمكن اكتشافه إلا من خلال عملية فعلية. تجدر الإشارة أن العالم الطبيعي يهتم بالمترتبات والشروط التي تتحقق في أي سياق يمكن تصوره قد يحدث فيه حدث ذو خصائص محددة، أما الدراسات الإنسانية فالأمر فيها

يختلف، تفضي إلى فهم وتبرير.ليس في العلوم الإنسانية ما يحول بين الباحث وأن يسلك طريق يبلغه غايته في الفهم و التفسير و القدرة على التوقع" لقد جرت العادة على أن تعد دون ممارسة العلوم الأخرى مرتبة،لأن مناهجها أقل دقة و إحكاما مع أنه يمكن القول بأن الأمر عكس ذلك،فالعلوم الإنسانية ما تزال في بداية الطريق و تقتضي إذن من المشتغلين بها أن يكونوا أقدر العلماء على تفادي الوقوع في شراك البداهة، و أقدرهم على التوضيح و التحديد".[1]

إن المنهج الفلسفي الذي يطعن فيه الفكر الوضعي و إن كان يطغى عليه التأويل والتحليل المنطقي و الخبرة العقلية فإنه قد أفاد الإنسانية في تشييد معارف يقينية أساسية،لا تتحرك العلوم التجريبية نفسها إلا بها. ولذلك لا يجوز للتفكير الوضعي و التجريبي المادي أن ينكر المبادئ التي يقوم عليها التفكير الفلسفي مثل وجود علم الوعي ومنطق العقل و مبدأ العلية.

صارت الهيرمينوطيقا تمثل مقاربة جديدة في أسلوب الفهم،حيث تبرز أسماء مثل غادامير وريكور RICOEUR.P وديردا و غيرهم. يرى غادامير GADAMER H. G أن طريق الحقيقة ليس هو المنهج بالضرورة،أراد القضاء على دوغمائية الارتباط بينهما. الحقيقة والمنهج، يبحث هذا العنوان في علاقة الحقيقة بالمنهج، هل المنهج هو الطريق إلى الحقيقة كما تؤكد العلوم الطبيعية أم هناك طريقا أو طرقا غير المنهج كما بمفهوم العلوم الطبيعية؟ فعنوان الكتاب يمكن القول يحتوي على تهكم، لقد ظهر هذا الكتاب في سياق الصراع بين المناهج في العلوم الطبيعية و العلوم الإنسانية في عصر ساد فيه المنهج العلمي، و أصبح ينظر للمناهج الأخرى بشيء من الاحتقار بوصفها لا علمية ولا تؤدي إلى الحقيقة.يمكن اعتبار هذا الكتاب دخول في هذا الجدل واستمرار مع الخط الهيرمينوطيقي الممتد حديثا من شلايرماخر SCHLEIERMACHER.F.D ودلتاي وهيدغر وصولا إلى غادامير.

نظرية الفيلسوف الألماني "هانس جورج غادامير GADAMER H. G :.

العلوم الإنسانية تمارس الفهم الذاتي،في مقابل النموذج العلمي البحث الذي تتميز به العلوم الدقيقة و الطبيعية.حسب غادامير"نعيش ساعة أين التطور الاجتماعي و دور العلم و التقنية

[1] وعزيز، الطاهر المنهجية في الأدب و العلوم الإنسانية،دار توبقال للنشر،المغرب،طبعة 2، 1993،ص7.

المسيطر وسيطرتها الأكيدة على الطبيعة و الإنسان بدءا الإطاحة بالعرش الذي شغلته الفلسفة كملكة للعلوم"[1]. يتضمن فعل التأويل صوت الآخر ويدعمه بوصفه متلقيا تاريخيا يتواصل مع الوعي القارئ في كل لحظة نباشر فيها تجربة القارئ وكل من السؤال والجواب جدلية تبني الفهم"هكذا يبلغ البعد التأويلي نشاط المفهوم الفلسفي كما يمتد ويستعمل عبر آلاف السنين باعتباره تجربة فكرية.و ينبغي فهم هذا البعد التأويلي على أساس أنه حوار يشترك فيه كل حاضر دون أن يزعم التحكم فيه بطريقة عليا و السيطرة عليه بشكل نقدي"[2].يرى أن المنهج شيء ينبع من الذات ليوصل إلى نتيجة لا تعني الحقيقة أبدا كما هو الحال في العلوم الطبيعية.

لكن هل تفترض العلوم الإنسانية أن يكون الإنسان سطحا بلا عمق حتى تتم دراسته؟ وهل يضعنا التأويل خارج دائرة العلم؟ غادامير من الشخصيات التي تسيطر على المشهد الألماني "يصعب على الوظيفة النقدية التي أنجزتها العلوم الإنسانية أن تجد اعترافا لائقا بها من قبل الجمهور العريض. وعليه،فمن الصعب إدراك ماهية الحقيقة في هذه العلوم وإدراك نتائجها الملموسة.قد يكون هذا الأمر سهلا على ميادين العلوم الإنسانية و التي تتخذ مواضيعها صورة بديهية.إذا كان بإمكان علم الاقتصاد أن يتحدث عن إسهام عمله في سبيل الرفاهية العمومية،فمن المؤكد أننا نستند إلى فهم عام "[3] فننتظر من علوم الإنسان السيادة نفسها،لا يمكن لمناهج علوم الطبيعة أن تدرك ما هو جدير بالمعرفة و لا حتى ما هو ثمين، بمعنى الغايات القصوى التي ينبغي الهيمنة على آليات الطبيعة أو الإنسان تأديتها."لقد أثر بعمق في التطور المعاصر للعلوم الإنسانية في ألمانيا وتشهد على

ذلك مجادلته الشهيرة مع يورغن هابرماس"[4] كان جوهر المجادلة حول التأويلية التي أراد تأسيسها من خلال كتاب "حقيقة ومنهج".غادامير GADAMER H.G من أبرز مؤسسي

[1]-Gadamer, hanz Georg, l'art de comprendre. Herméneutique et tradition philosophique. Traduit de lalmand par mariana .Simon les presses de l'imprimerie. Laballey. 1982.p15.

[2] غادامير،هانز جورج، فلسفة التأويل ترجمة: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف،2000،ص83.

[3] المرجع نفسه،ص146.

[4]-مجموعة من الكتاب، مسارات فلسفية. مجموعة من الكتاب، ترجمة: محمد ميلاد، دار الحوار، ط1، 2004، ص165.

مبحث التأويلية أو الهرمينوطيقا إلى جانب شلايرماخر SCHLEIERMACHER F.D صاحب مؤلف الهرمينوطيقا الشهير.تقوم محاولة غادامير على ضرورة إبراز العنصر المشترك بين أنماط الفهم المختلفة و إظهار أن الفهم و من ثم التأويل ليس سلوكا ذاتيا بل ممارسة تضرب بعمقها في صميم كينونة الإنسان، يميز بين قوة الحقيقة التي يتضمنها الفهم وبين تقنيات البحث عنه و فيه.يرفض الصفة المطلقة والمثل الأعلى للمنهج، والسيطرة على هذا الأخير بتجاوزه تستخدم العلوم الإنسانية الفهم "أوسع في تأويليتي، البعد الجديد الذي أعطاه هيدغر لهذا المفهوم: ليس الفهم شكلا خاصا للعلاقة بالعالم بل هو أيضا أصل كينوني Un existential هو شكل الكينونة نفسها للوجود في العالم"[1].

ليس هناك شيء ثابت بالنسبة إلى السلوك الخاص بالفرد أو الجماعة، والحتمية أو "الجزمية" لم تعد قادرة على النفاد إلى جوهر الإنسان أثناء ابتكار التصرف أو السلوك.

فمن الملاحظ أن العلاقات بين الظواهر الطبيعية هي علاقات سببية، بينما بين الظواهر الاجتماعية الإنسانية علاقات قيمة، الملاحظ للطبيعة دوره سلبي في إنتاج الظواهر أما في العلوم الإنسانية فله دور مباشر وفعال في إنتاجها.لكن يرى أن ما هو حقا عام في العلوم التاريخية يجب أن يرضينا بنفس الشرط الذي جعل العلوم الفيزيائية ممنهجة،وعلم بمعنى هذا المفهوم في عبارة فلسفة العلم"[2]. جدلية الحقيقية والمنهج شغلت إذن الفكر الفلسفي منذ العصور القديمة (فيلون، أغسطين) مرورا بالعصر الوسيط (لوثر، فلاسيوس، دانهارو، كلادينيلوس، ماير) حتى العصور الحديثة (شلايرماخر، شليغل، دلتاي، هيدغر، بيتي) .لكن نسأل أنفسنا هل تصلح المناقشات التقليدية في الفلسفة حلا للمشكلة؟لقد ألفنا من الفلسفة المفكر إما أن يكون مثاليا أو واقعيا، عقلانيا أو تجريبيا،وضعيا أو حدسيا ومن الحق أن بعضا قد يثور على هذا الاستقطاب فينشد طريقا ثالثة وعلى هذا المنوال جرى

التقليد في مشكلة التفسير والموضوعية في العلوم الإنسانية.سنعرض لرافدين لا المنحى فلربما يمكنهما أن يجلوا المسألة."ينشأ الفهم انطلاقا من الكل المشكل ليس فقط من العوامل

[1]-المرجع نفسه، ص166.

[2]-Op.cit.,p 19

الموضوعية وإنما أيضا من ذاتية المؤلف"1 يقدم المؤول نفسه وسيطا بين النص والكل المضمر، لا يبرز على مستوى الميول الفردية فحسب، إنما على المستوى الفكري، يعكس الباحث فترته التاريخية مجتمعيا ومعرفيا وموقفه ضمن هذه الفترة.

"نمنح للنص إمكانية ظهوره مختلفا والكشف عن حقيقته الخالصة ضد الأفكار التي نتصورها مسبقا ونواجه بها"2 لا يحاول المؤول تطبيق معيار عام لحالة ما ويهتم بالكشف عن دلالة أصلية متوارية خلف المكتوب بالمراد معالجته. يقول غادامير الوضعانية في نظره وهم إنها تيار يرفض المشكلات التقليدية للفلسفة (علاقة الوعي بالوجود) نرى حتى الوضعية الجديدة تؤكد على أن معرفة الواقع لا تأتي إلا في التفكير العملي اليومي أو العيني، "فالتاريخية الموضوعانية هي نزعة ساذجة".يقول أن مهمته التأويلية إرساء مستمر للأساس الأنطولوجي الذي تآكلته الميتودولوجية، "فكان مير يقول بأن ما يكون حقيقة لوجود الإنسان هو أفكاره المسبقة وأحكامه"[3].و يعمل على إعادة الاعتبار للحكم المسبق المستمد من الرومانسيين والمعاد تأويليه عبر المفهوم الهايدغري للفهم المسبق.

"وإن أخص ما يميز النظر التأويلي هو عنايته بمختلف الظواهر الإنسانية الخطابية منها وغير الخطابية، جاعلا منها نصوصا تقبل القراءة والتحليل والاستنطاق"[4].أودع نظريته في الفهم في كتابه الشهير "الحقيقة والطريقة" مراجعا النظرية التأويلية التي وضع أصولها "مثلا شلايماخر" و"دلتاي" مع التأثر بفلسفة اللغة والتأويلية لهديغر "غير أن التأويل عنده ليس استخراجا لمعنى موضوعي وخارجي يستقل به النص، وإنما هو دخول في إنشاء خاص يتجدد معه معنى النص، لأن المؤول لا ينظر في النص المجرد، وإنما يستمع إليه استماعا حيا، فيتوجه إليه بأحواله الحاضرة وتصوراته المكتسبة من غير أن تضر هذه الأحوال والتصورات الخاصة في شيء هذا الاستماع"[5]. يفسر غادامير الشروط اللازمة لذلك، فالتأويلية تهدف إلى جلب الخطط المكونة للفهم إلى حقل الوعي لتكون مثمرة محولا

---

[1]- المرجع السابق،ص37.

[2]- المرجع نفسه،ص43.

[3]-بن حسين، حسن، النظرية التأويلية عند ريكور، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، ط1، 1992، ص68.

[4]-عبد الرحمن طه، فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1995، ص106.

[5]-المرجع السابق، ص109.

السياسية إلى علوم سياسية يبدو لي نموذجيا يقول غادامير "أي الحصول على تأويل مفتوح باستمرار على ماهية النص"[1].كلمة "الهرمينوطيقا" (فن التأويل)، كما هو الحال مع الكلمة المشتقة عن الإغريقية والتي تمفصلت مع لغتنا العلمية، تتوزع في المستويات المختلفة للتفكير تدل الهرمينوطيقا قبل كل شيء على ممارسة فكرية دليلها الآلية والفن وهو ما يستحضره تشكيل اللفظ الذي يدل على التقنية Tekhne"[2]، هي مشروع قديم في نظره أنشأه آباء الكنسية بوعي منهجي دقيق خاصة القديس أغسطين في مؤلفه "العقيدة المسيحية" وهناك عامل أدى إلى تنمية الحاجة إلى مذهب عالمي في تأويل الرموز في بداية العصور الحديثة يتمثل في إعطاء الأولوية للرياضيات لقد حضر موضوع التأويل في منطق (ك.فولف) في القرن18.

"يتخذ الفن هنا دلالة الإعلان والتراث والتفسير والتأويل ويشتمل طبعا على فن الفهم كأساس ودعامة له".[3]يتخذ في الاستعمال الفلسفي مفهوم الترجمة، نشاط المؤول Hermeneus، أو نقل وإيضاح العبارات المبهمة على لغة مفهومة من طرف الجميع.

يقول: "أعتبر عالمية العلوم المحصورة بما فيها قاعدة التحقيق لهذا السبب فإن الهرمينوطيقا التي نتوخى فيها تطبيق كل معرفة على وضعيتنا الشخصية هي أكثر عالمية (وتعميما) من عالمية العلوم التجريبية".[4]ففي العلوم الاجتماعية ندمج معارفنا المكتسبة من الدراسة والتجربة الشخصية. فالإنسان الحديث يمتلك أكثر وعي بتاريخية كل حاضر وبنسبية الآراء.استلهم المنهج في العلوم الإنسانية من هردر والنزعة الرومانسية بألمانيا بحيث يرفض المتابعة الساذجة للتراث والحقائق المتفق عليها، سلوك فكري إزاء التراث يسمى "تأويلا" هو غير مطلوب في الشيء الذي يقنعنا ويعود تعميم مفهوم التأويل لنيتشه حسب نيتشه كل العبارات المتعلقة، البديهي، والتي بالعقل قابلة للتأويل، هذا المفهوم

[1]-كحلي عمارة، قراءة في فينومينولوجيا التأويل عند غادمير، من أفق السؤال على حقيقية النص، المجلة الفلسفية الجزائرية، عدد1، جانفي 1997، معهد الفلسفة – وهران.

[2]-غادامير،المرجع السابق،ص55.

[3]- المرجع والصفحة نفسها.

[4] - المرجع نفسه، ص ص132-133.

المطبق في المنهجية الحديثة للعلوم الفيلولوجية والتاريخية، و نتجاهل كلية جوهر التجربة عندما نقترب من الطرق الاستقرائية فقط.

غرض المعرفة التاريخية ليس فقط تفسير ظاهرة واقعية، الهدف هنا هو الفهم، فهم الخصوصية والوحدة "الآلية التي تشتغل عليها هذه العلوم (آثار، مخلفات حقبة ماضية) تتطلب تأويلا نقديا"[1]و نعرف أن كل منهج يرتبط بالموضوع كما أكد هيغل.

يوضح غادامير موقفه من العلوم الإنسانية "فكل ما بإمكاننا قوله عن وضعيتها المنطقية والابستمولوجية أو عن استقلالها الابستمولوجي عن علوم الطبيعة هو أمر يسير إذا أخذنا بمقياس جوهرها ودلالتها الفلسفية البحثة"[2].فلو حللنا كثيرا من النتائج في هذه العلوم والآراء يتبين اعتمادها على بعض الخلفيات الفلسفية سواء كانت على شكل مبادئ أو مفاهيم فلسفية معينة.

إيضاح طبيعة العلوم الإنسانية لا يعني مجرد مسألة المنهج بل فكرة أخرى عن المعرفة والحقيقة وإعطاء نمط ومستوى آخر من المعارف ينطبق أيضا على الفلسفة التي تتضمنها.

"خصوصية المعرفة في العلوم الإنسانية تمت بصلة أكثر إلى حدسية الفنان منه إلى الروح المنهجية للبحث"[3] الروح الرومانسية والمثالية الألمانية احتفظا بالوعي الحي إزاء عصر الأنوار وحدود المنهج في العلم التجريبي. لعل جدل التفسير و الفهم يقدم لنا الجواب.التأويلية تتجاوز الثنائية الموروثة عن دلتاي بين الفهم و التفسير والقائمة على الارتباط التبعي بين أي عمل ذي طابع تفسيري وميتودولوجية العلوم الطبيعية و بالتالي المرور من هذا التحديد العام إلى التعامل مع فلسفة تمثل تحولا حقيقيا في الفهم.عدم

استبعاد مرحلة الفهم البنيوي الموضوعي كمرحلة للتأويل والفهم وفتح طريق ابستمولوجية جديدة قائمة على المزاوجة بين رسم الحدود بالمعنى الكانطي والجدل بالمعنى الباشلاري وهي طريقة تفضي إلى معالجة مغايرة لمشكلات المعرفة بل لقضايا الواقع. الأنماط الابستمولوجية تعلمنا بأن التفسير لا يكون بالضرورة طبيعيا وسببيا. وما يميز العلوم

[1] – المرجع السابق،ص138.

[2] – المرجع نفسه، ص139.

[3] – المرجع نفسه، ص148.

الإنسانية بالنسبة له أنها لا تستخدم مناهج معروفة فقط، بل تستخدم قدرة على الفهم،كذلك تتطور لدى القارئ والباحث والمفكر، يقول "علوم الروح تلتقي مع بعض أنماط التجربة تقع خارج العلم، مع تجربة الفلسفة والفن والتاريخ نفسه، وهي كلها أنماط تجربة تتجلى فيها حقيقة لا يمكن فحصها بطرق ميتودولوجية يعدها العلم"[1]، إدراك الشيء هو تجريد فاسد، فالموضوع نفسه يحدد المنهج الذي يدركه.

تهدف التأويلية إلى جلب الخطط المكونة للفهم إلى حقل الوعي،أو إلى إرجاع وإحلال الاتفاق وتسديد النقائص لأن الفهم ينشأ انطلاقا من الكل، فالمشكل ليس فقط من العوامل الموضوعية وإنما أيضا من ذاتية المؤلف. لا يتعلق الأمر بالنسبة له بأن نقول كيف يجب الفهم، بل ماذا يحدث فعليا أثناء الفهم ؟ إنه تقليد الفلسفة العملية الذي يرجع إلى أرسطو والذي اختفى في النهاية تحت المثل الأعلى العلمي الحديث، فحسب أرسطو فكرة منهج أحادي أو المنهج الذي نقر به قبل إدراك الشيء هو تجريد فاسد فالموضوع نفسه يحدد المنهج الذي يدركه وبالنسبة لهيغل أن كل منهج مرتبط بالموضوع نفسه. فهل منطق العلوم الإنسانية له شيء يتعلمه من الجدل الهيغلي؟ "الفهم يعرض كتجربة مرتبتها عالية تمكن بيسر من الكشف عن ظهور منهج تاريخي يحلم به البحث في مادة تاريخ الفلسفة".[2] نجده يتفق مع ميل في اعتبار المنهج الاستقرائي قاعدة أساسية لكل علم تجريبي ومنهج صحيح وممكن التطبيق في العلوم الأخلاقية، لكن لا تؤسس علوم الطبيعة نموذجا للعلوم الإنسانية سوى في الحالة التي تخضع فيها هذه الأخيرة إلى التطور المثالي لقيمة علمية مستقلة، نرى إلى أي حد لا يزال نموذج العلوم الطبيعية يتصرف هنا."تبنى هذا النموذج اليومي (ديفيد هيوم)، لا يسمح بتحديد تجربة العالم الاجتماعي والتاريخي، بالعكس إننا نتجاهل كلية جوهر هذه التجربة عندما نقترب فقط من الطرق الاستقرائية".[3] لماذا لأن الغرض الحقيقي للمعرفة التاريخية ليس التفسير بل فهم هذه الظاهرة في خصوصيتها ووحدتها لا كظاهرة واقعية خاضعة لقاعدة عامة.

---

[1]-Gadamer, Hans Georg,. Vérité et Méthode. les grandes lignes d'une herméneutique philosophique, éditions du seuil pour la traduction Française, Paris 1996, P.P. 11-12.

[2]–Ibid., P. 12.

[3]– غادامير،هانز جورج،المرجع السابق ، ص 142.

ينتظر من العلوم الإنسانية أن تمنحنا نمطا ومستوى آخر من المعارف ينطبق أيضا على الفلسفة التي تتضمنها هذه العلوم.خصوبة المعرفة في العلوم الإنسانية تمت بصلة أكثر إلى حدسية الفنان منه إلى روح المنهجية في البحث لأن المعرفة تحدد مباشرة شؤون البشر ونستعين بالخطابات، فمشكلة هذه العلوم هو تأسيس حقيقي لخصوصيتها، فهي خطابات وخطابات فقط.

"الموقف التأويلي لا يفترض سوى الوعي الذي بتمييزه لاعتقاداتنا وأحكامنا المسبقة، فإنه يصفها كما هي وينزع عنها طابعها المتطرف"[1]، فإن اهتمام المؤول ينصب على الكشف عن دلالة أصلية متوارية خلف المكتوب المراد معالجته، فما يركز عليه غادامير هو إرادة الفهم (داخل إرادة التفاهم والمشاركة) كنمط يميز حقيقة الإنسان، فهي تريد أن تفهم وتستوعب أو تبحث في العمق عن معنى أو دلالة، فالحقيقة ليست مطلقة أو مغلقة، "وبتحقيق هذا الموقف، نمنح للنص إمكانية ظهوره مختلفا والكشف عن حقيقته الخالصة ضد الأفكار التي نتصورها مسبقا ونواجهه بها"[2].يرى أن منطق العلوم الإنسانية فلسفة في الفكر "لكن تجدر الإشارة إلى أن نظرية العلوم الإنسانية ليست منهجية مجموعة محددة من العلوم، وسوف نرى بعد قليل أنها فلسفية في جوهرها، بدلالة أكثر أصالة من منهج علوم الطبيعة مثلا"[3].هذه العلوم في نظره لا تعقد روابط محددة مع الفلسفة، لا تتقيد بطرح مشكل على الفلسفة وإنما تطرح مشكل فلسفيا، ويؤكد على استقلالها الابستمولوجي عن علوم الطبيعة بالنظر إلى جوهرها ودلالتها. كما تظهر فكرة أخرى

عن الحقيقة والمعرفة. "الهيرمينوطيقا، هذا النظام القديم المساعد، اللاهوتي والفلسفي عرف في القرن التاسع عشر تطورا نسقيا شكل قاعدة كل أعمال علوم الروح"[4].لا يعارض ريكور أنطولوجيا الفهم الهايدغرية واختار ابستيمولوجيا التأويل ووضع نظرية في الفهم من خلال ممارسة النقد على مختلف التأويلات كما وجد نفسه يواجه ثلاثة فروع للبنيوية : فرع التحليل النفسي (لاكان)، وفرع النقد الأدبي (رولان بارت) وفرع العلوم الإنسانية

[1]–المرجع نفسه، ص 43.

[2]– المرجع والصفحة نفسها.

[3]– المرجع السابق، ص138.

[4] – Op. cit, P184

(كلود ليفي ستراوس) الذي بقي صرحا بالنسبة له، فهو لا يرى طريقة أكثر علمية من البنيوية طالما وعت بحدودها وبشروط صلاحيتها.

ريكور:إحدى المشاريع المستلهمة يمكن القول من المخطط الظاهراتي مشروع بول ريكور RICOEUR. التأويل عند ريكور يتجاوز حدود المنظور الميتودولوجي، وهذا هو الفرق بين الكلمتين الفرنسيتين Herméneutique, Interprétation وتعني الأولى الجهد العقلي في إرجاع معنى ظاهري ومجازي إلى معنى باطن حقيقي، أما الثانية، فتهدف إلى تأويل التعبيرات أي غاية أنطولوجية المسلك إليها ابستيمولوجي. "في الوقت الراهن يعتمد على نحو سائد بكون التفسير والفهم يشكلان هدفا مشتركا لمختلف فروع العلم"[1].وما يضاف مع ريكور أمران التكامل بين الفهم (التأويل) والتفسير (البنيوية) أي بين استخراج المعنى وتعقل البنيات و دفع الشك إلى حدوده الممكنة في محورية الوعي دون إلغاء مفاهيم الحقيقة والذات وهو رأي يؤيده فلاسفة آخرون. "هكذا يعتقد أن الفهم الملائم للظواهر التي تدرسها هذه العلوم يتطلب أنماطا مغايرة من التفسير"[2].فالأسئلة التي توجه ريكور هي : كيف نكون أورغانونا للتفسير ولعمليات الفهم للنص ؟ كيف نؤسس علوما تاريخية بمواجهة العلوم الطبيعية ؟ وكيف نقوم بوظيفة التحكم في التأويلات ؟"هذا التمييز بين التفسير و الفهم يبدو لأول وهلة واضحا غير أنه لا ينفك يكتنفه الغموض لما نتساءل عن الشروط العلمية للتأويل. لقد طرد التفسير خارج نطاق العلوم الطبيعية لكن الخلاف بالذات ينبعث من جديد في قلب مفهوم التأويل من جهة بين الطابع الحدثي الذي لا يمكن

التحقق منه و المستمد من فكرة الفهم التي تنحو منحى سيكولوجيا، "و هو أخضع لها وجهة أخرى، اقتضاء الموضوعية المرتبطة بفكرة علم النفس بالذات. هذا التمزق للتفسير بين نزعة نحو السيكولوجيا و البحث عن منطق للتأويل يؤدي في النهاية إلى إعادة النظر

[1]- برودي، باروخ، المرجع السابق، ص 190.

[2]- المرجع والصفحة نفسها.

للعلاقة بين الفهم و التأويل.أليس التأويل ضرب من الفهم يجعل النوع ينفجر"[1]."ما هو الأهم في التفسيري هل هو تضمينه دائرة الفهم أم تمييزه عن الفهم؟

إن شلايرماخر قبل ديلتي كان شاهدا على هذا التمزق الداخلي للمشروع التفسيري و قد تجاوزه بفضل تجربة بشرية لصهر موفق للنبوغ الرومنطيقي مع مهارة فقه اللغة. من هنا ينفجر التناقض في وضح النهار لنستمع إلى ديلتي و هو يعلق على شلايرماخر:" غاية التفسيرية النهائية هي في فهم المؤلف أكثر مما فهم ذاته " هذا من ناحية سيكولوجية الفهم.أما فيما يختص بمنطق التأويل فوظيفة التفسير أن تؤسس نظريا صحة التأويل الشمولي وهو قاعدة كل يقين تاريخي،.انتقل من قيم التحاور ؛ التفهم يعني التوافق مع باطن المؤلف، التعادل معه،إعادة سيرورة الخلق التي أنجبت المؤلف،لكن إشارات هذا الخلق لا يمكن البحث عنها سوى فيما يدعوه شلايرماخر "الهيئة الخارجية" و" الشكل الداخلي"للمؤلف أو أيضا" الترابط"، "التسلسل" الذي يجعل منه كلا عضويا."[2] يرى الفهم كطريقة في المعرفة ومعرفة الكائن الذي يمارس عملية الفهم، "وفي المقابل يجد الفهم ميدان تطبيقه الأصيل في العلوم الإنسانية أو علوم الروح Geisteswissenschaften كما يدعوها الألمان"[3]، فالوجود الإنساني أو الظاهرة الإنسانية على كافة مستوياتها تتعين بالوعي الذي يقصد إلى المعنى ويهدف إلى القيمة من خلال تجربة معاشة لها تاريخيتها الخاصة المتفردة في الزمان والمكان، لكن ما يضاف عنده في بلورة المشكل التأويلي "الأول هو التكامل بين الفهم (التأويل) والتفسير (البنيوية) وهو ما يدعونا إلى هجر التفكير عن طريق التعارض بين تعقل البنيات وبين استخراج المعنى،والثاني هو

ضرورة دفع الشك في محورية الوعي إلى حدوده الممكنة ولكن دون إلغاء مفاهيم الحقيقة والذات"[4].ما يمكن استخلاصه من كتابات ريكور إعطاء التأويلية حمولة موضوعية تمنع

---

[1] ريكور، بول، ما هو النص مجلة النصوص،ترجمة : ذد. عبد الله عازار،الفكرية و الإبداعية، العرب و الفكر العالمي،العدد الثاني عشر،1990مركز الإنماء القومي،بيروت-لبنان،ص69.

[2] المرجع نفسه،ص70.

[3] – ريكور بول، نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ترجمة : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، طبعة 1، 2003، ص 119.

[4] – ابن حسن، حسن، النظرية التأويلية عند ريكور، مطبعة دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، نشر: ج.ج تنسيفت، طبعة 1، 1992، ص 41.

من إستسلامها للحدوسات النفسية، ضرب وجودي آخر غير القصود والنيات "بلورة مجموعة من المفاهيم والخطوات المنهجية التي تعطي للتأويلية حمولة أكبر من الموضوعية، وأهم هذه المفاهيم مفهوم المسافة، المرجع الوجودي والانفتاح على العالم، العودة من الأنطولوجيا إلى المشكلات الابستمولوجية و أخيرا التكامل بين الفهم والتفسير. يتوزع فكر ريكور على ثلاثة محاور كبرى : الأنطولوجيا والأكسيولوجيا ومبحث القيم والابستمولوجيا "[1]. من خلال محاولته وضع نظرية التأويل.معنى تفكيره يجعله من الفلاسفة المعاصرين الأكثر انفتاحا على العلوم الإنسانية وكذا اللسانيات والسيميولوجيا."إن التاريخي يجب أن يستخرج من الأشياء التي يقولها النص" هذا هو درس ريكور ذاته، الأنا يتوسط الرموز والعلامات والنصوص.ريكور من أكثر الفلاسفة المعاصرين الذين أخذوا البنيوية مأخذ الجد في جل كتاباته رغم تنافرها مع التأويلية بطبعها.

الطريقة التي تبناها في فلسفته وسماها ببناء أنطولوجيا للفهم من خلال ابستيمولوجيا للتأويل أي من خلال ممارسة النقد على مختلف التأويلات وبيان حدودها، فلسفة علوم إنسانية تتميز بالانفتاح، ويدعو إلى "الجدل أولا كنقلة من الفهم إلى التفسير، ثم كنقلة من التفسير إلى الاستيعاب، في المرة الأولى سيكون الفهم إمساكا ساذجا بمعنى النص ككل، وفي المرة الثانية، سيكون الاستيعاب نمطا معقدا من الفهم"[2].فبالنسبة له العلوم الإنسانية في المائة سنة الماضية قد اتخذت دوما نموذج علوم الطبيعة، فإن دوافعها الجوهرية والضرورية تأتيها من الروح الرومانسية و المثالية الألمانية.و لفهم هذا الكوجيتو وبالتالي كل فلسفة بول ريكور يجب العودة إلى هذه الرموز الفكرية الكبرى في تاريخ الفلسفة

والمتمثلة في فلسفة ادموند هوسرل و كارل ياسبرز و جابريل مارسيل،هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب قراءة كل مؤلفات و أعمال الفيلسوف فنستنتج أنه قد امتنع كلية عن تأسيس نسق فلسفي بالمعنى الهيغلي و امتنع عن كل فلسفة تريد أن تكون حرة من الافتراضات و الأفكار المسبقة، فمن لا يملك مصادر ليس له فيما بعد استقلالية.فإذا كان المثل القائل الرمز هبة للتفكير يسيطر على التأويل فإن الجملة الصعبة القائلة التفسير أكثر،

[1]- المرجع نفسه، ص44.

[2]- ريكور بول، نظرية التأويل،المرجع السابق،ص 121.

هو فهم أحسن سيلعب دورا رئيسيا في تأويل النص. وهذا يفترض جدلية مزدوجة من الفهم و التفسير التي لا تفتح فقط التأويل على علوم النص بل تؤسس طريقا جديدا لفلسفة الفعل و التي من خلالها يحتل الفعل الإنساني وضعية وسطية بين النص والتاريخ.للاتصال بين المقاربات التحليلية و الظواهرية التأويلية للفعل، يتلقى تعبيره الأكثر نضجا من كون أنت مثل الآخر،بنشر الأسئلة المتواصلة من يتكلم ؟ من يفعل؟

لا نكتفي برصد العلاقات السببية الموضوعية ونستبعد كليا ما هو كيفي و قيمي ودلالي (شأن التفسير في العلوم الطبيعية)، بل من الضروري محاصرة البعد الدلالي و الغائي و الاعتراف بأن الوقائع وليدة خيارات أخلاقية و سياسية و اجتماعية ودينية وثقافية.

المبحث الثاني:العلوم الإنسانية و الفلسفة

الفلسفة كفحص نقدي للعلوم الإنسانية:استخدمت الفلسفة بشكل متزايد المساهمات التي وفرتها العلوم الإنسانية و بدا من البديهي حصول التقاء بين نشاط الفيلسوف ونشاط ممتهني العلوم الإنسانية.إنه لم يتم الإقرار مثلا بأن أنظمة على غرار التحليل النفسي والمادية التاريخية هي أنظمة علمية."إن العلوم الإنسانية ستغدو فلسفية و ستتجاوز استكشاف

الحقائق الموضوعية،على صعيد النتائج التي ينبغي التوصل إليها من الاكتشافات التي حققتها(أيا كانت الحقائق الموضوعية عصية على النظر) "[1]فادعاءات العديد من النظريات نوعا من العلمية شبيهة بعلمية علوم الطبيعة غير قائمة على أساس متين و ينبغي الاعتراف، في، النهاية،أن خطرا يهدد،ربما بشكل دائم، العلوم الإنسانية في مشروعها:إنه خطر عدم الاعتراف كليا باستقلال المعايير العقلانية و الأخلاقية.

"فالحياة هي مواجهة معايير،و لكن منذ أن غدا الإنسان مجرد شيئ أو موضوع،أصبحت هذه المعايير وقائع محايثة"[2].ضرورة الفحص الفلسفي النقدي للعلوم الإنسانية ناجم عن ما تطمح إليه هذه العلوم في الحصول على قيمة فلسفية.التيار الفلسفي الأكثر تشديدا على هذه التكاملية كما ذكر من قبل هو بالتأكيد الظواهرية.فالعديد من مشاريع التأسيس هذه شهيرة بالتأكيد. فنظرا لإصرار الوضعية العلمي على كل ما يقبل القياس الحسي المكمم، تراجع حضور الفلسفة بل و فلسفة العلوم بالذات إلى مستوى متواضع و كان لا بد من ثورة جديدة على الكانطية وصعدت تيارات أخرى لعل أبرزها مدرسة فرانكفورت التي قدمت النظرية النقدية لقراءة الواقع في تعقيده.هناك أصول منهجية توحد بين الفلسفة والعلم رغم تحجر الموقف العلمي.فالتحليل و التركيب يعنيان في الحقيقة التفسير،إنه عندما نفسر نحلل الشيئ إلى عناصره و نقسمه أو ندرج ما نريد تفسيره ضمن تركيب معين بحيث يصبح الشيئ المفسر عنصرا داخل مجموعة تأليفية معينة. التفسير يعني أيضا البحث عن علل الأشياء وماهيتها و قد نسب هذا الأمر إلى الفلسفة السقراطية.بهذا المعنى ينبغي ألا تخدعنا المطالبة باستقلال علمي و التطلعات المعلنة إلى الصرامة العلمية، فهي تفسح المجال أمام الإفلات من نقاش المسلمات الفلسفية، فعلى الأقل يبقى للفلسفة الحق في نظرة نقدية على الافتراضات غير المعللة في العلوم الإنسانية، و إلى مثل هذا الامتحان النقدي نريد الآن أن نتوجه.

---

[1] بوقرس، رينيه علوم الإنسان و الفلسفة، العرب و الفكر العالمي، مجلة النصوص الفكرية و الإبداعية و الأدبية،العدد السادس،1989،مركز الإنماء القومي-بيروت-ص87.

[2] المرجع نفسه،ص97.

نقد الوضعية: هابرماس (JURGEN ABERMAS)الفلسفة تساهم بدور هام في تحليل الأسس العقلية للمعرفة والفعل والقول و"يرفض الفصل الوضعي بين الحقائق و القرارات انطلاقا من الاعتقاد بوجود تناسق تجريبي يجمع الظواهر الطبيعية و الاجتماعية يمكن صياغته في قوانين مضبوطة،و كذا من توفر قواعد للسلوك الاجتماعي"[1]. قد تأثرت النزعة النقدية إلى حد كبير بعقلانية ماكس فيبر"في محاولات ابستيمولوجية، فيبر كثيرا ما يقول أن مهمة السوسيولوجيا ترتكز في آن واحد على فهم الأحداث الاجتماعية حسب معناها الثقافي و تفسيرها حسب تجهيزها الثقافي.فالصلة بين التفسير و الفهم ترجع هنا إلى أهداف العلوم الاجتماعية"[2]التحديدات الفيبرية مزدوجة. "في العلوم الطبيعية الإطار النظري الذي وصل إليه البحث مراقب بنتيجة التحقيق نفسها أو كشف خصب أو لا يسمح باستقراء فرضيات مفيدة، و بالمقابل بالنسبة للبحث في علوم الثقافة العلاقات بالقيم الحاسمة للمنهج تبقى متعالية حيث لا يمكن أن تصحح بنتيجة البحث."[3] فهي عند هذا الأخير كما سبق القول قي مجالات ثلاثة:مجال الواقعية الموضوعية و مجال المعايير المشروعة ومجال القيم والدلالات الرمزي و لم ينكر هابرماس الدور الكانطي والهيغلي في مشروعه الفلسفي لكن رأى أن أساليب التفكير الترانسندنتالي ما زالت صالحة لأنها تستطيع أن تقدم الأسس والفروض النظرية وتقديم أمثلة عن التعاون و التكامل الناجحين بين الفلسفة و العلم يمكن أن يتم من خلال معرفة تطور النظرية العقلانية،تعاون بين أفعال الكلام و الدراسات التجريبية"معايير الوضعية أنقصت من ثنائية العلوم إلى فرق في درجة التطور بدل أن تؤسسها في منطق البحث غير أن الاستراتيجية المنصوح بها من برنامج العلم الوحيد انتصرت فيها نجاحات محققة"[4] للتداول اللغوي وبذلك دخلت الفلسفة بشكل من أشكال التعاون مع العلوم الإنسانية.

---

[1] آبل، كارل أوتو،التفكير مع هابرماز ضد هابرماز،ترجمة و تقديم: د.عمر مهيبل،الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف،المركز الثقافي العربي،الطبعة1 ،2005، ص 13.

[2]- HAbermas jurgen, Logique des sciences sociales et autres essais traduit de l'allemand par rainer rochlitz . presses universitaires de France 1 édition 1987. p21.

[3]- Ibid.p24.

[4]Op.cit, p8

قام بإعادة بناء النظرية النقدية وأدمجها داخل الحياة العلمية والعلوم الاجتماعية والتجريبية حيث تحتفظ الفلسفة بدورها كحارس للعقل،تستطيع أن تساعد في تحديد أو إبراز بعض الشروط اللازمة لإقامة شكل من أشكال الحياة العقلانية.

هابرماس يلجأ للعلوم الاجتماعية النقدية ضد التشييئ المؤسساتي وقدم قراءات من التراث الفلسفي و يحدد ثلاث مصالح؛المصلحة التقنية التي تضبط العلوم التجريبية و الفعل التواصلي و العلم التجريبي- التحليلي،والعلم التاريخي – الهيرمينوطيقي.

و يقابلها نوع ثالث من العلم و هو العلوم الاجتماعية النقدية و يسميها أيضا التفكير النقدي الذاتي.فالتأويل عند هابرماس هو فهم المعنى بواسطة إعادة البناء،بناء مشهد بدائي يوضع على علاقة بمشهدين آخرين هما مشهد النظام العرضي و المشهد المصطنع لموقف التحويل.التحليل النفسي يبقى دائما داخل منطقة الفهم الذي ينتهي عند وعي المريض بحالة "هيرمينوطيقا الأعماق" أي الوصول إلى ما يسميه" الكفاية التواصلية"و فن الفهم وتقنيات التغلب على سوء الفهم و العلم التفسيري للالتواءات و حسب كتابه "المعرفة والتواصل" هناك تمييز بين التجربة الحسية (ملاحظة) و التجربة التواصلية(الفهم) وموضوعات التواصل هي أشخاص و مؤسسات و موروثات و هذا ما يسميه"البينذاتية" وهي المشاركة بين الذوات و تمييز بين موضوعات التجربة التواصلية الممكنة و التجربة الحسية الممكنة،فالتوصيفات التي تعيد التجارب الحسية تجعلها في لغة أخرى على أنها قصص تعيد تجارب تواصلية.

هناك بعض المفاهيم التي أعتقد أنها تلعب دورا أساسيا في التأسيس الابستيمولوجي لنظرية هابرماس النقدية.تكتسب نظرية المعرفة عنده أهمية كبيرة فهي يمكن القول تشكل الأساس الابستيمولوجي لنظريته النقدية كما استعادها من كانط و كما ربطها بالمصالح الإنسانية و بالتالي بما هو تاريخي.أصبحت ابستيمولوجية تؤسس لتعدد العلوم و مناهجها وعقلانياتها وأفسحت المجال للفلسفة لتحتل موقعها كتفكير نقدي يمكن أن تتطور كل العلوم الأخرى في إطار فاعليته ومن ثم فإن استبعاد الابستيمولوجيا أو نظرية المعرفة واستبدالها بفلسفة العلوم يعني استبعاد أو إلغاء العلوم التي تقوم على دراسة علوم التواصل في مجتمعاتنا الإنسانية و العلوم التي لها توجه نقدي بما في ذلك الفلسفة و التي تتعلق بتحرير

الإنسان من القهر إذ العلوم ستقوم على نموذج العلم الطبيعي فيفقد كل منها بذلك نظامه وعقله ومنهجه و يفقد أيضا الصلة بالمصلحة المكونة له"في العلوم الاجتماعية وفلسفة العلوم الاجتماعية المعاصرة، هابرماس يشغل مكانة ذات أهمية خاصة، نظرا للطريقة التي ربط بها الموضوعات العقلية، الاتصال والبرهنة وبشكل غير مباشر وأكثر رصانة الإدراك"[1].

المواجهة مع الوضعية هي مواجهة مع وهم الموضوعية الأنطولوجي و مواجهة مع الاعتقاد بأن الأشياء موجودة باستقلال تام عن الذات وأن أي موضوع معطى للوعي عن طريق حواسنا و أن كل معارفنا لكي تكون صحيحة لا بد أن تتطابق مع ما هو موجود هنالك في الواقع و هابرماس في مواجهته للموضوعية لا ينتقل إلى الطرف النقيض الذي يرى أن هنالك شروطا قبلية تتشكل الموضوعات في إطارها و كذلك المعرفة بل إلى تحليل الذات الإنسانية تحليلا يقوم على التاريخ و التطور و لا ينتقل إلى الترانسندنتالية، وهذه المواجهة هي أحد تقاليد مدرسة فرانكفورت إلا أن هابرماس أعطاها بعدا جديدا،استعاد مفهوم الترتيب من كانط في سياق تجاوزه النقدي للوضعية و فتح بذلك الأفق مجددا و استعاد الابستيمولوجيا كأساس نظري جديد تستند إليه نظرية نقدية تفهم الإنسان و المجتمع الإنساني من جوانب مختلفة و ترى فيه أنواعا مختلفة من الفعل ويتواضع فيها العقل الأداتي –عقل العلوم الطبيعية – و تتزايد فيه أهمية العقل التواصلي –عقل العلوم التأويلية و التاريخية- و أهمية العقل الفلسفي أو النقدي. وأقام نظريته في المصالح المعرفية.

ويتفق مع الروح العامة للنظرية النقدية عند هوركهايمر،لكن الحقيقة لم تعد واحدة تمتاز بالموضوعية إنما أصبحت تمتاز بالتعددية دون أن تقع في النسبية المطلقة و أصبحت التاريخانية هي العلم الوضعي في مجال العلوم الاجتماعية و الثقافية و يتضح أن النوعين من العلوم يتشاركان فهما ذاتيا وضعيا لنفسيهما أو وهم الموضوعية الخالصة المتحررة من المصالح الإنسانية و من كل ما هو ذاتي. يقول كذلك اليوم منطق العلم لا يقوم على مسلمات مستعارة من نقد كانط للعقل بل من الوضعية الحالية لتفكير نقدي أوصلت إليه العلوم القانونية و العلوم الهرمينوطيقية.

[1] - Haberlas Jürgen, Op.cit, P1.

"الابستيمولوجيا التحليلية تكتفي بقواعد نسبية للتأسيس المنطقي واختيارات النظريات العامة تسجل ثنائية الاقتراحات و الأحداث لكن تمتنع عن فهمه بوجهة نظر ترانسندنتالية أو استعلائية"[1] ويضيف" تمتنع عن تأسيس عالم من الظواهر الثقافية وتكتفي بتوضيح امتلاك معاني تقليدية"[2].هذه الوضعية تخترق العلوم الاجتماعية (إذا كانت تلبي الشروط المنهجية للعلم السلوكي التجريبي- التحليلي أو إذا كانت تتجه إلى نموذج العلوم المعيارية- التحليلية)فهي بتأكيدها على العلوم الخالية من القيم تؤكد الروح العامة للعلم الحديث التي تستمدها من بدايات التفكير النظري في الفلسفة اليونانية القديمة وتلتزم بالفصل بين المعرفة و المصلحة،و"الموضوعية الخالصة في إحدى نتائجها تؤدي إلى التجريبية و هي سلوك معرفي خاطئ يحجب منطق العلم بحيث لا يستطيع المجتمع العلمي أن يدرك ذاته باعتبارها ذاتا للتفكر...و بكلمات أخرى، إن المفاهيم التي نأتي بها من ذواتنا لعملية البحث- في كل مجال بما في ذلك العلم – هي المسؤولة عن التفكير العقلاني الذي هو كذلك بسبب أنه يحمل إمكان فهم أكثر عمقا ومن ثم أفضل اتساقا مع المصلحة العامة للشرط الإنساني.و بذلك تعيق التجريبية أهم شرط من شروط التفكير النقدي و بالتالي التحرر."[3] لقد انتقد هوسرل موضوعية العلم التي يبدو فيها العالم و كأنه عالم من الوقائع يمكن الإمساك وصفيا بالعلاقة القائمة بينها وصياغتها في شكل قانون مؤكدا أن موضوعات التحليل العلمي الممكنة تتكون قبليا في عالم الحياة ما قبل العلمي وتكشف الفينومينولوجيا في هذا المستوى عن نواتج الذاتية المنتجة للمعنى التي تختفي تحت غطاء من الفهم الموضوعي لنفسها.فالعلوم لم تحرر نفسها من المصالح المتجذرة في عالم الحياة الأولى.

نجد أن العلوم التجريبية – التحليلية تنتمي إلى مجال العلوم التاريخية، مجال الفعل التواصلي الذي يحدد شروط وجودها الماقبل علمي، أي العقل التواصلي يحدد العقل العلمي. و هذا يجعلنا ننتقل للعلوم التاريخية التأويلية و التي تكتسب المعرفة في إطار منهجي مختلف، فالمدخل للوقائع يكون بفهم المعنى لا بالملاحظة و في مقابل التحقق في العلوم التجريبية- التحليلية نجد هنا تأويل النصوص.فقواعد التأويل هي التي تحقق مسبقا

[1]- Op.cit p13

[2]- Ibid.

[3] عبدالنور، هشام،نظرية هابرماس النقدية،الفلسفة باعتبارها تفكيرا نقديا،فلسفة النقد و نقد الفلسفة في الفكر العربي و الغربي،أعمال الندوة الفلسفية الخامسة عشرة التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة.مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة1، بيروت،2005، ص161.

معنى صحة القضايا في العلوم الثقافية، أما التاريخانية التي تعتبر بمثابة الوضعية في هذه العلوم فقد أخذت فهم المعنى الذي يفترض أن يمنحنا الوقائع الذهنية بدليل مباشر دمجت فيه الفهم الموضوعي للنظرية الخالصة"ريكور كان أول من حاول استيعاب بصرامة ميتودولوجية ثنائية العلوم الطبيعية و علوم الثقافة لكي يجعل مكانا للعلوم الإنسانية و التي فتح لها دلتاي وضع (نظام أساسي) للمعرفة النقدية"[1].

إن المعرفة التأويلية تتحقق دائما عبر الفهم القبلي المستمد من الموقف الابتدائي للمؤول الذي يعتمد على عالم المعنى التقليدي و إذا كانت القواعد المنهجية توحد التأويل والتطبيق فإن هذا يعني أن البحث التأويلي يكشف الذات في الواقع على مصلحة معرفية مكونة لها، هي الحفاظ على المابين – ذاتية هذه.و تتوجه بنية فهم المعنى للحصول على الإجماع الممكن بين الفاعلين (الذوات) في إطار من الفهم الذاتي المستمد من التقليد وهذا ما نسميه بالمصلحة المعرفية العلمية في مقابل التقنية.إن العلوم المنظمة للفعل الاجتماعي:الاقتصاد وعلم الاجتماع و العلوم السياسية كأنها تسعى إلى ما تسعى إليه العلوم التجريبية- التحليلية وهي أن تتوصل إلى معرفة تقوم على القوانين ولكن علوم الفعل الاجتماعي تتجاوز هذا الهدف" فمزاعمها بامتلاك فهم تأويلي يسمح لها بالسمو ومجاوزة المعطى التجريبي إلى آفاق أوسع حيث يكون التفاعل والتداخل بين الذوات والمواضيع"[2]. يميز بين المصلحة التقنية وتتمحور حول تطبيقات العلم التجريبي لتلبية حاجات مادية معينة ومصلحة عملية تهتم أساسا بعملية التواصل بين الأفراد والجماعات الاجتماعية المختلفة و ذلك من خلال تأكيدها على اللغة كأداة للتواصل وإفهام من الطراز الأول و مصلحة تحررية تقوم على ملاحظة الأفعال و الأقوال المشوهة المتولدة عن ممارسة القوة و من ثم محاولة التحرر منها و مجاوزتها إلى تأمل ذاتي معبر."إن تمييز هابرماز بين هذه الأشكال الثلاثة للمعرفة يندرج ضمن سياق منطلقه الأولي المنتقد للنزعة الوضعية الحسية و للنزعة العلمية المغالية التي حاولت ترسيخ فكرة في غاية الأهمية و الخطورة في الوقت ذاته و هي إيمان العلم بذاته بحيث يتحول إلى المعرفة الوحيدة الممكنة، المعرفة التي تشكل أقصى درجات

[1]-Habermas, Jürgen, Op.cit, p10.

[2]–آبل، كارل أوتو، المرجع السابق،ص13.

التطابقية بين شكل المعرفة ومضمونها"[1] أي محاولة التمييز بين اللحظة التي تمسك فيها هذه العلوم بالانتظامات الثابتة للفعل الاجتماعي و اللحظة التي تعبر فيها عن علاقات ارتباط جامدة ايديولوجيا ولكنها قابلة للتحويل "و هكذا الفلسفة ضمن العلوم النقدية الأخرى هي التي تكشف عن الشروط العامة لإمكانية المعرفة و الفهم و الفعل و أولويتها مع العلوم النقدية الأخرى على العلوم الأخرى المعبرة عن المصالح التقنية و العملية تأتي من قدرتها على تصحيح هذه العلوم و بالنسبة للمجتمع فإن الفلسفة لم تعد تفكر فقط في إشباع الحاجات المادية والثقافية بل إن السؤال أصبح:هل أبعاد الحياة الإنسانية يتم إشباعها بعدالة ؟

"و بهذا ارتبطت الفلسفة بما هو سياسي إلى الحد الذي صارت فيه نظرية المعرفة نظرية اجتماعية، ترتبط كلها بقضية التحرر"[2] ،فتمييز هابرماس بين العلم التجريبي و المعرفة التاريخية التأويلية تعرض هو أيضا للنقد من بعض النقاد،أنه يعمق التناقض القائم داخل نسقية العلوم الاجتماعية بين التفسير و الفهم و ما ينتج عنهما من تأويل كما يرى غادامير في الحقيقة و المنهج كما أن ارتباط نظريته بالمصلحة قد تحمل مزاعم و إحالة إلى مرجعيات، مما يعطل نظريا أي ارتكاز على التفرقة بين العلم و اللاعلم،بين العلوم الطبيعية و العلوم الاجتماعية "وقد حاول في كتابه "نظرية الفعل التواصلي " أن يعيد ترتيب نظريته فقام بنقد ما يسمى بالعقل الوظيفيRaison Fonctionnelle كما بلوره دوركايم في بحثه عن منهج علمي صارم يمكن من دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء تخضع لما تخضع له الظواهر الطبيعية أي حتمية وموضوعية و الدعوة إلى عقل متفتح،جدي، يعمل على تنظيم العلاقة بين المعرفة المجردة وبين الواقعي- المجتمعي كما هو الحال عند بارسونزPARSONS.T وفيبر وماركس"[3]. .فليس ثمة تبرير بأننا سنكشف عن نظام الطبيعة إذا لم نكن نعرف مقدما أن للطبيعة نظاما كليا منطقيا مترابطا و" على هذا الأساس يصبح البحث في مسلمة نظام الطبيعة الكلي بحثا فلسفيا لا مناص للعالم المنهجي من الخوض فيه حتى يستطيع الاستمرار في أبحاثه، على أن ثمة قواعد منهجية فلسفية كان لها

[1]-المرجع السابق،ص14.

[2]-عبدالنور، هشام، المرجع السابق، ص167.

[3] آبل، كارل أوتو، المرجع السابق ،ص 15.

أكبر الأثر في تقدم العلم نفسه في العصر الحديث كتلك التي نجدها عند جاليليو ونيوتن و ديكارت و فرنسيس بيكون و كانط و دفيد هيوم و جون ستيوارت مل وميرسون و بوانكاريه و كلود برنارد و أوجست كونت... الخ"[1]فنخلص إلى القول أن المصادرات و الأفكار القبلية ضرورية كفروض تفسيرية في مجال العلم وأن العالم المنهجي لا بد أن يسلم بها من حيث هي قواعد أو قوانين أساسية تصلح كمقدمات لمسيرة الكشف التجريبي.

لا شك أن الفلسفة هي التي تهتم بمناقشة هذه الفروض أو القواعد مناقشة منطقية و بيان مدى اختلافها أو انطباقها على ما يسمى بمفهوم الطبيعة أو نظامها و إلا أصبح عالم الظواهر مفتقرا إلى عوامل الارتباط أوإلى نظام مترابط يسمح بالتقدم في المجال العلمي، حيث إيماننا بوجود هذا الترابط هو الذي يبرر إمكان انطباق القواعد و القوانين القبلية على وقائع التجربة في المستقبل،الأمر الذي تنكره الوضعية المنطقية في هذا المجال. الفلسفة تحاول تفسير ما توصل إليه العلم من نتائج لذلك يجب أن تعتمد على آخر النتائج،" والعقل الفلسفي يؤلف بين النظريات العلمية للوصول إلى نظرية عامة يفسر بها فلا يسأل عن صحة القضايا العلمية أو صحة المفاهيم من الناحية الواقعية بل يكتفي باختبار صحة المبادئ العامة التي تفرضها العلوم دون أن تبرهن على صحتها فينظر في المفاهيم العامة كمفهوم العلة والمكان و المادة و ينظر أيضا في مناهج العلوم وصورة التفكر العلمي.والفلسفة على هذا النحو تعد نوعا من المنطق السامي أي يختبر كمال الوصف العلمي للظواهر ويتحرى عدم تناقضه."[2]

يكاد يجمع الفلاسفة على أن الفلسفة نظرة شاملة تحيط بكل جوانب الفاعلية الإنسانية فكرا وسلوكا وإذا كان في وسع العلوم أن تقول شيئا عن كافة موضوعات المعرفة فإنها تقف عند تخصصاتها لا تعدوها،كل عند موضوع معين.فالعالم أو الوجود أو الحياة بكل جوانبها والإنسان بكل ضروب نشاطه لا يمكن أن يكون موضوعا لعلم من العلوم كذلك البحث في أصول تلك العلوم من افتراضات سابقة وأسس منهجية يسلم بها الباحث العلمي وقد لا يصرح بها ليست من شأن العلوم فضلا عن الاستباق إلى ما يمكن أن تؤدي إليه من نتائج

[1]-عويضة، الشيخ كامل محمد محمد، المرجع السابق، ص 127.

[2]-المرجع السابق، ص 129.

العلوم في المستقبل بالنسبة للإنسان وعالمه. ولكن الفلسفة يمكن أن تضطلع بما لا شأن للعلم بأدائه.

كما يجب في قضايا العلوم الإنسانية أن نميز بين ما يخص العلم وما يخص غيره من مباحث."العلوم الإنسانية الرائدة حاليا، في تأكيدها أن الإنسان خاضع لسيطرة الرمزية وأنه لا يستطيع أن يسيطر عليها، هي في العجز الكلي عن أن تنتبه إلى الخطاب ذاته الذي تضعه، وإلى إمكانية حصول معرفة عقلانية،وعودة واعية للإنسان إلى ذاته" [1].أزمة العلوم الإنسانية مرتبطة بالدرجة الأولى بالنسبية التي زعزعت في علم النفس والاجتماع خاصة ادعاءهما المعرفة وتتجلى من خلال التأثيرات التي تركتها الحتمية أو العلية الصارمتين ومن خلال النتائج التي توصل إليها مختلف الباحثين وتعارض النتائج.

[1] بوقرس، رينيه،المرجع السابق، ص97.

خاتمة:

ما استخلصته، أن ظهور العلوم الإنسانية موجه ضد سيطرة الخطاب الفلسفي، و بالاستناد إلى علوم الطبيعة وأن يكون المنهج التجريبي الذي يكشف العلاقات بين الظواهر مرجعا وهذا يمثل جوهر الموقف الوضعي وكل من تأثر به. وأنه قد انتهى عصر التأمل الفلسفي والأحكام الأخلاقية وأنه علينا الآن إنشاد اكتشاف المبادئ التجريبية التي تفسر انتظام الحوادث الإنسانية وتواتر وقوعها. و يتعلق الخلاف أساسا بإمكان أو استحالة تطبيق هذا المنهج الاستقرائي وإعطاء قوانين. لكن لا يمكن الاعتراض فحسب على استيراد النموذج الفيزيائي بل أيضا اعتبار أن هذا الموقف يفترض نوعا من النسيان، أو يقضي في الحقيقة بتناسي كون العلم يتحدد بالقياس و الملاحظة بمقدار ما يتحدد بوجود موضوع ما مبني انطلاقا من عدد معين من المفاهيم و المبادئ الأساسية و تأكيد مشروع نوعي يؤمن له نوعا من الاستقلالية عن الأنظمة الأخرى.

من حق العلوم الإنسانية أن تحدد منهجها حسب موضوعها. فنمط المعرفة التي تميز علوم الطبيعة البحث عن القوانين و الشرح السببي وهذه السيرورة إذا ما حملت على مجال علوم الفكر ستقضي على ما يعتبر حقل الاهتمام الخاص أي عالم الدلالة والقيم.

فالوقائع الإنسانية تختلف من حيث القصد والمعنى المتضمن فيها والذي يرجع إلى طبيعتها الإنسانية والمعاني تختلف من فرد إلى آخر ومن مجموعة إلى أخرى.فعلوم الإنسان تضطلع بمهمة دراسة وتحليل السلوك الإنساني لفهم مقاصده ومعرفة دوافعه وغاياته و مع ذلك لن تحاول أن تقدم مثاليات أو معايير ملزمة وتبعا لذلك يجب أن تتحرر.الفلسفة بحثت و تبحث في الإنسان كما بحثت ولا تزال في المجتمع، فمنذ دعوة سقراط إلى معرفة النفس والفلسفة تتأمل في هذا الموضوع الخطير.فالصورة العامة لمنهج العلم لم تعد تتسم بالاستقرار أو الثبات كما كان يعتقد،ذلك لأن المعرفة العلمية بطبيعتها نامية ومتطورة، أدوات تحصيلها يطرأ عليها تحسين و تعديل بين حين وآخر. إذا كان المنهج هو الطريقة التي تحدد السبيل إلى الوصول إلى الحقيقة أو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، فإنه من الممكن أن نفهم هذا اللفظ بمعنى عام فدخل كل طريقة تؤدي إلى غرض معلوم.تظهر العلوم الإنسانية غير قادرة على الاستقلال عن الفرضيات الفلسفية.،فالدراسات على اختلاف مناهجها أو لنقل لكل علم مناهجه الخاصة ولتي تشكل في مجموعها ميتودولوجية فهم أن المناهج ليست ثابتة بل تتغير وفقا لمقتضيات العلم وأدواته، وإلا كان عبثا ومصدرا

للضرر.البحث في المنهج العلمي هو بالضرورة بحث مؤقت، وننقل رأي هانز ريشانباخ في كتابه "نشأة الفلسفة العلمية"حيث يقول"والواقع أن صورة المنهج العلمي كما ترسمها الفلسفة العلمية الحديثة مختلفة كل الاختلاف عن المفاهيم التقليدية العقلية والمثالية".فالتعاليم النافعة هي وحدها تلك الصادرة عن التفاصيل الخاصة بالممارسة في علم معين بالذات،كما أن الفصل بين مختلف المناهج بالنسبة لأي علم من العلوم يكاد يكون مستحيلا.العلم لا يوجد في صيغة المفرد، فما يوجد من اختصاصات وعلوم مختلفة يمكن تمييزها من ناحية الموضوع إلى علوم صورية وعلوم تجريبية وعلوم إنسانية، يمكن تمييزها من حيث طبيعتها إلى علوم نظرية وعلوم تطبيقية، كذلك من جهة طبيعة المعرفة التي تقدمها إلى علوم تفسيرية وأخرى تأويلية.

أسس ومصادرات العلم و البحث العلمي ومناهجه يمكن أن تنطوي تحت ما هو عام منها وما هو خاص، مصادرات عامة لكل العلوم عمادها التفكير السليم و خاصة تتمايز بتنوع العلوم و أساليب البحث المرتبط بها. بتعبير آخر،ليس من وظيفة الباحث في علم المناهج أن يعطي تعاليم ونصائح يفرض على العالم المتخصص اتباعهابما يتلاءم وموضوع بحثه الخاص.فإذا كانت معرفتنا بظواهر العالم المادي تقتضي أن نقف منها موقف المشاهد وأن نعبر عن تلك الظواهر الفيزيقية بلغة الكم و القياس، فمعرفة ظواهر العالم الإنساني وما يتعلق بقيمه وأفعاله ودوافعه ، تتطلب الوقوف منها موقفا خاصا مختلفا ، إذ قيم الإنسان و أفعاله تقتضي منا الكشف عن مضمونها وحقيقتها.وفي الواقع و كما يقول فنت "إن مناهج البحث وثيقة الارتباط في تطبيقاتها العلمية إلى درجة أنه لا توجد مشكلة مركبة لا تشارك جميعا في حلها، وليس الأمر هنا مقصورا على رابطه المتتالي في الترتيب بمعنى أن المنهج التالي يفرض مقدما منهجا سابقا،بل تدخل المناهج اللاحقة في تلك السابقة".فالعلوم الإنسانية تنفرد بطابعها الخاص الذي يفرقها عن العلوم الطبيعية بما لها من موضوعات وأهداف وافتراضات لكنها ليست خضما مضطربا من الانطباعات الذاتية،بل لها مناهجها و ضوابطها التي تخصها وتلتزم بها.إن قيام علوم إنسانية أصبح أكثر إمكانا من ذي قبل.فلقد زادت معرفتنا بالأصول النفسية للسلوك وبشروط عضويته ونموه، وأحرز التاريخ تقدما مباشرا وبالمثل في سائر العلوم الإنسانية،فلقد تقدمت بخطى واسعة في تحقيق أهدافها و إن لم تكن كاملة، مما جعل فوارق بين العلوم الطبيعية والإنسانية.العلوم الإنسانية لا تستبعد الغائية كما لا تستبعد الفهم و التفسير، والفهم قد يصبح علميا فيطلب تدخل العلم.

يمكن القول بأن العلوم الإنسانية هي علوم من حيث استيفائها لكثير من شروط و سمات التفكير العلمي وإن لم تتحقق فيها هذه الشروط بالدرجة المتحققة بها في العلوم الطبيعية، وأنها قادرة على تقديم الضوابط والحلول والتفسيرات الحقيقية لكل ظاهرة.فهي وبحكم ما لها من طبيعة خاصة لا تقل عن العلوم الأخرى من حيث قوة اعتبارها وقيمتها العلمية.لكن تصبح في مهب الريح إذا تطرق الشك إلى معظم ما تقدمه وتصبح غير قادرة على رسم صورة واقعية لحاضر الإنسان وأكثر عجزا عن رسم صورة لماضيه والتخطيط لمستقبله.فالأمر يقتضي أن يبحث أكثر عن حقيقته في هذا الكون و أن يلم بجذوره التاريخية و أبعاده الاجتماعية و قدراته الفردية.فالإنسان يمتلك من المواهب ما يجعله حتما مختلفا عن بقية الكائنات الأخرى كما يجعل فهمه بطريقة محايدة بل وموضوعية صعبة المنال.فهو لا تحده أية من ظواهر آنية أو مكانية أو هما معا .الإنسان ليس شيئا معطى مرة واحدة إلى الأبد.فإنه من الصعوبة بمكان دراسة الظواهر الإنسانية دراسة موضوعية خالصة بالإضافة إلى صعوبة إخضاع الإنسان للتجارب المعملية أو المخبرية و قياس سلوكه وأوجه نشاطه قياسا كميا و بنفس السهولة مثل ظاهرة طبيعية أو أي موضوع يقبل الملاحظة لوجوده في الواقع الفعلي. فشدة التعقيد وكثرة تفاصيل هذه الظاهرة هي ما جعل العلماء و المفكرون يضعون شروطا أساسية. وهي اليوم علوما كثيرة و على كل يمكننا أن نفرق بين مجالين:الفردي والجماعي،كما نفرق بين وجهتين في الظاهرة البشرية:الطبيعة والحرية. الفهم لا يتنافى مع التفسير لأنه قد يبدو في ذاته على هيئة علاقة سببية كما هي الحال عند وصف العالم النفساني مثلا لبعض العمليات، وهو ليس مشروعا اخترعه علماء الاجتماع بل عملية مألوفة في الحياة العامة،و يكشف عن المعنى كما يكشف البصر عن اللون،إننا جميعا نفهم العالم الإنساني لأننا جزء منه.

و كما ذكرت فهو محور العلوم الإنسانية لذلك يظل البحث في فلسفتها على درجة كبيرة من التعقيد.

قائمة المصادر والمراجع بالعربية:

مصادر:

1. إبن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط11، 1992.
2. بوبر،كارل، منطق الكشف العلمي ترجمة وتقديم:الدكتور ماهر عبد القادر محمد علي دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986.
3. بياجي، جان الابستمولوجيا التكوينية راجعة وقدم له: د. محمد علي أبوريان. ترجمة و تقديم وتعليق: د. السيد نفادي، دار الثقافة الجديدة، 1991.
4. دوركايم، ايميل، قواعد المنهج في علم الاجتماع، تقديم عبد الرحمن بوزيدة، موفم للنشر، 1990.
5. ريشنباخ هانز، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكرياء،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بدون طبعة،1968.
6. ريكور،بول نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ترجمة : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، طبعة 1، 2003.
7. غادامير، هانس يورغ فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة : محمد شوقي الزين منشورات الاختلاف – الجزائر.
8. ليفي ستراوس،كلود، الإناسة البنيانية، الأنتروبولوجيا البنيوية (القسم الثاني) ترجمة : حسن قبيسي، مركز الإنماء القومي.

مراجع:

9. آبل، كارل أوتو، التفكير مع هابرماز ضد هابرماز، ترجمة وتقديم: ذ.عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف،المركز الثقافي العربي،الطبعة الأولى،2005.
10. ابن حسن، حسن، النظرية التأويلية عند ريكور، مطبعة دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، نشر: ج.ج تنسيفت، طبعة 1، 1992.

11. أنصار، بيار، العلوم الإجتماعية المعاصرة، ترجمة:نخلة فريفر، الناشر:المركز الثقافي العربي-بيروت،طبعة ،1992.
12. بتشه، عبد القادر الابستيمولوجيا مثال فلسفة الفيزياء النيوتينية، دار الطليعة للطباعة والنشر–بيروت- لبنان، طبعة1، 1995،
13. برودي، باروخ، قراءات في فلسفة العلوم.ترجمة وتقديم د.نجيب الحصادي دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت إصدارات الجوهرة ط1،1997.
14. بغورة الزواوي، مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، مطبعة الهدى، عين مليلة الجزائر.
15. بلانشي روبير، نظرية العلم (الإبستمولوجيا)، ترجمة محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2004.
16. بوتول، غاستون، تاريخ السوسولوجيا، ترجمة د/ممدوح حقي، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط1، 1977.
17. بياجي، جان، البنيوية ترجمة: عارف منيمنة وبسير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة 2، 1980.
18. د طريف الخولي، يمنى، فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،201.
19. د. بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، الناشر: وكالة المطبوعات – الكويت ط 3، 1977.
20. د.اسماعيل، محمد عماد الدين، المنهج العلمي وتفسير السلوك، دار القلم، الكويت، طبعة 4، 1989.
21. د.التيمومي الهادي، مفهوم التاريخ ومفهوم التاريخ في العالم الغربي من النهضة إلى العولمة، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2003.د.أنوار،علا مصطفى،علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية(دراسة في فلسفة ميرلوبونتي)الناشر:دار الثقافة للنشر و التوزيع،القاهرة،1994.

22. د.العراقي عاطف، نحو معجم للفلسفة العربية، مصطلحات وشخصيات" الناشر دار الوفاء للطباعة والنشر – إسكندرية ط1، 2002.
23. د.عاطف غيث محمد، الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1977.
24. د.قنصوة صلاح، الموضوعية في العلوم الإنسانية (عرض نقدي لمناهج البحث)، دار التنوير للطابعة والنشر، بيروت-لبنان، ط2، 1984.
25. د.محمد إسماعيل، قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية.
26. د.محمد علي، ماهر عبد القادر، فلسفة العلوم الميثودولوجيا (علم المناهج دار المعرفة الجامعية 1999.
27. راكيتوف أناتولي، المعرفة التاريخية، ترجمة حنا عبود، دار دمشق للطباعة والصحافة والنشر، ط1، 1989.
28. الصغير، ابن عمار، التفكير العلمي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الطبعة 2، 1969.
29. عبد الرحمن، طه، فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1995.
30. العروي عبد الله، مفهوم التاريخ، الجزء الثاني، المفاهيم والأصول، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992.
31. عويضة، الشيخ كامل محمد محمد، كارل بوبر فيلسوف العقلانية النقدية، مراجعة، محمد رجب البيومي، دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان، الطبعة الأولى،1995.
32. قاسم،، محمد محمد كارل بوبر،نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، 1995.

33. قباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع والفلسفة، ج2، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، طبعة2.
34. كنغهيلم جورج، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، ترجمة د.خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني، ط1، 1992.
35. مجموعة من الكتاب، مسارات فلسفية، ترجمة: محمد ميلاد، دار الحوار، ط1، 2004.
36. مدور،بيتر MEDAWAR.PETER الاستقراء والحدس في البحث العلمي،ترجمة د.محمد شيا،بيروت، طبعة ،1991.
37. مصطفى إبراهيم إبراهيم، في فلسفة العلوم،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، طبعة1، 2000.
38. مهيبل، عمر، البنيوية في الفكر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1993.
39. هـ، ب ريكمان، منهج جديد للدراسات الإنسانية،محاولة فلسفية، ترجمة وتعليق د. عبد المعطي محمد ود. محمد علي محمد،مكتبة مكاوي، بيروت،طبعة 1، 1979.
40. وعزيز، الطاهر المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية،دار توبقال للنشر، المغرب، طبعة 2، 1993.
41. وقيدي محمد، العلوم الإنسانية والايديولوجيا، دار الطليعة بيروت،طبعة1، 1983.
42. وقيدي، محمد، ما هي الاستمولوجيا ؟مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الثانية.
43. يافوت، سالم، فلسفة العلم المعاصرة و مفهومها للواقع- دار الطليعة – بيروت.

<u>قائمة المصادر والمراجع بالفرنسية:</u>

44. Abermas jurgen logique des sciences sociales et autres essais traduit de l'allemand par rainer rochlitz presses universitaires de France 1 édition 1987.

45. Appel Karl – Oto, La contreverse expliquer et comprendre Une approche pragmatico – transcendantale traduit de l'allemand par syloie mesuee ouvrage traduit avec le concours du centre national du livre, les éditions du cerf, Paris, 2000.

46. Auguste, comte Cours de philosophie positive : Physique Social, Edition Hermann, Paris

47. Barreau Hervé, l'épistémologie, Presses Universitaire de France 1er Edition 1990.

48. Bouvier, Alban, Philosophie des sciences sociales presse universitaires de France, 1er édition

49. comte Auguste, Cours de philosophie positive : Physique Social, Edition Hermann, Paris .

50. Comte Auguste, Philosophie des sciences, textes choisis Presses universitaires de France, 1ère édition, 1974.

51. Diltey wilhelm, critique de la raison historique introduction aux sciences de l'esprit et autres textes, les éditions du cerf – Paris 1992.

52. Gadamer, Hans Georg, Vérité et Méthode. les grandes lignes d'une herméneutique philosophique, éditions du seuil pour la traduction Française, Paris 1996.

53. Gadamer, hanz georg, l'art de comprendre. Herméneutique et tradition philosophique. traduit de l'allemand par mariana. simon les presses de l'imprimerie. Laballey. 1982.

54. Les notions philosophiques, dictionnaire, volume dirige par sylvain Auroux publie sous la direction d'andre jacob., Tome1 presses universitaires de France 1 édition 1990.

55. Mucchilielli, Allex, L'analyse phénoménologique et structurale en sciences humaines Presse, Université de France, 1er édition 1983.

56. Noella baraquin. jean dugue .francois ribes Annebaudart. Jacqueline laffite. Joel.wilfert her .Dictionnaire de Philosophie. Armand colin _ paris2edition 2000

57. Piaget Jean, Epistémologie des sciences de l'homme, éditions Gallimard, collection Idée, 1970.

58. Renee Bouveresse la philosophie et les science de l homme collection dirigee par jean- pierre zarader. ellipses. édition marketing s. paris 1998.

59. Simon Pierre Jean, Histoire de la sociologie, Presses, universitaires de France 1er édition, 1991.

60. Toulmin Stephen, L'explication scientifique traduction de jean- jacques lecerle librairie Armand colin paris 1973.

61. Vergnious Alain, L'explication dans les sciences, Editions de Boeck université, Imprimé en Belgique, 2003.

الموسوعات والمعاجم

62. روزنتال، مراد، معجم المصطلحات الفلسفية، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م م، بودين ب، الموسوعة الفلسفية وضح لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط6، 1987.

63. سيرتا مجلة تاريخية اجتماعية فلسفية، معهد العلوم الاجتماعية، السنة الثامنة العدد12،جوان1999.

64. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، الشركة العالمية للكتاب طباعة ونشر وتوزيع ش.م.ل مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي الدار الإفريقية العربية.

65. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، الجزء2، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، دار التوفيق، 1994.

66. طرابيشي جورج، معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون) دار الطليعة- بيروت، ط1، 1987.
67. فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي،أعمال الندوة الفلسفية الخامسة عشرة التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة.مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2005.
68. لالاند أندري، موسوعة لالاند، المجلد الثالث، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط1، 1996.
69. لالاند، اندريه، موسوعة لالاند، المجلد الثاني H-Q ،ترجمة خليل أحمد خليل،منشورات عويدات، باريس،ط1، 1996.
70. لالاند،اندريه، موسوعة لالاند، المجلد الأول، ترجمة خليل أحمد خليل،منشورات عويدات، باريس، ط1996.

المجلات:

71. مجلة الجمعية الفلسفية المصرية السنة التاسعة – العدد التاسع، 2000 م. الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية.
72. مجلة العلوم الإنسانية، مديرية النشر و التنشيط العلمي جامعة منتوري، قسنطينة رقم 10 ديسمبر 1998.
73. المجلة الفلسفية الجزائرية، عدد1، جانفي 1997، معهد الفلسفة – وهران.
74. مجلة النصوص الفكرية والإبداعية والأدبية، العدد السادس،1989،مركز الإنماء القومي-بيروت-لبنان.
75. مجلة النصوص، الفكرية والإبداعية، العرب والفكر العالمي، العدد الثاني عشر، 1990 مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان.
76. مجلة دراسات، مجلة تصدرها كلية الآداب و العلوم الإنسانية- أغادير- العدد الحادي عشر 2003،مطبعة المعارف الجديدة- الرباط-2004.

77. وهبة مراد،شلالة يوسف، المعجم الفلسفي عربي –انجليزي – فرنسي،دار الثقافة الجديدة،طبعة2،1971.